

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– قسنطينة –

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

تفاعل الكفول الدلالية النحويّة في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد بن باديس

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية ودراسات قرآنية

تخصص نحو وصرف

إشراف أ.د:

رابح دوب

إعداد الطالبة:

سارة بوفامة

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة العلمية	أعضاء اللجنة
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ	أ.د. زين الدين بن موسى
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ	أ.د/ رابح دوب
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ	أ.د. ذهبية بورويس
عضوا	جامعة عباس لغرور-خنشلة	أستاذ	أ.د. صالح خديش
عضوا	جامعة العربي التبسي-تبسة	أستاذ	أ.د. صالح غريبي
عضوا	جامعة محمد بوضياف مسيلة	أستاذ محاضر-أ	د. بلخير أرفيس

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

العلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الصادق الأمين أما بعد
 فيخضع عنصر التجديد في إنتاج النصوص المفسرة لكلام الله - عز وجل - إلى
 اعتبارات عديدة، ولعل أهمها يتعلق بروح العصر الذي انبثق عنه التفسير، فهذه مجالس
 التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد بن باديس تفسير، أوجدته ظروف اجتماعية
 خاصة ضمن حقبة تاريخية ميزها الوجود الاستعماري وما يحمله هذا الاستعمار من تبعات
 كالجهل والامية وطمس الهوية ومحاولات الإدماج...

إذ انطلق ابن باديس في فهمه للقرآن الكريم من حيث هو أعظم ما يحتاج إليه العباد
 للوصول إلى السعادة الحقيقية، ويتم ذلك بإنارة العقول وزكاة النفوس واستقامة السلوك.
 فتوجه بهذا الفهم الحديث -بحكم اتصاله الدائم بالناس- إلى أنماط متنوعة من المتلقين فيهم
 العام والخاص وفيهم المثقف باللغة العربية والمثقف باللغة الفرنسية وفيهم أتباع الطريقة
 وغيرهم ففرض هذا التنوع، المتعلق بخلفيات فكرية متعددة على المخاطب انتقاء معجم لغوي
 خاص ليتحقق من فحوى خطابه المقصد الذي يصبو إليه، وفعل آليات متنوعة لإقناع
 المتلقي. ومن هنا انبثقت فكرة البحث وموضوعه لمحاولة الكشف عن الأدوات التي وظفها
 ابن باديس لتحقيق التواصل الايجابي والفعال مع المتلقين على تنوعهم الفكري
 والايديولوجي، فكان عنوان البحث: "تفاعل الحقول الدلالية النحوية في مجالس التذكير
 من كلام الحكيم الخبير" فوضع المادة اللغوية في حقول دلالية ليس مجرد عملية تجميع أو
 حصر لمفرداتها، وإنما هي مرآة ينعكس على سطحها جانب من خبرة الإنسان في حياته
 العملية والنفسية، فتتجمع الألفاظ ذات العلاقات الدلالية المتصاقبة في وسم شيء أو وصف
 موضوع أو التعبير عن حال في حيز واحد، مفصحة عن بنية تصويرية تشكل ذهن المتكلم،
 فتصبح اللغة مشكلة لخبرة الإنسان.

دوافع اختيار الموضوع: من دواعي اختياري لهذا الموضوع رغبة علمية تدفعني إلى
 دراسة مجالس التذكير وهي رغبة مؤسسة من منطلقات ثلاث أولها: أن أقلام البحث اللغوي

والدلالي لم تطل هذا الإنتاج بالدراسة بعد، والثانية تكمن في اطلاعي على مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وتأثري بمنهج عبد الحميد بن باديس في التفسير والتحليل وتزييله الآيات على الواقع، فرأيته تفسيراً عملياً اجتماعياً يخدم الأمة وفق معطيات العصر والبيئة، وآخرها يتمثل في توجيه النظر نحو العلماء الجزائريين وإبراز نتاجهم الفكري وتولييه بالدراسة وفق المناهج العلمية الحديثة.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي اتخذت من البحث الدلالي أداة لتحقيق أهدافها، وتنوعت من حيث عنايتها في اختيار المناهج التي تخدم البحث وتسطر مساره لبلوغ البحث غايته. ومن هذه الدراسات التي تتقاطع مع المنهج المتبع في هذا البحث - الحقول الدلالية -:

● أطروحة دكتوراه بعنوان: " البنية اللغوية في القرآن الكريم من خلال العنوان والاعتراض والفاصلة - دراسة دلالية نصية - للباحثة شهرزاد بن يونس. حيث استثمرت الباحثة منهج الحقول الدلالية في الفصل الثاني من الأطروحة لتصنيف أسماء سور القرآن الكريم ضمن مجالات ومحاولة تحديد مدلولاتها.

● رسالة ماجستير للطالبة شيماء محمد عبيد بعنوان الحقول الدلالية في شعر الكميت بن زيد الأسدي.

● مقال بمجلة عود الند عنوانه صاحبه عمر بن زيادي: معجم الحقول الدلالية في قصيدة - في أذن الشرق - للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة.

ومن الواضح أن هذه الدراسات تتقاطع مع بحثي من حيث المنهج المتبع ولكن المدونة مغايرة شكلاً ومضموناً.

وقد توسمت الجدة في بحثي هذا من وجهين أولها قلة الدراسات التي تبحث في إنتاج المفسر من الناحية اللغوية والدلالية بالأخص. وهذا تحديد يتعلق بالمدونة في حد ذاتها، فأغلب الدراسات التي اتخذت من إصدارات ابن باديس مادة للدراسة اقتصرت البحث في

مجهوداته الفكرية والتربوية والسياسية والإصلاحية ولم تعنى بالدراسة اللغوية، وما عثرت إلا على دراستين أطلتا على مجالس التذكير من هذه الزاوية.

● **مستويات الدرس اللغوي في تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام ابن باديس للباحث عبد الحفيظ شريف.** ولكن الدراسة لا تعنى بلغة ابن باديس، ولكن هدفها الدرس اللغوي المستفاد من مجالس التذكير، وكيف وظف ابن باديس الدرس اللغوي في تفسير القرآن الكريم.

● **ونشر للباحث نفسه مداخلة في ندوة علمية بعنوان دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية** موضوعا يحمل عنوان: "استراتيجية العنوان في تفسير الإمام ابن باديس بين جمالية الهندسة وفعالية التبليغ" وتطرق فيه إلى آليات اختيار العنوان ووظيفة العناوين ودورها الحجاجي.

● **أسس مشروع النهضة عند الأمام عبد الحميد بن باديس محمد بن سمينة** وهو كتاب من جزئين تطرق الكاتب في الجزء الثاني منها بالبحث في أسلوب الكاتب وتنوعه بين المقال والخطبة والشعر، وكذا مقارنة أسلوب الكتابة عند ابن باديس وعند البشير الإبراهيمي.

إن هذه الدراسات إن كانت تتقاطع مع موضوع بحثي جزئيا في المدونة والبحث اللغوي، إلا أن المناهج والأجوات والأهداف مختلفة، فالغاية التي يرومها هذا البحث تتخذ من الدراسة اللغوية وسيلة لولوج ذهن ابن باديس خلافا للدراسات المذكورة والتي غايتها تقف عند الدرس اللغوي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى استثمار ما وصلت إليه الدراسة الدلالية في بعدها التصوري للوصول إلى البنية التصورية التي تشكل ذهن ابن باديس والتي يتصور بها الواقع، وكيف

يعمل على تشكيل البنية التصورية للمجتمع وتحويلها باللغة وتفعيل الآليات لتغيير قناعاته وتوجهاته، وحمله معه إلى مسار النهضة.

الإشكالية:

إن الإشكالية التي انبثقت عنها موضوع البحث، انطلقت من فكرتين أولهما، نتيجة واقعية ملموسة تمثلت في التواصل الجيد بين ابن باديس وأفراد المجتمع الجزائري، وتحقيق التفاعل المثمر بين أفكاره واستجاباتهم لها، أما الثانية فقد بثتها الفكرة الأولى، فتحقق التواصل الجيد يوجب أن النسق التصوري المتحكم في إنتاج اللغة (التحقق اللغوي) والدلالة عند ابن باديس ومجتمعه واحد، مثبثا بذلك فرضيتين اثنتين أولهما أن ابن باديس واحد من المجتمع الجزائري ولا فرق بينه وبين واحد منهم، وثانيهما أن ابن باديس متميز عنهم وله من المزايا ما حولت له القدرة على القيادة وتوجيه مجتمعه نحو الأهداف التي سطرها ونحو الرؤى التي كانت يريد بناء المجتمع الجزائري في ضوءها. فأين مكن المزية الذي جعل من ابن باديس أعلى منزلة من بقية أفراد المجتمع ومسيرا وقائدا وموجهها لهم نحو رؤى كانت مغيبة - عن قصد - في مجتمعه الجزائري؟

يسعى البحث إلى مقارنة هذه الإشكالية والنظر فيها من زاوية اللغة التي كان يوظفها ابن باديس لا من أجل معرفة لغته والوقوف عند الأسلوب وجماليته، ولكن من أجل الكشف عن البنى التصورية التي شكلت لغته على هذا الوجه بالتحديد، ومحاولة الاطلاع على خبراته التي حولت له التميز والقيادة والقدرة على التأثير.

منهج الدراسة:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة وتحقيقا للأهداف المرجوة، فالمنهج المناسب للدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، إذ نقف أمام مادة لغوية نصف الظواهر اللغوية البارزة فيها ونحاول تحليلها وفق ما وصلت إليه الدراسات الدلالية الحديثة، إذ استثمرت الدراسة في فصلها الثالث النتائج التي وصل إلى تعميمها جورج لا يكوف وجونسون حول الاستعارة

وآلية اشتغال الذهن الاستعاري، كما تم استثمار إجراء الحقول الدلالية لتجميع المجالات المصدر والمجالات الهدف الواردة في مجالس التذكير.

خطة البحث:

وقد استدعى المنهج المعتمد في هذه الدراسة إلى تقسيمها إلى أربعة فصول ومدخل حاولت فيه الإجابة عن تساؤل طرح في عنوان البحث وهو ابن باديس والمجتمع الجزائري حالة اتفاق أم اختلاف؟

أما الفصل الأول فكان دراسة تفصيلية عرضت فيها مجالس التذكير على معايير التفسير ومعايير الصحافة ومعايير تزييل الآيات القرآنية على الواقع لكي أصنفه إلى أي منها ينتمي فكان عنوانه مجالس التذكير بين التفسير والصحافة.

أما الفصل الثاني الموسوم **البعد المعرفي للدرس الدلالي**، قسمته إلى ثلاثة مباحث تعرضت في المبحث الأول للدرس الدلالي في الموروث الفكري العربي، وفي المبحث الثاني والثالث تتبعت الدرس الدلالي في اللسانيات الحديثة من البنية وتهيئتها للمعنى إلى التصويرية وإعلائها للمعنى وجعله قمة الدرس اللغوي.

أما الفصل الثالث الموسوم: **الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير** استثمرت فيه نتائج أبحاث لا يكوف وجونسون حول الاستعارة لتطبيقها على مجالس التذكير ومحاولة معرفة النسق التصوري الذي يشتغل وفقه ذهن ابن باديس، والبحث عن الحقول الدلالية التي تشكل معجمه اللغوي.

وأفردت الفصل الرابع للبحث في الأدوات اللغوية من صرف وتركيب وأساليب، والبحث عن الأبعاد الدلالية للاختيارات الأسلوبية، ومحاولة البحث عن الأدوات الحجاجية التي يتوسم بها ابن باديس تحقيق الغاية الإقناعية. فكان العنوان: **الحقول النحوية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير**.

وختم البحث بخاتمة أجملت فيها أهم ما وصلت إليه الدراسة من نتائج. وألحقتها بفهرس للمصادر والمراجع وفهرس للآيات القرآنية ثم فهرس للموضوعات. وأردفتها بملخص عرّفت فيه بمضمون الرسالة وأهم محاورها باللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الفرنسية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

ومحاولة متني لإخراج هذا البحث في صورته النهائية، والإحاطة بكل جزئياته. فقد اعتمدت في إنجازها على مجموعة من المصادر والمراجع ساهمت في إثراء البحث فكرياً وشكلياً،

أما المصدر الأول المعتمد عليه في الدراسة فهو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وآثار الإمام عبد الحميد بن باديس.

أما المصادر التي وجهتني في طريقة تطبيق المنهج فهي كتابات لايكوف، الاستعارات التي نحيا بها، والاستعارات التي تقتل، وكتاب الاستعارة في الخطاب لإلينا سمينور، والاستعارة في الخطاب السياسي للبوعمراني.

ووجدت ضالتي في الكتب التراثية لمعالجة التساؤل المطروح في الفصل الأخير، فاعتمدت على الكتاب لسبويه ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وبعض اللغويين المحدثين مثل البلاغة فنونها وأفانها لفضل حسن عباس والنحو العربي لمهدي المخزومي...

ولا يدعي أحد الكمال مهما كانت منزلته ومرتبته العلمية، ولم يكن لهذا البحث أن يرى النور لولا فضل الله أولاً ثم توجيهات الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور رابع دوب- أدام الله علمه ونفعنا به- وإرشاداته العلمية ودعمه المعنوي. فله كل الشكر والتقدير والاحترام. ولا يمكنني أن أنسى الفضل الذي أكرمني به أساتذتي الذين لم ييخلوا يوماً بالنصيحة والتوجيه والدعم وعلى رأسهم الأستاذة الدكتورة ذهبية بورويس والأستاذ الدكتور صالح خديش الذي أسهم بشكل واضح في ضبط العنوان وأكرمني بتوجيهاته

اللسانية فكان نعم المرشد والموجه. والشكر أيضا موصول إلى كل موظفي مكتبة كلية الآداب والحضارة الإسلامية وفي مقدمتهم الدكتور محمود بن زغدة.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث، لتصحيح أخطائه وتقويم اعوجاجه فلهم مني الشكر الجزيل.

وأخيرا أسأل الله التوفيق والسداد والمزيد من العلم النافع، وأن يتقبل عملي هذا خدمة للغة العربية وينفعني به وطلبة العلم. والحمد لله رب العالمين.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبر خزل

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدخل.....(ابن باديس والمجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

المدخل: ابن باديس والمجتمع الجزائري حالة اتفاق أم اختلاف؟

أولاً: الحالة الاجتماعية التي أثمر فيها الفكر التجديدي في الجزائر:

1- البيئة الفكرية في مدينة قسنطينة قبل الاستعمار الفرنسي:

ذكر القائد الفرنسي بودو في تقرير بعث به إلى الحكومة الفرنسية وبرلمانها بأن قسنطينة كانت تتميز بالثقافة والعلم، بحيث كانت تحتوي في سنة 1837م أي قبل الاحتلال، على الكثير من المدارس الخاصة بالتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، وكان يؤمها ما بين 600 إلى 700 طالب يدرسون العلوم النقلية والدينية والشرعية والإنسانية، والعلوم العقلية التي يتلقون فيها دروساً في الرياضيات وفي علم الفلك والبلاغة والفلسفة في سبعة معاهد بالمدينة، وكان عدد المدارس فيها يزيد عن تسعين (90) مدرسة ابتدائية، منتشرة عبر أحياء المدينة، يزاول الدراسة فيها ما بين ألف وثلاثمائة (1300) تلميذ وألف وأربعمائة (1400) تلميذ بالإضافة إلى ستة عشر (16) زاوية وسبعين (70) مسجداً للتدريس والتحصيل وإقامة الصلاة وحفظ القرآن، ومكتبة بمدرسة الشيخ لفيكون تحتوي على أربعة آلاف (4000) مجلد، في مختلف العلوم والفنون، وهي مؤسسات تربوية تفوق ما كان موجوداً في بعض المدن الفرنسية الكبيرة، وإن التعليم فيها كان جزءاً أساسياً من حياة الناس، يكاد يكون مجانيًا وإجبارياً، قبل أن تصدر الحكومة لفرنسا قانوناً "غيرو gairau" سنة 1873م الذي يوفر لأبنائها تعليماً إجبارياً، وأن الأمية في مدينة قسنطينة هي الأخرى تكاد تخلو من سكانها خاصة وسكان الجزائر عامة¹. يشير هذا التقرير إلى المكانة العالية التي كان يحظى بها العلم في هذه المدينة، وإلى عناية باياتها وأهلها بإنشاء صروح المعرفة والثقافة من مساجد ومدارس ومعاهد وزوايا، وحرص أهلها على تعليم أبنائهم فغابت الأمية عن قسنطينة خاصة والجزائر عامة خاصة إذا ما قارناها بما يوجد في أوروبا حيث كتب الرحالة الألماني (فيلهلم شيمبرا)

¹ عبد الحميد بن باديس - مرحلة التحصيل والتكوين -: عبد العزيز فيلاي. دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت،

المدخل.....(ابن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

حين زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831م "لقد بحث قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب"¹ والاستعمار الفرنسي مدرك أن نور العلم سيجعل مهمة بقائه في الدول المحتلة صعبة، فجدد شتى الوسائل لتجهيل المجتمع الجزائري، ومن آلياته لتحقيق سياسته في التجهيل تهديم المدارس والمساجد أو تحويلها إلى كنائس "فقد حطم الفرنسيون في 18 ديسمبر 1832م جامع كتشاوة، وحولوه بعد تشويه شكله وتغيير وضعيته إلى كاتدرائية، أطلق عليها اسم القديس فليب Philippe Cathedrale Saint.....بالجزائر والشيء نفسه وقع لمسجد حسن باي بقسنطينة غداة سقوطها بأيديهم سنة 1837م."²

ومن شهادات العيان التي حفظها التاريخ شهادة الطبيب المرافق للحملة الفرنسية الثانية لمدينة قسنطينة سنة 1837م عن الخراب الذي أصاب المؤسسات الدينية والتعليمية، وما شاهده من إتلاف المخطوطات والكتب العربية، التي ألقيت على حافتي الطريق الممتد من مدينة قسنطينة إلى مدينة عنابة، وجمع البعض منها مما يفيد في دراسة الطب فألف كتابا في هذا الشأن سماه " الطب العربي"³

لم يدخر المستعمر جهدا يؤدي به إلى تحقيق غاياته الاستعمارية في الجزائر التي تجاوزت الاعتداءات السياسية والعسكرية والاقتصادية إلى تدمير معالم الثقافة والفكر، وتخطيم مقوماتها الإسلامية والعربية.

¹ جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف: عقيلة حسين. دار الوعي، ط1، 2012م، ص20.

² المرجع نفسه، ص 29.

³ عبد الحميد بن باديس مرحلة التحصيل والتكوين، ص10.

المرحلة.....(بن باويس والجمع الجزائري... حالة اتفاق أم اختلاف؟)

2- البيئة الفكرية في مدينة قسنطينة قبل المرحلة البادسية:

على غرار سائر بلدان المغرب العربي كانت تعيش الجزائر تحت سيطرة الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي "فبلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية وعدد المريدن 295000 مريدا، وامتازت توجهات الطرقية نحو الجمود الفكري والخضوع لأفكار الشيخ وأقواله وأوامره والخنوع إلى طريق الضلال المكسو بمظاهر الجاهلية الأولى، ولم تكن قسنطينة أحسن حالا ولا أنضج فكرا عن بقية ولايات الوطن. إلا أن الله يرسل لعباده من ينير درهم ويأخذ بأيديهم إلى سبيل الحق ويرشدهم إلى طريقه المستقيم. فبانت بوادر الصحوة وإمارات الاستفاقة من ظلمات الجهل على يد علماء من بينهم الشيخ صالح بن مهنا "فإن مناجاته للضمير كادت توقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898م فعملت الحكومة الفرنسية على إبعاده، وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن. كما أنار مدارس قسنطينة ومساجدها الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1913م) بفكره النير وتوجهه الإصلاحية ومحاربه للبدع والخرافات، كما تعرض لنقد طرق التدريس وأكد على ضرورة معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، كما دعا لتعليم المرأة وضرورته لأنه أساس التربية، ولم يكتف بالتنظير لفكره في الكتب فقط بل طبق مبادئه في الواقع الجزائري حيث ابتدأ التدريس في قسنطينة منذ سنة 1873م بجامع سيدي الكتاني وتولى بعدها التدريس بالمدرسة الكتانية سنة 1877م. إلى أن نقلته الحكومة الفرنسية إلى العاصمة الجزائرية سنة 1898م، ومن تلامذة الشيخ عبد القادر المجاوي الذين ورثهم علمه ورسالته بمسؤوليتها الكبيرة وأعدادها المتربصين بها الشيخ حمدان لونيبي وهو أستاذ عبد الحميد بن باديس، والشيخ أحمد لحبيباتي، والشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة المالكي.

فكانت قسنطينة دار علم تستقطب التلاميذ والشيوخ من كل ربوع الوطن، واستقرار العلماء بها أمر معهود على أهلها، وبها مبادرات في محاربة البدع وترسيخ الفكر الإسلامي الصحيح على قلتها وقلة ثمارها إلا أن قسنطينة قد هيأت لعبد الحميد بن باديس البوادر

المدخل.....(ابن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

الأولى للنهضة الفكرية والإصلاحية، والتي تتمثل في محاولات فردية لإصلاح الحياة العقلية والاجتماعية في الجزائر عموماً وقسنطينة خصوصاً. فلا بد لهذه المبادرات أن تترك صداها في نفوس معاصريها وإن لم تحرر عقولهم من التصلب والتعصب فهي بالضرورة ستستثير الشك في نفوسهم ولو جزئياً تجاه الطريقة التي يتبعونها ويطبعونها بصفة القدسية، والشك أول خطوات العلم والمعرفة. فكان المناخ الفكري والاجتماعي مهيناً وملائماً لاستقبال رجل محارب للبدع وداع للتجديد فهناك أصوات قد تعالت في منابر مساجد قسنطينة تنادي بإعمال العقل وتحكيمه في الأمور كلها والسير على نهج السلف الصالح، وابن باديس قد سار على نهجهم واقتفى أثرهم فواصل عملية البناء التي ابتدأها شيوخ من قسنطينة قبله وعممها على ربوع الوطن ولم تقتصر حركته الإصلاحية على المدن الكبرى بل أوصلها إلى القرى والمدامر وهيأ قسنطينة لاستقبال المتعلمين من كل أنحاء الوطن ورعايتهم وتوفير ظروف العيش لهم.

3- أثر جغرافية قسنطينة في فكر وجهود عبد الحميد بن باديس:

إذا نظرنا إلى قسنطينة من حيث موقعها وجغرافيتها تراءى لنا تلك التشئة التي حظي بها ابن باديس في ذلك البيت القسنطيني المطل على الصخر العتيق الذي يروي كل حجر منه حقبة وأياماً من تاريخ قسنطينة المترامي بأطرافه إلى ما قبل القرن 13 م.

نشأ ابن باديس في هذه المدينة التي تحددت قساوة الطبيعة وصلابة الصخر لتهاياً منه مكاناً للعيش والاستقرار. إن سمة التحدي في وجهها الطبيعي تظهر بجلاء على تلك البيوت المتعالية الصامدة أمام مهب الريح من كل جهة، لقد نشأ ابن باديس وترعرع وهو يبصر جمال وعظمة المكان الذي ينتسب إليه فوقع واستقر في نفسه أن الانسان قادر على انجاز الصعب وقادر على تحقيق المستحيل، فتنامى في فكره أنه لا مستحيل أمام القدرة التي كرم الله بها الانسان فعلى من طموحاته ورفع سقف تحدياته وشد العزم لمواجهة خصومه وخصوم الدين والحرية على قوتهم وتنوعهم وتآمرهم عليه، بل وقد ذهب تأثير قسنطينة المكان في

المدخل.....(ابن باديس والجمتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

فكر ابن باديس وتفاعله مع جغرافيتها ومعالمها في تكوين شخصيته إلى إيمانه العميق بضرورة التواصل ونبد القطيعة ومحاولاته الدائمة في تقريب الرؤى بين الأطراف المتباعدة فمدّ جسورا بينه وبين مخالفيه في الفكر والتوجه وحاول إيجاد نقاط تقاطع تجمعهم بهم، جسورا تضاهي جسور قسنطينة الجامعة بين طرفي الصخر العتيق المتباعدة لتمهيد الطريق وفك العزلة ومحاولة التلاقي والتحاور لتعميم النفع، فقد كان يخاطب فرنسا بالصديقة دونما إذلال أو خضوع لها فهو منهجه الذي يقوم على مبدأ التواصل حتى مع الأعداء، ومن نماذج تبنيه لهذا المبدأ منهجا للحياة و-خاصة أن حياته قد وقفها للإسلام والجزائر- هي علاقته بأصحاب الطريقة وعلاقته بالزوايا فما عادى يوما طريقا ولا وقف ضدهم في صراع شخصي أو مباشر رغم نبذه لتخاذلهم وقصورهم عن الفهم الصحيح للدين الإسلامي وإدراك مقاصد القرآن، فلم يدخل مدينة أو قرية إلا واتجه أولا إلى الحاكم الفرنسي يحميه ويطمئنه، ثم اتجه إلى زاويتها وحاوّر شيخها وطلب منه الدعم والمساعدة في نشر علم والمعرفة.

المدخل.....(ابن باديس والمجتمع الجزائري... حالة اتفاق أم اختلاف؟)

ثانيا: ابن باديس والمجتمع الجزائري... اتفاق أم اختلاف؟

فالسؤال الذي يثيره هذا المبحث انبثق من فكرتين أولهما، نتيجة واقعية ملموسة تمثلت في التواصل الجيد بين ابن باديس وأفراد المجتمع الجزائري، وتحقق التفاعل المثمر بين أفكاره واستجابتهم لها، أما الثانية فقد بثتها الفكرة الأولى، فتحقق التواصل الجيد يوجب أن النسق التصوري المتحكم في إنتاج اللغة (التحقق اللغوي) والدلالة عند ابن باديس ومجتمعه واحد، فأرابي الآن بين فرضيتين اثنتين أولهما ان ابن باديس واحد من المجتمع الجزائري ولا فرق بينه وبين واحد منهم، وثانيهما أن ابن باديس متميز عنهم وله من المزايا ما حولت له القدرة على القيادة وتوجيه مجتمعه نحو الأهداف التي سطرها ونحو الرؤى التي كانت يريد بناء المجتمع الجزائري في ضوءها. فأين مكن المزية الذي جعل من ابن باديس أعلى منزلة من بقية أفراد المجتمع ومسيرا وقائدا وموجها لهم نحو رؤى كانت مغيبة - عن قصد - في مجتمعه الجزائري؟

1- نشأة ابن باديس وتعليمه في قسنطينة:

إن الرجل ابن بيته فإذا ذكرت قسنطينة ذكر عبد الحميد بن باديس والعكس صحيح استعماله وسهل البرهنة عليه، فلا يجهل العام والخاص أن قسنطينة هي امتداد تاريخ أجداده العريق وهي مسقط رأسه وبيت نشأته وزقاق لعبه ومدرسة تعلمه ومسجد تعبه ومعهد تعليمه وتفسيره كتاب الله العزيز... وابن باديس سليل عائلة عريقة من عائلات قسنطينة، فقد كان للأسرة البادسية وجاهة في المجتمع ووجاهة عند الأمراء الحفصيين، وكانوا على علاقة وطيدة معهم وازدادت الأسرة رفعة وارتقت مكانتها على العهد العثماني حيث تقلدت زيادة على الخطابة والقضاء والافتاء والتدريس¹ وأنجبت هذه المدينة علماء كثر أمثال أحمد بن العطار القسنطيني وصالح العنتري وصالح بن مهنا القسنطيني وأحمد بوشمال

¹ ينظر: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية: عبد الكريم الفكون. تح: أبي القاسم سعد الله. دار المغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص201.

المرخل.....(ابن باديس والجمع الجزائري... حالة اتفاق أم اختلاف؟)

ومالك بن نبي وابن قنفذ القسنطيني... وغيرهم ولكن لم يبلغ شأن أحدهم الشأن الذي بلغه رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر وفي المغرب الإسلامي عبد الحميد بن باديس.

فعملت الأسرة الباديسية على تربية وإنشاء أبنائها بما يحفظ لها مكانتها التي اكتسبتها عبر التاريخ وما اتاحت لها هذه المكانة إلا بمحافظتها على مسار العلم، ويرجع عبد الحميد بن باديس الفضل في تنشئة الفكرية والتربوية إلى عدة عوامل ويجعل على رأسها تربية والده له قائلاً: "إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي العلم لي طريقة..."¹

تعلم ابن باديس في مساجد قسنطينة على الطريقة التقليدية ولم يلتحق بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت² ليسير على نهج أجداده العلماء والمتفقيين في الدين من العائلة الباديسية. وتلقاه علماءها وشيوخها بالرعاية والعناية فقدمه شيخه ومؤدبه محمد المداسي إلى إمامة المصلين في صلاة التراويح بعد ختمه لحفظ كتاب الله العزيز في عمر الثالثة عشر لثلاث سنوات متتالية في الجامع الكبير³. هذا التقدير والتبجيل الذي حظي به ومنحه إياه أهل قسنطينة وشيوخها قد أسهم لا محالة في صقل شخصية ابن باديس، وأسهم في اكسابه ثقة في نفسه وفي قدرته على الإمامة والقيادة وتولي أمور الناس.

من الأمور التي أرجع ابن باديس إليها الفضل في تكوينه وبلوغه هذا الشأن إضافة إلى والده وشيوخه فقد خصّ أحد هؤلاء الشيوخ بالذكر واعترف له بالجميل وهو الشيخ حمدان لونيبي القسنطيني - الذي تتلمذ مباشرة للشيخ عبد القادر مجاوي - فقد كان محطة فارقة في مسار عبد الحميد بن باديس وكان له أثر بالغ في تربيته وفي مشواره العلمي

¹ لإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره: إعداد وتصنيف عمار طالبي. عالم المعرفة، الجزائر، دار ابن حزم، لبنان، 2014م، ط1، ج1، مج2، ص138.

² الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر: تركي رابح عمامرة. موفم للنشر، الجزائر، 2003، ط2، ص30.

³ الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج1، مج1، ص77.

المرخل.....(ابن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

والعملي، فيقول فيه: "وإني لأذكر للأول -حمدان لوني- وصية أوصاني بها وعهدا عهد به إليّ وأذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فأجدي مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد عليّ أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حيت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت."¹

وقد كانت مدينة قسنطينة بيئة مناسبة للتغيير لما شهدته من مبادرات في محاربة البدع وترسيخ الفكر الاسلامي الصحيح - على قتلها وقلة ثمارها - إلا أن قسنطينة قد هيأت لعبد الحميد بن باديس البوادر الأولى للنهضة الفكرية والإصلاحية، والتي تتمثل في محاولات فردية لإصلاح الحياة العقلية والاجتماعية في الجزائر. فلا بد لهذه المبادرات أن تترك صداها في نفوس معاصريها وإن لم تحرر عقولهم من التصلب والتعصب فهي بالضرورة ستستثير الشك في نفوسهم ولو جزئيا تجاه الطريقة التي يتبعونها ويطبعوها بصفة القدسية، والشك أول خطوات العلم والمعرفة. فكان المناخ الفكري والاجتماعي مهيبا وملائما لاستقبال رجل محارب للبدع وداع للتجديد، فهناك أصوات قد تعالت في منابر مساجد قسنطينة تنادي بإعمال العقل وتحكيمه في الأمور كلها والسير على نهج السلف الصالح، وابن باديس قد سار على نهجهم واقتفى أثرهم فواصل عملية البناء التي ابتدأها شيوخه من قبله وعممها على ربوع الوطن فلم تقتصر حركته الإصلاحية على المدن الكبرى بل أوصلها إلى القرى والمداشر وهيا قسنطينة لاستقبال المتعلمين من كل أنحاء الوطن ورعايتهم وتوفير ظروف التعليم لهم.

تميز ابن باديس المتعلم عن أقرانه من المتعلمين ومن طلبة جامع الزيتونة أنه لم يكن متلقيا سلبيًا للمعلومات بل كان عقله دائم الاشتغال والتفكير والبحث في كل تفاصيل الأمور ودقائقها، فكانت له نظرة نقدية لكل ما هو دون كلام الله وكلام نبيه، بما في ذلك المناهج التي كانت تلقى في جامع الزيتونة.

¹ الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ج1، ص2، ص139.

المدرخل.....(ابن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

تخرج ابن باديس في الزيتونة بشهادة التطويع (العالمية) في 29 رجب 1329هـ الموافق 25 جويلية 1911م بعد أن أتمّ مقرره الدراسي في وقت وجيز مختصرا خمس سنوات المقررة لنيل شهادة التطويع مستفيدا من قائمة طويلة من الشيوخ الذين تتلمذ لهم ونال إجازات خاصة من أقلامهم. وهذا جدول يلخص الكتب المقررة في جامع الزيتونة لنيل شهادة التطويع والشيوخ المشرفون على تقديمها¹

2- عبد الحميد بن باديس المعلم:

عاد عبد الحميد بن باديس إلى قسنطينة معلما وفقهيا ومفسرا لكتاب الله العزيز بعد رحلة علم سافر خلالها إلى عدة دول عربية أول هذه المحطات وأطولها مدة كانت في تونس بجامع الزيتونة وآخرها في بلاد الشام عبورا بمكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر. عاد الشيخ وقد نضج عقله وصقل فكره واتسعت مداركه وتنوعت معارفه، فتلقته مدينته من جديد سنة 1913م فاتحة له مساجدها لينقل إلى أبناء جلدته ما علم وما وعى، فبدأ مشواره التعليمي في كتاب سيدي فتح الله بتعليم صغار الصبيان القرآن الكريم. الذي كان به إماما للتراويح، دون أن ينسى طبعا العهد الذي عهد به لشيخه حمدان لونيسي بأن لا يقبل بالوظيفة الحكومية فيكون أداة في يد فرنسا تحركه كما تشاء.

وقد سطر لذلك منهجا لتربية النشء وطريقة خاصة رأى فيها النجاعة والقدرة على تحقيق أهدافه من وراء مسيرته التعليمية يقول في هذه الطريقة البشير الإبراهيمي: "وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا في المدينة، في تربية النشء، هي ألا نتوسع له في العلم، وإثما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلاميذنا"².

¹ وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية: عبد العزيز فيلاي. دار الهدى، الجزائر، 2012، ص27-28.

² تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس. اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود. دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، 1432هـ-2011م، ط2، مج1، ص12.

المرغل.....(بن باويس والجمع الجزائري... حالة اتفاق أم اختلاف؟)

إذن فالطريقة التي تبناها ابن باديس ورفاقه في رحلة النضال الفكري القائمة على التربية والتعليم تبين "حرصه على الكيف أكثر من حرصه على الكم، يرى التركيز على الفهم وإعمال الذهن وتشغيل قوى المخيلة، أكثر من شحن الذاكرة."¹

وقد كانت لابن باديس طريقة متميزة في التعامل مع طلبته " تتجلى في تلك الصلة الروحية المتينة التي تنشأ بين الأستاذ وتلاميذه، فقد كان يعاملهم معاملة خاصة من الحنان والحرص على مستقبلهم والتوجيه السليم لكل واحد منهم مما أنشأ بينه وبينهم رابطة قوية كان أساسها هذا النفوذ الروحي الذي أثر به على كل من تتلمذ عليه أو حضر دروسه. أو تابع محاضراته في نادي الترقى بالعاصمة ونادي صالح باي في مدينة قسنطينة.²

• أهدافه:

توجه عبد الحميد بن باديس أمام قرائه ومستمعيه بجمعية التربية والتعليم بسؤال إلى نفسه قائلاً: "لمن أعيش أنا؟" يريد من خلاله توضيح أهدافه وتعريف متلقي خطابه بغايته من الحياة حتى يفهموه ويستوعبوا فكره إذ يرى عبد الحميد بن باديس أن هناك ضرورة ملحة في "اجتهاد كل قوم جمعهم الله على عمل أن يفهم بعضهم بعضاً" خاصة وأن المتلقين لخطابه تطبعهم سمة التنوع والاختلاف في المشارب والاتجاهات والأفكار والطموحات فمنهم المثقف باللغة العربية وينتمي إلى التيار الإصلاحى المحافظ مثله ومنهم العامي المتأثر بخطابات ابن باديس ويسير على خطاه في فهم الدين والحياة ومنهم النخبة المثقفة باللغة الفرنسية وكذا الطرفين المتحالفين ضده وضد التيار الإصلاحى عموماً وهما فرنسا ورجال الطريقة. ثم أجاب عن سؤاله مباشرة وباختصار على مرأى ومسمع من المخاطبين قائلاً: "أعيش للإسلام وللجزائر" ولم يكتف بهذا القدر من الإجابة ففصل في غايته خشية اتهامه "بضييق النظر والتعصب للنفس والقصور في العمل والتقصير في النفع، إذ الإسلام ليس وحده

¹ دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية ج1 ص 416.

² الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر: ص170.

المردخل.....(ابن باديس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

دينا للبشرية ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان"، ثم طفق يوضح ويرر سبب عيشه للإسلام بأنه دين الإنسانية جمعاء الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به. إلا أن موضع الحجة الذي دفع بي إلى ذكر هذا الخطاب هو قوله: "أعيش للجزائر" مررا ذلك لمن يرون في هذا تقصيرا وتعصبا بالانتماء لوطنه فهو وطنه الخاص الذي تربطه بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل كما يحس تجاه وطنه أنه هو أساس بنائه فيقول: "أنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة" فيعترف له بالجميل ويدين له بتكوين شخصيته الفكرية والعلمية والسياسية. وإذا كان الشيخ يدين بالولاء للجزائر المسلمة بحكم الاتصال المباشر بها فيقول: "كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه وإلى رجاله وإلى ماله وإلى حاله وإلى آلامه إلى أماله....." من هذا القول ومن أقوال كثيرة وأفعال أكثر نستنتج أن رؤية الشيخ الاصلاحية بعيدة كل البعد عن الجهوية أو التعصب، فلا حدود للمكان الذي كرس لأجله عبد الحميد بن باديس حياته وأوقف علمه ومنهجه في تحقيق الخير لكل الإنسانية، فمن أين استوحى هذا الفكر وهذا العمق ومن أين استمد هذه الطاقة؟

لقد أرجع عبد الحميد بن باديس الفضل فيما وصل إليه إلى عوامل متعددة كان أولها تلك التنشئة الصالحة التي حظي بها في بيته، هذا المكان الذي تربطه علاقة انتماء تاريخية وثقافية وفكرية بقسنطينة فيستمد أفكاره وعاداته وتقاليده من بيوتها وشوارعها ومدارسها ومساجدها وتاريخها ورجالها و..... فوجد فيها مراكز التعليم من مساجد ومدارس ومكاتب وتعلمند لشيوخ يتخطون خطى السلف فقدموا له علما نافعا وفكرا سليما مؤسسا على منهج العقل والنقل الصحيح الموصول بسنده لرسول الله ﷺ، بعيدا عن البدع والطرفية المنتشرة حينها.

3- ابن باديس القائد:

● الشخصية القيادية:

تميز ابن باديس بالروح القيادية منذ صغره وهناك محطات أو هي ومضات من مسيرة

المدرخل.....(ابن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟

حياته تشير إلى رفضه أن يكون قاطرة تجرها عربة العادات والتقاليد أو المناهج القديمة وما كان عليه الآباء والأجداد، ومن هذه النماذج نظرتة للمناهج التي كان يتلقاها طلبة جامع الزيتونة، كما يبرز موقفه من الآراء المختلفة في القضايا الفقهية شخصيته القيادية التي لا تقف عند حفظ أقوال القدماء وتكرارها رغم تنوعها واختلافها ولكنه يسعى إلى إعمال عقله وتمحيص نظره فيها حتى يميز فيما بينها بين ما يراه صحيحا وما يرفضه، يقول في هذا الباب أحمد حماني: " لم يكن الشيخ أسير التقليد في تفكيره ولا في تفسيره ولا في سلوكه، وإنما كانت له شخصيته القوية واستقلاله الكامل، فكان له منهاجه الخاص به في التأويل وأسلوبه في الكتابة والإلقاء، وطريقته في الاستنتاج والاستنباط وفي الفهم والتفهم وفي القيادة والتدبر، وله إيمان بالله يهتدي بهديه، وغايته من وراء الدعوة والتذكير بالقرآن يسعى إلى تحقيقها."¹

وتعد ممارسة التعليم والإمامة من أهم مظاهر القيادة التي ليست ملكة متاحة لكل الناس، إذ تظهر من خلالهما قدرة الرجل على شد الانتباه وتوجيه العقول نحو ما يريده هو نفسه واتباعهم له، وترديد شعاره.

● **ابن باديس القائد السياسي:** كثيرا ما يثير اجتماع السياسة والدين لغطا وجدلا كبيرين حول حق العلماء المسلمين في خوض العمل السياسي، وقد استغرب

ابن باديس نفسه من انكار بعضهم لممارسة العلماء المسلمين للفعل السياسي: " ثم ما هذا العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا في السياسة؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس رشليو، أفيجوز الشيبى ويحسن إذا كان من هنا؟ كلا لا عيب ولا ملامة وإنما لكل امرئ ما اختار ويمدح ويذم على حسب سلوكه في اختياره"²

¹ الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني 1915-1998: جمعها أبو أسامة عمر خلفه. دار الفجر، 1432هـ - 2011م، ط1، ص420.

² الصراط السوي: عدد 15، 1352 - 1933.

المدخل.....(ابن باديس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

إن هذه الروح القيادية التي يتحلى بها عبد الحميد بن باديس تحتم عليه المشاركة في الحراك السياسي الذي كانت تبعاته السلبية جزءاً لا يتجزأ من مشروعه النهضوي الرامي إلى تغيير الوضع الذي تعيشه الجزائر، خاصة حين " تأكد لديه أن مهمته مهددة من طرف فرنسا المصرة على منع الإصلاح في الجزائر. لقد أدرك تفاهة أمل أن تساعد الحكومة في باريس الجزائريين في إعادة بناء أنفسهم. وكانت السلطة الحقيقية في يد المستوطنين وقد أظهروا استعداداً قليلاً للتخلي للتخلي عنها لصالح السكان المسلمين."¹

استمر ابن باديس في مشروع تغيير هذه الفكرة التي تنكر على العلماء المسلمين المشاركة في الفعل السياسي وتخصر عملهم في الجانب العلمي فنشر مقالا بعنوان " واجب العلماء في المجتمع" موضحا نظرة الإسلام لهذه القضية قائلا: " وهكذا فالإسلام لا يحجر على العلماء التدخل في أيّ شأن من الشؤون العامة - كما يزعم البعض في هذه البلاد- بل هم أولى من غيرهم بذلك وهم رعاة الأمة المسؤولون وليس لغيرهم أن يستهجن فعلهم أو يلومهم إذا هم قاموا بما يجب عليهم نحو أمتهم... وبعد فهل كان العلماء في كل أمة وفي كل عصر إلا قادة الفكر والسياسة والدين."²

ولم تظهر التصريحات السياسية من ابن باديس إلا بعد أن تأكد أن فرنسا لن تقف صامته أمام مشروع الإصلاح وأن " العصر عصر قوة لا عصر حق، فما دمنا نقدم الحق وندافع عنه وندافع عنه بصفته حق لا يعتمد إلا على النظرية والأقوال... علينا أن نكون أنفسنا تكويننا جديدا قويا وأن تكون قوتنا مادية فعلى قوة الكفاح السلمي إن تكلمنا استمع الناس أقوالنا وإن طلبنا أجاب الناس مطالبنا وإن اتجهنا نحو الحكومة عاملتنا كما تعامل تعامل الأقوياء لا كما تعاملنا اليوم."³

¹ عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية: أندري ديريليك. تقديم وترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني. عالم الأفكار، الجزائر، 2013، ص281.

² البصائر: ابن باديس. 28 شعبان 1355هـ-13 نوفمبر 1936م، ع43.

³ الشهاب فيفري 1938.

المدخل.....(بن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

● علاقته بالطرقية وعلاقته بالنخبة المثقفة باللغة الفرنسية: كانت الجهات التي يناضل إلى كسبها ابن باديس وضمها تحت لواء الفهم الصحيح للدين جبهات متنوعة ومتعددة أولها الطرقية التي كان يرى فيها سببا غير مباشر لظهور جبهات آخر تمثلت في الملحدون من الشباب الجزائري الذي انقاد وراء هذه الحركات الالحادية وهي ظاهرة تعود إلى قصور في تلقين العقيدة الإسلامية الصحيحة البعيدة عن الخرافة، إذ اصطدم أبناء الجزائر المتعلمين في المدارس الأوروبية بالتناقض الذي رأوه بين ما يلقى عليهم بعض من ينصبون أنفسهم دعاة وأئمة وبين حقائق الكون التي يتلقونها في مدارسهم الأوروبية ولذا عملت الجمعية كما يقول البشير الإبراهيمي على: "مقاومة الإلحاد بما يبثه رجالها من حقائق الدين وبما يشرحه في دروسهم ومحاضراتهم من مطابقتها بالعقل واتفاقه مع قضايا العقل واتفاقه مع قضايا العلم ومسارته للحياة المدنية وبما أرشدوا إليه من رعاية الأبناء والظهور أمامهم بمظهر القدوة الصالحة في الدين والخير والفضيلة."¹

كانت الطرقية أحد أهم العوائق في وجه عمل الجمعية مما جعلها لا تكتفي بتوجيه نظرها واهتمامها نحو الاستعمار الفرنسي وإنما نحو هذا العائق الداخلي الذي تحول إلى أداة طيعة بيده، مما جعل تخليص الناس من شروره من ضمن الأولويات التي لا تحتمل التأخير أو التأجيل لسبب أو لآخر لذا " اقتحمت جمعية العلماء منذ تأسيسها ميدان حرب مخوفة بالمزلق فحاربت أول محاربت أنصار الاستعمار تحت ستار الطرقية حتى تمكنت من تطهير الدين من الخرافات والبدع "²

كان تركيز العلماء على الهوية العربية -الإسلامية محاولة منهم لمواجهة الاديولوجيات الأجنبية وبالتالي إنهاء حالة الاغتراب السياسي والثقافي لمجتمعهم، ولقد سعت بناء على ذلك

¹ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - المنعقد بمركزها العام-نادي الترقى بالجزائر، دار الكتاب الجزائري، ص53.

² الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط4، 1984، ص69.

المرخل.....(بن باويس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي ومحاربة الخمر والآفات الاجتماعية ومحاربة الأمية والبطالة وكل ما من شأنه أن يمس بإحدى تعاليم الدين الإسلامي.¹

كان الشعور بالهم والحزن على وضع الجزائريين مسلوبي الهوية ومفتني العقول والقلوب بالحضارة الأوروبية واضحا في نصوص كثيرة والتي يقول في أحدها: "لقد كان هذا العبد يشاهد قبل عقد من السنين هذا القطر قريبا من الفناء، ليس له مدارس تعلمه، وليس له رجال يدافعون عنه، ويموتون عليه، بل كان في اضطراب دائم مستمر، وياليتيه كان في حالة هناء، وكان أبنائنا يومئذ لا يذهبون إلا للمدارس الأجنبية، التي لا تعطيهم غالبا من العلم إلا ذلك الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفاسف، حتى إن خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهم وقوميتهم وقد ينكرونها. هذه هي الحالة التي كنا عليها في تاريخنا الحديث، وما كنا لنرضى بها أو نبقى عليها وقد ولدتنا أمهات مسلمات جزائريات يأتين إلا أن نبقى كما ولدنا، وتأتى ثقافتنا ألا نرجع إلا لما عليه كنا.² لكن الجيل الذي نشأ في المدارس الفرنسية وقف حائرا في منتصف الطريق بين أن يكون فرنسيا بامتياز أو يكون الجزائري البسيط بثيابه التقليدية داخل حقله بأدواته البدائية، يتيمن بكلام الشيخ الذي أورثته عائلته طاعته وحب ولايته." هذه التناقضات أوقعت هؤلاء الشباب في مشكلات أهمها:

● مشكلة تتعلق بالعلاقة بين الدين والعقل.

● مشكلة الاغترار بالعلم والافتنان به.

● مشكلة علاقة الدين بالنهضة.³

ومردّ هذه المشكلات جميعها إلى الخرافات التي ألصقها الطرقيون بالدين مما أدى إلى تسلل الشك إلى نفوسهم لتنافيها مع العقل، فيردون تخلف المسلمين وتقهقر وضعهم إلى

¹ الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب - دراسة تداولية- عمر بلخير. دار الحكمة، الجزائر، 2009، دط، ص36.

² آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ص148.

³ جهود ابن باديس في مواجهة المشكلات العقديّة والفكرية: نور الدين سكحال. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

المدخل.....(ابن باديس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

الإسلام فتصبح أرقى نظرة ينظرون بها إلى الدين أنه دين تعبد ولا يصلح ليكون دين حياة ولا دين حضارة.

ركز ابن باديس على هذه النقاط لتكون مدخلا لإقناع النخبة المثقفة باللغة الفرنسية، فنجد اصراره على إظهار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتفسيره لآيات السنن الكونية وخلق الإنسان وبداية الخلق وعرضها على ما وصل إليه العلم الحديث: " لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية، ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه ﷺ وبرهانا لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان."¹

ويقول ابن باديس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبُتُّعُوا فَضَلًّا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلِّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء:12]

وكان الليل والنهار يتعاقبهما مقدرين بأوقات متفاوتة بالزيادة والنقص في الطول والقصر على نظام محكم وترتيب بديع، بحسب الفصول الشتوية والصيفية، وبحسب الأمكنة ومناطق الأرض، والمناطق الاستوائية، والقطبية الشمالية والجنوبية، وما بينهما، حتى يكونا في القطبين ليلة ويوما في السنة، ليلة فيها ستة أشهر هي شتاء القطبين، ويوم فيه ستة أشهر هو صيفهما. فهذا الترتيب والتقدير والتسيير دليل قاطع على وجود خالق حكيم قدير لطيف خبير.²

● **المثقف الحقيقي من منظور ابن باديس:** يضع ابن باديس مواصفات للمثقف الحقيقي، فيشترط له التحليق بجناحي العلم الدنيوي والثقافة الإسلامية معا، فيستطيع خدمة مجتمعه ولا يكون تابعا للغرب ومنبها بحضارته ومزدريا لمجتمعه وحاله التي آل إليها.

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 77.

² المرجع نفسه ص 154 .

المدرغل.....(ابن باديس والاجتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟

ويمثل ابن باديس لنماذج استطاعت التوفيق بين الأمرين ويفتخر بفعلهم في المحافل، فيقول في أستاذه البشير صفر "إنه رجل بنى ما أخذه من العلوم باللغات الأجنبية على ثقافة إسلامية عربية، وبذلك استطاع أن يخدم أمته وأن يحتل قلبها."¹

4- عبد الحميد ابن باديس مفسرا:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ووفق أساليب بيانهم فلم يجدوا عناءً في فهمه وإدراك تعاليمه ومقاصده، ومع اتساع المدة الزمنية التي تفصل بين عصر الرسول ﷺ وصحابته وبين العصور التالية لهم بما تحويه من ملابسات ومعطيات مغايرة لتلك التي كانت في مرحلة التزول ومرحلة التلقي الأول فأصبحت هناك حاجة ملحة لاكتناه هذه الرسالة اللسانية للوصول إلى مقاصدها المتعلقة بالإنسان وبعلاقته بربه ومحيطه، فكان التفسير هو القراءة المتجددة التي تبث من النص الواحد - القرآن الكريم - نصوصا تلو النصوص.

يخضع عنصر التجديد في إنتاج النصوص المفسرة لكلام الله - عز وجل - إلى اعتبارات عديدة ولعل أهمها يتعلق بروح العصر الذي انبثق عنه التفسير، فهذا تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد بن باديس قد أوجدته ظروف اجتماعية خاصة ضمن حقبة تاريخية ميزها الوجود الاستعماري وما يحمله هذا الوجود من تبعات كالجهد والامية وطمس الهوية ومحاولات الإدماج... إذ انطلق عبد الحميد بن باديس في فهمه للقرآن الكريم من حيث هو أعظم ما يحتاج إليه العباد للوصول إلى السعادة الحقيقية ويتم ذلك بإنارة العقول وزكاة النفوس واستقامة السلوك، فتوجه بهذا الفهم الحديث توجهها شفويا مباشرا ضمن مجالسه التي كانت تجمعهم وأنماط مختلفة من المتلقين منهم المثقف الذي يتفق معه في توجهه الفكري ومنهم العامي والجاهل ومنهم المعارض متمثلا في المستعمر وفي الطرقي. ففرض هذا التنوع في الخلفيات الفكرية وفي المنطلقات السياسية على المخاطب انتقاء معجم لغوي خاص ليتحقق من فحوى خطابه المقصد الذي يصبو إليه. فيقرب فهمه للقرآن الكريم

¹ آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ص317.

المرحلة.....(ابن باديس والجمتمع الجزائري...حالة اتفاق أم اختلاف؟)

إلى الفلاح الجزائري البسيط، ويصر المثقفين أمثاله بمقاصد القرآن الكريم، ويقنع معارضيه على اختلاف توجهاتهم بنجاعة القرآن ليكون حلاً لكل الأزمات المحيطة بالإنسان، وسبيلاً لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية.

ولا ينكر أحد الأثر الإيجابي الذي حققه ابن باديس بحركته الإصلاحية التجديدية في الجزائر التي تنوعت بين التعليم والتربية وإلقاء الخطب وإنشاء المجالس والنوادي وكذا تفسير كتاب الله وتفسير سنة نبيه ﷺ، في إحياء الأمة وإنقاذها من متهاتات الجهل والامية والخرافة التي أغرقت فيها ومن حالة الخمول والسلبية الناجمتين عن الفهم الخاطئ للدين وتلبس معانيه السامية ومنهجه السليم بالبدع والخرافات، فشككت الأمة في وجودها وفقدت ثقافتها بنفسها وكأها وصلت إلى مرحلة أيقنت فيها أنها غير قادرة على تسيير شؤونها بنفسها.¹

يمكننا الآن أن نجيب عن التساؤل المطروح في بداية البحث هل ابن باديس جزء من المجتمع الجزائري يشبه أفراده وبالتالي قادر على التواصل معهم أم هو مختلف عنهم له ثقافته ومعرفته التي اكتسبها من مصادر مختلفة، ابن باديس استطاع بذكائه أن يتزل من برج العلماء إلى أرض البسطاء ليحملهم معه إلى درجة من الرقي قد خطط لها مسبقاً، إذن فرسائله مدروسة وليست عشوائية يرميها بدقة لتصيب الهدف، إذن فكل كلامه وأسلوبه واختياراته اللفظية والتركيبة وانزياحاته واستعاراته ليست صدفا ولكنها وعي وانتقاء للوصول بالمتلقي إلى ما يطمح إله ابن باديس من نهضة وتجديد.

من آليات ابن باديس في تغيير النفوس وتحرير العقول تفسيره للقرآن الكريم يقول في ذلك البشير الإبراهيمي: "وله في القرآن رأي بني عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم، وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله"، فهناك سؤال يفرض نفسه بقوة في هذا المقام: ما هو الهدف الذي سعى لأجله نحو تفسير القرآن الكريم؟ ما هي منهجية ابن باديس في الوصول إلى أهدافه من التفسير.

¹ مجالس التذكير، مج1، ص12.

الفصل الأول

مجالس التذكير بين التفسير

والصحافة

تمهيد

المبحث الأول: مجالس التذكير والصحافة

المبحث الثاني: مجالس التذكير والتفسير

المبحث الثالث: مجالس التذكير الزكرو والواقع

الفصل الأول: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير بين التفسير والصحافة

تمهيد:

استمر عبد الحميد بن باديس في أماليه مدة 25 سنة، وهو يلقي دروس تفسير القرآن مشافهة على طلبته من أبناء قسنطينة والجزائر كلها، يعلمهم دينهم ولغتهم ومنهج الحياة التي يجب أن يكون عليها المسلم الحق، " بدأه في ربيع سنة 1332هـ-1914م وختمه في ربيع عام 1337هـ-1938م ولكنه لم يكتب منه إلا قليلا، وكان له في كل منها أسلوب وطريقة، يحس بذلك كل من استمع إليه بقلبه ارتجالا، أو قرأه مكتوبا بقلمه. بمجالس التذكير بمجلة الشهاب ومن جمع بينهما -سماعا وقراءة- تيقن أنه في الدرس الملقى أبلغ منه وأعظم تأثيرا منه في المكتوب المقروء وإن كان فيه موفقا عظيم التوفيق، إذ كان في إلقاء التفسير يبلغ به ما شاء الله أن يبلغ في نفوس السامعين وقلوب الواعين وعقول الحاضرين"¹

لم يدون ابن باديس أماليه ولا حتى طلبته الكثر فضاع كثر ثمين على الأمة، إلا أن نماذج منها قد بقيت محفوظة في فواتح مجلة الشهاب.... حيث كان ينشرها عبد الحميد بن باديس تحت مسمى " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير " ثم جمعت ونشرت لاحقا في طبعات متعددة تحمل العنوان ذاته.

أولها: نشرة أحمد بوشمال الذي جرّد من تلك المجالس آيات مختارة من سورة الفرقان فقط، وطبعت بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة 1367هـ-1948.

2- نشرة محمد الصالح رمضان بمشاركة محمد توفيق شاهين المصري، والتي ضمت جردا كاملا للمجالس المنشورة بالشهاب وطبع الكتاب بمطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة 1384هـ-1964م، ونشره الكتاب الجزائري بالجزائر.

1- نشرة وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، وطُبع بدار البعث بقسنطينة سنة 1403هـ-1983.

¹ الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني 1915-1998: جمعها أبو أسامة عمر خلفه. دار الفجر، 1432هـ-2011م، ط1، ص416.

2- نشرة دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1416هـ - 1995م وهي نسخة مصورة عن النشرة الثانية وعلق عليها وأخرج آياتها وأحاديثها أحمد شمس الدين.

3- أما الطبعة التي اعتمدت عليها في إنجاز هذه الدراسة هي نشرة دار الرشيد للكتاب والقرآن القرآن الكريم الجزائر ودار ابن حزم، اعتنى به وخرّج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود الطبعة الثانية 1432هـ - 2011م والتي تتألف من مجلدين.¹

المبحث الأول: مجالس التذكير ومقالات الصحافة

1- الصحافة الجزائرية - علم وعمل

تعتبر الصحافة المكتوبة من أهم وسائل الإعلام التي لجأ إليها الإنسان، واستخدمها لتزويده بالأخبار والمعلومات، فلاقت اقبالا جماهريا واسعا في كل المجتمعات وعلى مرّ الأزمنة.

1-1- الصحافة لغة:

" الصحيفة بكسر الصاد من صحيفة وجمعها صحائف أو صحف، والصحيفة هي الصفحة أو صفحة الوجه هي بشرة جلده، والصحف والصحائف هي الكتاب بمعنى الرسالة."² وقد جاءت في الذكر الحكيم بهذا المعنى للدلالة على الكتب السماوية: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى 18-19].

1-2- الصحافة اصطلاحا:

"هي مهنة قائمة على جمع الأخبار، وتحليلها، والتحقق من مدى مصداقيتها قبل تقديمها للجمهور، وتكون هذه الأخبار في معظم الأحيان متعلقة بالأحداث المستجدة، سواء كانت

¹ مجالس التذكير: مقدمة التحقيق مج1، ص31-32.

² المنجد في اللغة والإعلام. دار المشرق، بيروت، ط1، مادة (ص ح ف) .

سياسية أو ثقافية، أو محلية، أو رياضية، وغيرها كثير من المجالات المختلفة.¹

1-3- نشأة الصحافة وتطورها:

يرجع الدارسون ظهور الصحافة إلى منتصف القرن السادس عشر ميلادي في أوروبا، - إذا ما استبعدنا البدايات الأولية لها منذ أقدم العصور، مع الرواة والتدوين على الجدران وفي الكهوف. - ولكنها لا ترقى إلى المستوى الصحفي الحالي فقد كانت بدايات محتشمة عبارة عن صفحات تحمل أفكار أصحابها وموجهة إلى فئة بعينها، كما أن الرسالة تعد البدايات الأولى لنشأة الصحافة فقد كانت الوسيلة الوحيدة لنقل المعلومات والأخبار.²

وقد تأسست أول صحيفة في لندن London Gazett سنة 1695م، وصحيفة The Paris Dialy Couran سنة 1702، وفي عام 1777م نشأت أول صحيفة فرنسية بعنوان Paris Journal.³ وهكذا أخذت الصحافة في الانتشار والتنوع إلى أن دخلت العالم العربي مع الحملات الاستعمارية.

وكانت البدايات في مصر، حيث هيا لها نابليون بونابرت أسباب ذلك بإحضاره طابعة بالحروف العربية، فأصدرت أول جريدة بالعربية "المنبه" سنة 1800م. وهكذا توالى الإصدارات وانتشرت الصحف إلى أن دخلت الجزائر.

1-4- الصحافة في الجزائر

تفطن رجال الإصلاح في الجزائر إلى دور الصحافة المتعدد، وقدرتها على التأثير "وإيقاظ الشعوب وحماية النهضة، ورد المعتدين وقمع الظالمين، وفضح المستعمر حتى يراهم العالم في وجوههم الكالحة، ومناخرهم المخضبة بدماء الشعوب التي يأكلونها، فسارعوا إلى

¹ ينظر: لغة الصحافة المعاصر، ص14.

² ينظر: مقدمة في علم الاتصال: نبيل العارف الجردى. دار الخليل للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط3، 1995م، ص136-137.

³ . المرجع نفسه، ص173

الفصل الأول:.....مجالس التزكوير بين التفسير والصحافة

إنشاء الصحف الوطنية العربية فدعوا فيها إلى نبذ الخرافات والبدع التي تفسد الدين، وإلى التربية والتعليم، وإلى الاتحاد والتآزر وإلى الأخذ من حضارة أوروبا بكل حسن نافع وإلى كل ما يرقى الأمة من كل نواحيها.¹

ارتبط ظهور المقالة في العصر الحديث بظهور الصحافة في النصف الأول من القرن التاسع عشر بإصدار جريدة الوقائع المصرية 1828. بمصر وحديقة الآداب 1858 ببيروت والأهرام 1875. بمصر تأثرا بظهورها في الأدب الغربي.

أما أول صحيفة ظهرت في الجزائر هي جريدة الحق أنشأها في سنة 1894م في عناية السادة المصلحون الأدباء: سليمان بن بنقي، وعمر السمار، و خليل قايد العيون، وكانت مخصصة حسنة، أسبوعية دامت عاما، وقضى عليها الاستعمار. ثم صدرت كوكب افريقية للشيخ محمود كحول أنشأها في سنة 1907م ثم صحيفة الجزائر سنة 1908م وصحيفة ذو الفقار 1913م على يد الكاتب عمر راسم وجريدة الفاروق 1913م على يد عمر بن قدور.²

إلا أنها لم يكتب لها أن حققت الهدف المنوط من الصحيفة نظرا لتطويق المستعمر لأعمالهم وتحميده لطموحاتهم، ولكن يحسب لهما السبق وتمهيد الطريق لولوج عالم الصحافة الجزائرية.

حيث حذا حذوهم مجموعة من رجال الإصلاح واتخذوا من الصحافة أداة لنشر فكرهم وبسط آرائهم، فكانت بداية العشرينيات مهذا لظهور مجلات وصحف جزائرية عديدة مثل: الإقدام، والنجاح، والمنتقد، والسنة، والصراط، وصحف أبي يقظان..

وبذلك تعد فترة العشرينيات بداية فعلية لفن المقال بأنواعه الدينية والفكرية

¹ فضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: محمد علي دبوز. المطبعة العربية، الجزائر، طر، 1391هـ-1971م، ج2،

ص7.

² المصدر نفسه، ج2، ص11.

والاجتماعية والسياسية، وبرز عدد من الكتاب الجزائريين الذين أبدعوا في كتابة المقال واتخذوا منه قالباً للوصول إلى طبقات مختلفة من المجتمع وأولوه العناية شكلاً ومضموناً ومن هؤلاء: ابن باديس، الميلي، العربي التبسي، عبد الحفيظ الهاشمي، الإبراهيمي¹.

وقد بدأت صحف الإصلاح في الظهور عندما شعر المصلحون بأهمية الصحافة في نشر مبادئهم وانتقاد الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية التي كانت سائدة، وكذلك منازلة خصوم الإصلاح من طرفيين واندماجيين، "وقد أخذت مجلة الشهاب تدافع عن حقوق الجزائريين دون الطعن في الارتباط بالجمهورية الفرنسية، وتدعو للمشاركة السياسية وجمع الشمل ومحاربة الادمج والبدع والطرقية المرتبطة بالإدارة الفرنسية مع تليين لهجتها لتجنب مصير المنتقد."²

2- فن المقال - روح الصحافة:

2-1- المقال لغة:

جاء في القاموس المحيط: "القول الكلام أو كل لفظ مدل به اللسان، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل، والقول في الخير، والقال والقييل في الشر. أو القول مصدر والقول والقال اسمان له. أو قال قولاً وقيلاً وقولة ومقالة ومقالاً فيهما"³

وروي عن النابغة الذبياني معذراً للنعمان قوله:

مقاله أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع⁴

¹ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية: مازن صلاح حامد مطبقاني. عالم الأفكار، الجزائر، دط، 2011، ص62.

² تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013: فضيل دليو. دار هومة، الجزائر، ط1، 2014، ص87.

³ القاموس المحيط: الفيروزآبادي. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2009، ص1104.

⁴ ديوان النابغة الذبياني: تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، دط، ص80.

فمعناها اللغوي يحوم حول الدلالة اللغوية للفظة القول أي ما يتلفظ به.

2-2- اصطلاحا:

تعد المقالة نوعا فكريا تشكل الأحداث والظواهر والتطورات موضوعه. يتميز بمعالجة الموضوعات العامة والآنية بقدر من الشمولية والعمق، مستخدما أسلوب العرض والتحليل والاستنتاج. هادفا إلى تقديم رؤية فكرية لهذه الأحداث والظواهر، والتطورات.¹

يعد فن المقال من النصوص النثرية الحديثة في الكتابة الأدبية، مع أن معظم الدارسين يرون لها بدايات في الأدب العربي القديم " فقد عرفت بذور المقالة في القرن الثاني الهجري كما يتمثل ذلك في بعض رسائل عبد الحميد الكاتب ورسائل إخوان الصفاء وبعض الفصول من كتب ابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن خلدون...² ولكنها لم تعرف بالوجه الذي هي عليه إلا في القرن التاسع عشر.

3- المقالة الافتتاحية:

يتميز المقال الافتتاحي عن بقية الأنواع بتعبيره عن سياسة الصحيفة، واهتمامه بالقضايا الكبرى ذات الصلة بالمجتمع، فيحاول المحرر توجيه فكر المتلقين نحو ما يريده مستعينا بالأدلة النقلية والعقلية والأسلوبية. بلغة واضحة يفهمها المتلقون وأسلوب سهل لا يستعصى على القارئ البسيط.

وللمقال بناء فني خاص يتكون من ثلاثة أجزاء، مقدمة وجسم وخاتمة، ويتقدمها العنوان، ولا يمكن الاستغناء عن أيّ منها، ولكل منها خصائصه التي تميزه.

● العنوان:

العنوان لغة: جاء في لسان العرب عَنَّت الكتاب وأَعْنَتُهُ لكذا أي عَرَضَتْه له وصرفته

¹ فن المقال: جمال الجاسم الحمود. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ع1، 2008، ص445.

² أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج2، 108.

إليه. وَعَنَّ الكتاب يُعْنَهُ عَنَّا وَعَنَّته: كَعَنَّونه، وَعَنَّونته وَعَلَّونته بمعنى واحد، مشتق من المعنى. وقال اللحياني: عَنَّت الكتاب تَعْنِينَا وَعَنْيْتَهُ تَعْنِيَةٌ، إِذَا عَنَّونته، أَبَدَلُوا مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءَ، وَسَمِّيَ عُنُونًا لِأَنَّهُ يَعْنِي الْكِتَابَ مِنْ نَاحِيَتِهِ، وَأَصْلُهُ عُنَّانٌ، فَلَمَّا كَثُرَتِ النُّونَاتُ قَلَبْتُ إِحْدَاهَا وَاوًا، وَمَنْ قَالَ عُلُونًا الْكِتَابَ جَعَلَ النُّونَ لَامًا، لِأَنَّهُ أَحْفَ أَظْهَرَ مِنَ النُّونِ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَعْزِّضُ وَلَا يَبْرَحُ: قَدْ جَعَلَ كَذَا وَكَذَا عُنُونًا لِحَاجَتِهِ...¹

العنوان اصطلاحاً: العنوان علامة لغوية تعلق النص لتسميه وتحديدده وتغري القارئ بقراءته، وهو العتبة الأولى التي يطأها القارئ يولج منها إلى عالم النص، فهو الرسالة الأولى أو العلاقة الأولى التي تصلنا ونثقلها من ذلك العالم بصفة آلة لقراءة النص. هو لافتة دلالية ذات طاقات مكتتزة ومدخل أولي لا يبد منه لقراءته² ويعد العنوان أهم عتبات النص وهي ما تسمى النص الموازي أو النص المصاحب Para Texte بل هو نوع من التعالي النصي Transtectualite الذي يحدد مسار القارئ التي يمكن لها أن تبدأ من الرؤية الأولى للكتاب³ أو هو نواة أو مركز للنص يقدم لنا معرفة كبرى لضبط تماسك النص وفهم دلالاته.⁴

بصفة عامة تعد العناوين وسيلة لجذب المتلقي، ونافذة لغوية يطل منها القارئ على بعض الملامح الموجودة بالداخل. حيث إن عملية صياغة الخبر تتم على مستوى الخطاب ككل، لا على مستوى الجملة فقط، والعنصر الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثه يؤثر حتماً في فهم كل ما يأتي لاحقاً، هكذا يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه.

¹لسان العرب: ابن منظور. ضبطه وعلق عليه: خالد رشيد القاضي. دار صبح، بيروت/ دار إديسوفت، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م، مادة ع ن و.

²الشعر والتلقي - دراسات نقدية- عل جعفر العلاق. دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص173.

³العنوان في النص الابداعي -أهميته وأنواعه-: عبد القادر رحيم. جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008، ص

⁴ دينامية النص (تنظير وإنجاز): محمد مفتاح. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2010، ص72.

اختيار العنوان: يحمل النص فكرة يريد المتكلم أن يحمل المتلقي على الإيمان بها، من هنا كان لزاما على مرسلي الخطابات -نقادا ومبدعين ومتكلمين- التسلح بعدة آليات حجاجية يتم تأسيس النصوص عليها، بحيث تشكل بؤرا دلالية تجذب القراء والمؤولين¹ فإن التفاعل موجود، ولكن درجته هي التي تختلف، فليس هناك خطاب أحادي الجانب موجه إلى ذاته ينمو في انسجام وطمأنينة، وإنما لابد من وجود جانب آخر، وليكن ذات المرسل نفسها كما نجد في بعض أنواع الخطاب...² تنطلق عملية الاستضافة من العنوان الذي يمثل أهم عتبات النص لذلك حقيق به أن يحمل شحنة حجاجية معتبرة تدفع القارئ إلى ولوج عالم النص وتجاوز العتبة الأولى، مؤثرا فيه عن طريق آليات متنوعة تحملها تلك العبارة الموجزة.

ولذلك فاختيار العنوان مهمة صعبة وحساسة يقف عندها الكاتب مطولا بالتدبر والتأمل لانتقائه بعناية لما له من دور هام في استقطاب القراء وشد انتباههم وتحريك فضولهم نحو مواصلة قراءة النص بعد تفاعلهم مع النص الموازي -على حد تعبير جرار جنيت- ومن ثم توجيه رأي القارئ نحو رأي الكاتب وضمه إلى المجموعة التي ينتمي إليها. ولهذا وجب على الكاتب الاطلاع على الاهتمامات المشتركة للقراء، وانتقاء ما يناسب اهتماماتهم عند اختيار العنوان، لكي يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر من خلال تراكم علامات الاستفهام في ذهنه والتي بالطبع سببها الأول هو العنوان، فيضطر إلى دخول عالم النص بحثا عن إجابات لتلك التساؤلات بغية إسقاطها على العنوان.³

وقد أولى ابن باديس العنوان عناية خاصة، من عنوان المجلة إلى عناوين المقالات فالعناوين الثانوية. فلا تخلو محطة فكرية أو معرفية أو توجيهية من العنونة الخادمة للموضوع.

¹الحجاج في البلاغة المعاصرة-بحث في بلاغة القد المعاصر- محمد سالم الأمين طلبة. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص62.

²دينامية النص ص41-42.

وجاءت عناوين مقالات مجالس التذكير على النحو الآتي:

الآية	عنوان المقال
15-16- المائدة	1. دعوة أهل الكتاب
108 يوسف	2. سبيل السعادة والنجاح
النحل 125	3. كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها
الإسراء 12	4. آية الليل وآية النهار
الإسراء 18	5. إرادة الدنيا وإرادة الآخرة
الإسراء 80	6. صدق المدخل والمخرج
الإسراء 20	7. عموم النوال من الكبير المتعال
الإسراء 21	8. النظر في تفاضل البشر
الإسراء 22-39	9. أصول الهداية في ثمان عشرة آية
الإسراء 23	10. بر الوالدين
الإسراء 25	11. صلاح النفوس وإصلاحها
الإسراء 26	12. إيتاء الحقوق إلى أربابها
الإسراء 27	13. إخوان الشياطين
الإسراء 81	14. مجيء الحق وزهوق الباطل واستجابة دعاء الصادقين
الإسراء 28	15. حسن المقال عند العجز عن النوال
الإسراء 30	16. تفاوت الأرزاق من حكمة الخلاق

الإسراء 31-33	17. حفظ النفوس بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم العدوان
الإسراء	18. نجاة المعبودين بمداهم وهلاك العابدين بضلالهم
	19. الطور الأخير لكل أمة وعاقبته
الإسراء 82	20. القرآن شفاء ورحمة
مريم 96	21. الود من إكرام الله لأولياته
طه 114	22. من آداب المتعلم حسن التلقي وطلب المزيد
الحج 38	23. دفاع الله عن المؤمنين
الفرقان 63	24. الفرقان
الفرقان 62	25. تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل
الفرقان 63	26. القرآن يصف عباد الرحمن
الفرقان 70	27. استثناء التائبين من المذنبين
الفرقان 65-66	28. أيهما أكمل: العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة دونهما؟
يس 11	29. الحياة بعد الموت
الذاريات 47-51	30. الفرار إلى الله

● مقدمة:

لا يخلو المقال من المقدمة فهي توطئة تمهيدية تحمل القارئ تدريجياً إلى مضمون المقال، وتستدرجه إلى القراءة، وهيئة للتلقي والقبول، وقد تكون سبباً في نفوره وتحليه عن القراءة

إن لم تراعي المعايير الملائمة، ومن هذه المعايير:

"أن تتألف من معارف مسلم بها لدى القراء، وقصيرة متصلة بالموضوع معينة عليه." ¹
ولا بد أن تتوفر فيها أسباب جذب انتباه القارئ ودفعه للقراءة عن طريق الطرح المشوق للموضوع.

- وغالبا ما تحمل مقدمات مجالس التذكير مناسبة نزول الآية، فيفتح المقال بالآية ثم مناسبة نزولها وفي ذلك تحفيز للمتلقي على القراءة يجعله محيطا بتفاصيل الآية المكانية والزمانية، وتشويق لمعرفة أسباب التشريع المنصوص عليها أو الاحكام الصادرة فينقل المتلقي إلى حالة التلقي الأول، وهذا ما يخول لنا القول أنها مقدمات موفقة إلى حد كبير بحكم أنها حققت غايتها المتمثلة في جذب القارئ وتحفيزه لولوج النص كاملا.

ويعنون ابن باديس المقدمة غالبا ب: "بـ" المناسبة" ومن نماذج ذلك مقدمة مقالة "العلم والأخلاق" في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)﴾ (الإسراء: 36-37) إذ جاء في المقدمة: "العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان ينبنى عليهما كمال الإنسان، وبهما يضاعف بأعباء ما تضمنته الآيات المتقدمة من أصول التكليف، فهما أعظم مما تقدمهما من حيث توفقه عليهما، فجيء بهما بعده السكون ليكون الأسلوب من باب الترقى من الأدنى إلى الأعلى.

ولما كان العلم أساس الأخلاق قدمت آيته على آياتها تقدم الأصل على الفرع.²

- وترد المقدمة كذلك في شكل شرح بعض مفردات الآية، وغالبا ما يورد هذه المفردات مع مدلولاتها مباشرة بعد الآية وأحيانا أخر يضعها تحت عنوان الكلمات أو الألفاظ أو اللغة كما في مقال دفاع الله عن المؤمنين، ومقال أكل الحلال والعمل الصالح،

¹ الأسلوب: أحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966، ص94.

² مجالس التذكير، مج1، ص261.

ومقال الاجتماع العام للأمر الهام وارتباط الجماعة بأمر الإمام ومقال التكريم الرباني
للنوع الإنساني.....

- كما تأتي المقدمة في شكل توطئة لما يرد بعدها من تفصيل، أو مبدأ عام مشترك
ومتفق عليه، فتمهد الطريق للعرض فتكون أول خطوة للاستحواذ على عقل القارئ وجذبه
للقراءة والاختناع بالمقروء. ومن نماذج هذه المقدمات مقدمة المقال المعنون بـ " حفظ
النفوس بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم العدوان" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا
الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ فاستهل
حديثه بـ: "إن الأرواح الإنسانية كريمة الجوهر، لأنها من عالم النور، فقد خلقت من نفخ
الملك."¹

● العرض: إن المطلع على مجالس التذكير يرى ذلك التسلسل المنطقي في عرض الأفكار
والتدرج المدروس من عنصر إلى آخر فيفضي بك من فكرة إلى فكرة مكونا سلسلة من
المعلومات والتوجيهات المترابطة ينتقل فيها من الجزء إلى الكل في قالب تعليمي محض، يراعي
مستويات المتلقين، ولا يخلو من التمثيل والاستشهاد من الكتاب والسنة النبوية وأقوال
السلف والشعر والأمثال، ويحرص على الدقة والموضوعية واللغة السهلة الواضحة دون
الوقوع في استعمال العامية، إلا في بعض المواضع القليلة جدا والتي تظهر البعد الواقعي
والاجتماعي لتفسيره، إذ يلجأ إلى بعض الأمثال الشعبية والعبارات المتداولة عند العوام
مثل: "ربي وسيدي الشيخ" وكذا في تبيان بعض الأقوال الخاطئة التي يقولها المجتمع ظنا منه
أنه يحسن صنعا، وجهلا منهم أنها أقوال شركية، فكان ورودها في المجالس ضروريا حتى
يتجنبها الناس ويتفطنوا لأخطائهم.

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 238.

اعتمد ابن باديس في عرض أفكاره على التدرج والتسلسل المنطقي، فلا يفرغ من عنصر إلا ويربطه بما بعده، مع اختيار الألفاظ الواضحة، والأسلوب البسيط، ليصل إلى أكبر عدد من الجماهير.

● الخاتمة:

لا يخلو مقال من مقالات ابن باديس من الخاتمة التي في الغالب تأتي في شكل ملخص شامل لما ورد في العرض مع عمل تطبيقي، أو توصيات وتوجيهات، أو دعاء. أو الجمع بين هؤلاء جميعا، مع حرصه على عنوان الخاتمة بحسب مضمونها ومن أمثلة ذلك خاتمة المقال المعنون ب: كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها؟ فجاء عنوان الخاتمة: "ثمرة".

ثمرة العلم بهذا أن الداعي يدعو ولا ينقطع عن الدعوة ولو لم يتبعه أحد، لأنه يعلم أن أمر الهدى والضلال إلى الله، وإنما عليه البلاغ، وأنه يصبر على ما يلقي من إعراض وعناد وكيد وأذى دون أن يجازي بالمثل أو يفتر من دعوة من أذاه، لعلمه بأن الذي يجازي إنما هو الله. جعلنا الله والمسلمين من الدعوة إلى سبيله كما أمر، الصابرين المحتسبين أمام من آمن وشكر، ومن جحد وكفر، غير منتظرين إلا جزاءه، ولا متكئين إلا عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.¹ ومن نماذج اختتام المقال بالتحذير خاتمة المقال المعنون بدعاء غير الله - من دعا غير الله فقد عبد ما دعه وهو في عبادته من الخاسرين -.

فنون الخاتمة تحذير وإرشاد وجاء فيها: "فليحذر قراؤنا من أن يتوجهوا بشيء من دعائهم لغير الله، وليحذروا منه غيرهم. ولينشروا هذه الحقائق بين إخوانهم المسلمين بما استطاعوا عسى أن يتنبه الغافل ويتعلم الجاهل ويقنع الضالون عن ضلالهم، ولو بطريق التدرج، وبذلك يكون قراؤنا أدوا أمانة العلم وقاموا بفريضة النصح، وخدموا الإسلام والمسلمين."²

¹ مجالس التذكير: مج1، ص150.

² المصدر نفسه، مج1، ص299.

ومن النماذج التي جمع فيها بين التلخيص للعرض والتحذير والدعاء: خاتمة المقال المعنون بـ: "من آداب المتعلم حسن التلقي وطلب المزيد" فجاءت على النحو الآتي: "ما أكثر ما رأينا من قطعهم ما حصلوا من علم عن العلم، فوقف بهم عندما انتهوا إليه فحمدوا، وأكسبهم الغرور بما عندهم فتعظموا، وتكلموا فيما لم يعلموا فضلوا وأضلوا، وكانوا على أنفسهم وعلى الناس شر فتنة وأعظم بلاء.

فبمثل هذه الآية الكريمة يداوي نفسه من ابتلي بهذا المرض فيقلع عن جموده وغروره، ويزداد مما ليس عنده ممن عنده علم ما لم يعلم.

ويحذر من أن يقف عن طلب العلم مادام فيه زمن من الحياة، ويقتدي بهذا النبي الكريم ﷺ، فلن يزال يطلب من الله تعالى أن يزيده علما، ما ييسر له من أسباب، وما يفتح له من خزائن رحمته، وما يلقيه في قلبه من نور، وما يجعل له من فرقان، وما يوفقه إليه من أصل ذلك كله، وهو تقوى الله والعمل بما علمه.

نسأل الله لنا وللمسلمين العلم النافع والعمل الصالح، فهو ولي الهداية والتوفيق.¹

وما كان ينشره ابن باديس من تذكير من كلام الحكيم الخبير في افتتاحيات مجلة الشهاب، لا يخرج شكلا عن قالب الموضوع للمقال من عنوان، ومقدمة ومعالجة الموضوع والخاتمة. والتزام الموضوعية مراعى الأسلوب العلمي في العرض والتحليل.

وكما تمت الإشارة سابقا فالمقالات مقسمة إلى عناصر جزئية لكل عنصر منها عنوانه الخاص به، وهذا نموذج لبناء مقال من مقالات مجالس التذكير:

¹ مجالس التذكير: مج1، ص386-387

العنوان	الود من إكرام الله لأولياء الله
الآية	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾
المقدمة	سبب التزول ووعده السابقين
العرض	عموم الوعد لعموم اللفظ سبب الود وسبب الجعل بشارة وتثبيت دفع إشكال تفسير نبوي تبيين وتعيين
خاتمة	إرشاد

من الناحية الشكلية لم يخرج مجالس التذكير عن الشكل الصحفي، أما من حيث المضمون فلا بد أن نعرف أولاً أن للصحافة رهانان تعمل على صعيدهما "أما رهانها الأول فهو رهان تمثيلي، إذ إن المكونات المختلفة لهذا الخطاب تحمل الأفراد على بناء صورة ذهنية، تتشكل في أعماق تمثيلية اجتماعية مشتركة، تلعب دور المرشح Filtre التأويلي لكل ما يتلقاه من أخبار. أما الرهان الثاني فيكمن في لعب الصحافة دور تنظيم وتثبيت أنظمة القيم والمعتقدات التي تصير معايير لمختلف المجموعات سواء أكانت قومية أم محلية أم جهوية."¹

ومجالس التذكير عمل من بين الأعمال الكثيرة التي وظفها ابن باديس لتوجيه المجتمع وتغيير أفكاره البائدة، وتحرير عقله من القيود التي فرضها الطرقيون والمستعمر.

¹ الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب-دراسة تداولية- ص34.

لم يراع ابن باديس التسلسل في مجالس التذكير ترتيب سور القرآن الكريم، إذ يختار في كل عدد من المجلة آية من آيات كتاب الله ويقوم بتحليلها وتفسيرها واستنباط الأحكام والتوجيهات على ضوءها واستخراج الفوائد العلمية والعملية منها، فلا يخلو مقال من مقالاته من الجانب العملي أو التطبيقي المستثمر من الآية.

وقد تصرّف جامعو المقالات والمصنفون لها في إطار تفسير ابن باديس وفي طبقات متعددة في ترتيب المقالات المنشورة بترتيب زمني متسلسل وترتيبها وفق ترتيب المصحف فجاء التفسير مقسما إلى خمسة عشر سورة وهي:

1. سورة المائدة 15-16
2. سورة يوسف 108
3. سورة النحل 125
4. سورة الإسراء 12- 18-20-21-22 إلى 39-
5. سورة مريم 96
6. سورة طه 114
7. سورة الأنبياء 105
8. سورة الحج 38
9. سورة المؤمنون 51
10. سورة النور 62-63
11. سورة الفرقان 1-2
12. سورة النمل 15-36
13. سورة يس
14. سورة الذاريات 47-51
15. المعوذتين بقلم البشير الإبراهيمي.

الفصل الأول: مجالس التزكير بين التفسير والصحافة

لكن ترتيب هذه المقالات في إصدارها ونشرها في مجلة الشهاب جاءت على النحو

الآتي:

السورة	العنوان	تاريخ النشر	ملاحظة
الإسراء	آية الليل والنهار	جانفي 1930	
الإسراء	عموم النوال من الكرم المتعال	فيفري 1930	
الإسراء	النظر في تفاضل البشر	مارس 1930	
الإسراء	أصول الهداية في ثمان عشر آية	أفريل 1930	
الإسراء	بر الوالدين	ماي 1930	
	صلاح النفوس وإصلاحها	جوان 1930	
الإسراء	- إيتاء الحقوق لأربابها - الإنفاق في غير وجه شرعي - إخوان الشياطين - حسن المقال عند العجز عن النوال - العدل في الإنفاق	جويلية 1930	
الإسراء	حفظ النفوس بحفظ الفرج وعدم العدوان	أوت 1930	
الإسراء	- حفظ الأموال باحترام الملكية - الوفاء بالعهد - إيفاء الحقوق عند التعامل - الترغيب في إيفاء الكيل	سبتمبر 1930	
الإسراء	العلم والأخلاق	أكتوبر 1930	
الإسراء	- آية الأخلاق - تأكيد الأوامر والنواهي المتقدمة بطريق الإيجاز	نوفمبر 1930	

		- مكانة هذه الأصول علما وعملا - ختام الآيات	
	ديسمبر 1930	- القول الحسن - التحذير من كيد العدو الفتان - المحاسنة على الحال والظاهر والتفويض إلى الله تعالى في العواقب والسرائر	الإسراء
	جانفي 1931	- دعاء غير الله من دعا غير الله فقد عبد ما دعه وهو في عبادته من الخاسرين - نجاة المعبودين بمداهم وهلاك العابدين بضلالهم	الإسراء
	فيفري 1931	الطور الأخير لكل أمة وعاقبته	الإسراء
	مارس 1931	التكريم الرباني للنوع الإنساني	الإسراء
	مارس 1931	الصلاة لأوقاتها - نافلة الليل وحسن عاقبتها	الإسراء
	أفريل 1931	- صدق المدخل والمخرج - مجيء الحق وزهوق الباطل واستجابة دعاء الصادقين	الإسراء 80-81
	ماي 1931	القرآن شفاء ورحمة	الإسراء 82
	جويلية 1931	- صفتان من صفات النوع الإنساني: الإعراض عن النعمة واليأس من الرحمة - مباينة سلوك أهل الحق لأهل الباطل	الإسراء 83-84
	ديسمبر 1931	الفرقان	الفرقان 1-2

	الفرقان 20	-مترلة الرسالة العلية والضرورات البشرية -فتنة العباد بعضهم ببعض	جانفي 1932
	الفرقان	ندامة الظالم على تركه السبيل القويم وصحبه للمضلين -شكوى النبي الكريم من هجر القرآن الكريم. -التسلية والتثبيت للنبي	فيفري 1932
	الفرقان 32-34	-تثبيت القلوب بالقرآن العظيم -الحق والبيان في آيات القرآن -حشر الكفار إلى النار	مارس 1932
	الفرقان 51	-من إكرام الله تعالى عبده، تحميله أعباء الرسالة وحده. -عدم طاعة الكافرين والجهاد بالقرآن	أفريل 1932
	الفرقان 62	تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل	ماي 1932
	الفرقان 63	القرآن يصف عباد الرحمن-الصفة الأولى والثانية-	جوان 1932
	الفرقان 64-66	الصفة الثالثة والرابعة	سبتمبر 1932
تم تفسير الآية سابقا ولكنه لجأ إليه لمعالجة قضية طارئة وردا على مقال الشيخ الحافظي في جريدة البلاغ، ثم رجع	الفرقان 65	أيهما أكمل: العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة دونهما؟	جانفي 1933

لسلسلة صفات عباد الرحمن من جديد.			
	أكتوبر 1932	الصفة الخامسة	الفرقان 67
	نوفمبر 1932	-الصفة السادسة والسابعة والثامنة -الوعيد بالعذاب الشديد	الفرقان 68
	ديسمبر 1932	-استثناء التائبين من المذنبين -بشارة التائبين إلى رب العالمين	الفرقان 70-71
	فيفري 1933	الصفة التاسعة والعاشر	الفرقان 72
	مارس 1933	الصفة الحادية عشر	الفرقان 73
	ماي 1933	الصفة الثانية عشر	الفرقان 74
	جوان 1933	جزاء عباد الرحمن	الفرقان 75-76
	جويلية 1933	قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم	الفرقان 77
	أفريل 1935	سبيل السعادة والنجاة	يوسف
	ماي 1935	كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها	النحل
	جوان 1935	دعوة أهل الكتاب	المائدة
	جويلية 1935	الود من إكرام الله لأولياءه	مريم
	أوت 1935	طلب العلم	طه
	سبتمبر 1935	من وعد الله للصالحين	الأنبياء
	ديسمبر 1935	دفاع الله عن المؤمنين	الحج
	فيفري 1936	أكل الحلال والعمل الصالح	المؤمنون
	مارس 1937	الاجتماع العام للأمر الهام وارتباط	النور

		الجماعة بأمر الإمام	
	ماي 1937	كلام الظالمين في الكتاب الحكيم والرسول الكريم ورد رب العالمين.	الفرقان
	جوان وجويلية 1938		الفلق والناس
	فيفري 1939	الفرار إلى الله	الذاريات
	أوت 1939	ملك النبوة: مجمع الحق والخير، ومظهر الجمال والقوة	النمل (15-36)

خلاصة:

انطلاقاً من هذه المقالات وتوزيعها نلاحظ أنّها مقالات أساسها الذي بنيت عليه هو الآية القرآنية يطلّ منها على الحل الذي يرحوه لتحرير مجتمعه من قيود الجهل والتخلف والتبعية، وينتقل به من حال الذل والهوان إلى حالة الحرية والكرامة.

" فطموحه إلى التفسير هدف مبدئياً إلى الحد من تأثير التقليد الذي كان سائداً في أمته، وتحديد العلوم الإسلامية بدوره كان سيعيد الاعتبار للعلماء في المجتمع.¹

فابن باديس رجل علم وعمل لا انفصام بين المفردتين عنده خطياً وتطبيقياً، ولذلك كانت مجالسه تنبض بالروح الجزائرية، وتمس كل لبنة فيها إضافة لبناء مجتمعه من جديد والنهوض بأبناء الشعب الجزائري من الكبوة التي أوقعهم فيها الاحتلال الغاشم، وجامعة كذلك لكل ما يحيي فيهم روح المقاومة -والجهاد المقدس- لتغيير تلك الأوضاع الجائرة، ولكل ما يبعث فيهم الثقة بالنفس، ويفتح أمامهم أبواب الحياة الحرة الكريمة، من أوسع

¹ عبد الحميد بن باديس -مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية- ص 232.

وأرحب ما تتطلبه الحياة الكريمة في العصر الحديث.¹

لأن غايته ليست اصدار كتاب تفسير، ولكن غايته كانت التذكير فكان يتخير ما يجد فيه الأنسب لتحقيق الغاية الاصلاحية والنهضوية في الجزائر انطلاقا من معطيات المكان والزمان والظروف التي تحيله إلى تخيير استنباط أحكام هذه الآية في هذا التوقيت بالتحديد.

لقد عمّ النص عبارات انطلاقته من المجتمع الجزائري ومن هذه العبارات: "أكثر الخطابات في الجمعيات اليوم في قطرنا يخطبون في الناس بخطب معقدة مسجعة طويلة من مخلفات الماضي....."²

● ومن المواضيع التي تبرز فيها المجتمع الجزائري تصحيحه للعقيدة من خلال عرض نماذج لأقوال يرددونها الجزائريون عادة دون دراية منهم أنها أقوال تدخلهم في باب الشرك " ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس: "يا رب والشيخ"، "يا رب وناس ربي"، "يا رب والناس الملاح"³

¹ الشيخ عبد الحميد بن باديس - باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة ص 166.

² مجالس التذكير، مج 1، ص 145.

³ المصدر نفسه، مج 2، ص 261.

المبحث الثاني: مجالس التذكير كتاب تفسير:

لقد أنزل الله القرآن ليكون هداية للناس، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:9)، ويحمل رسالة الله الخاتمة إلى العالمين، ﴿وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام:19)، فجعله الله كتاباً مصداقاً ومهيماً ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة:48)، وجعله الله كتاباً مبيناً وعريباً، ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ - إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:1-2)، لكنه رغم وضوحه وجلاء الرسالة التي يحملها يكتنف من المعاني ما لا ينقضي ومن الدلائل ما لا ينفد مهما طال البحث عنها، فهو كتاب إلهي يخاطب العالمين، وهو كما وصف كتاب لا يخلق على كثرة الرد، ولا يحيط بكلماته زمان أو مكان، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف:109).

هذه الخصائص لكتاب الله عز وجل تجعل المسؤولية نحوه أكبر وأعمق من أن يتم اختزال العلاقة معه على أنه نص للتعبد فقط، ففيه نظام وإحكام لم يكتشف منه المفسرون والدارسون له إلا القليل، وسيبقى الزمن أهم مفسر للقرآن بما يستجد فيه من علوم ومعارف يمكن أن تسهم في اكتناه معانيه، وقد أدرك المتقدمون ما للعلوم على اختلافها من أثر في فهم القرآن سواء بالفهم المباشر له كعلوم القرآن أو غير المباشر كالعلوم التي تنمي ثقافة المفسر التي تؤثر بدورها في تفسيره، حتى وصل الأمر بالإمام ابن عطية الأندلسي إلى القول: "كتاب الله لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه"¹.

ولعل أهم العلوم ذات الأثر في فهم كتاب الله هي علوم اللغة، والتي شهدت تطوراً في التقعيد والتصنيف والتحليل، وقد اعتنى المسلمون مبكراً باللغة العربية، وكان الدافع الرئيس لذلك يرتبط بفهم كتاب الله عز وجل.

¹الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: 1 - دار

1- مفهوم التفسير

1-1- الدلالة اللغوية:

جاء في لسان العرب في مادة ف س ر الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم، فسرا وفسره: أبانه والتفسير مثله. وقال ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل { وأحسن تفسيراً }. الفسر: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.

واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي.¹

جاء في لسان العرب تحت جذر فسر:

فسر: الفسر: البيان. فسّر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله، ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقوله عز وجل: ((وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)) (الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر).

بعد تتبع المعاجم اللغوية وكتب معاني القرآن نجد أن مادة (س ف ر) تدور حول معاني الوضوح والكشف والبيان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان 33].

وقال السيوطي: "التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر، تقول أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مأخوذ من التسفرة وهي اسم لما به الطبيب المرض".²

¹ لسان العرب: ج10، مادة (ف س ر) .

² الاتقان في علوم القرآن مج9، ص1409.

وجاء في مفردات غريب القرآن: "التفسير إظهار المعنى المعقول والتفسير في مبالغة كالفسر"¹

إذن فالدلالة الصرفية صيغة تضيفها على المعنى الإفرادي للكلمة إضافة إلى دلالتها المعجمية التي تشترك فيها مع كلمات لها المصدر الاشتقاقي نفسه. فالقالب الصرفي لكلمة تفسير هو تفعيل وصيغة تفعيل تفيد المبالغة والتكرار.

وقال البشير الإبراهيمي في التفسير في مقدمة مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: "تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه، والتفهيم تابع للفهم، فمن حسن فهمه أحسن تفهيمه وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس"².

ألمح البشير الإبراهيمي في قوله أن الفسر هو الفهم أمّا التفسير فهو التفهيم التابع للفهم الصحيح، إذن فالتفسير هو إضافة إلى التكرار والمبالغة ومحاولة الشرح وإعادة حتى يصل إلى المتلقي واضحا.

1-2- الدلالة الاصطلاحية:

تنوع الدلالة الاصطلاحية للتفسير بتنوع الغاية منه، والغاية من التفسير تتغير من عصر إلى آخر، ولذلك من الصعب أن نضع تعريفا اصطلاحيا واحدا فنقصر النظر إلى التفسير من زاوية واحدة ونقصي الدلالات الأخرى.

مر مفهوم التفسير بتطورات مرحلية تحكمها البيئة والظروف التي أثمرت كتب التفاسير أو كتب معاني القرآن التي تحيل مفهوم التفسير إلى وجهة معينة وتحدد الغاية منه. ومن المفاهيم التي طبعت المراحل الأولى للتفسير قولهم:

ويقول أبو حيان التوحيدي 754هـ " هو شرح اللفظ المستغلق عند السامع بما هو

¹ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. التحقيق والاعداد بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، د.ت، ص491.

² مجالس التذكير، مج1، ص6.

واضح عنده مما يرادفه أو يقاربه أو له دلالة عليه بإحدى طرق الدلالات " وتفسير القرآن هو "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك"¹

ويقول الزركشي: " علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"²

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه قال: " التفاسير على أربعة أوجه:

أ. تفسير تعرفه العرب من كلامها، قال ابن خلدون في ذلك: " اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداتهم وتراكيبه...."³ مع وجود تفاوت في هذه المعرفة لأن الصحابة لم يكونوا كلهم على قدر واحد من الفصاحة والبيان ومن المؤكد أن تغيب عن بعضهم بعض المعاني اللفظية أو التركيبية كما نقل في بعض الروايات، مثلما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين لم يعرف معنا لكلمة "أبا" في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس 31] ومانقل عن ابن مسعود في عدم معرفته لمعنى كلمة "فاطر" حتى سمعها من أعرابي يثبت أحقيته ببئر هو من فطرها أي ابتدأها⁴، ولكنه في مجمله وعمومه واضح عندهم.

ب. وتفسير لا يعذر أحد بجهله.

ج. وتفسير يعلمه العلماء.

د. وتفسير لا يعلمه إلا الله، فمن ادّعى علمه فقد كذب.

وكسائر العلوم -في بداياتها- تتسم بطابع الشمولية والتداخل فيما بينها، بدأ علم

¹ البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي. عناية: صدقي محمد جميل. ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2010، دط، ج1، ص26.

² الإتيان، ج2، ص174

³ المقدمة: ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد الوافي. ص1130.

⁴ الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص113.

التفسير جزءاً من علم الحديث يظهر في شكل روايات بعض الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وعلي بن أبي طالب " ومن المعلوم أن الحديث كان هو المادة الواسعة التي شملت جميع المعارف الدينية تقريباً، لأنه كان يقوم على الرواية، التي هي الأصل في نقل جميع العلوم الدينية واللغوية والأدبية...¹ ثم بدأت تتسع دائرة التفسير وتأخذ طابع الاستقلالية مع التابعين الذين أخذوا ينقلون كلام الصحابة في تفسير القرآن ويجمعونه ليصبح علماً قائماً بنفسه ومستقلاً عن علم الحديث، كتفسير بقي بن مخلد الأندلسي (ت276هـ) وابن جرير الطبري (ت310هـ)²

فالمفسر يستند في تفسيره إلى ركائز تحصنه أن يجيد عن الصواب ويجانبه إلى القول عن القرآن بما ليس فيه و" أحسن طرق التفسير وأصحها، تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، ثم بكلام الصحابة، ثم بكلام التابعين، ثم الاجتهاد وبذل الوسع في معرفة المراد من كلام الله سبحانه، مع التدبّر الصادق، وسلامة الوجهة، وإخلاص القصد لله رب العالمين"³. وعلى تنوع تعريفات التفسير فكلها يصبّ في فلك واحد وهو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر اتيعاب الطاقة البشرية في تلك المرحلة الزمنية، وبما يناسب أدواتهم

2- التفسير - النشأة والتطور -

● **النشأة:** تقترن نشأة التفسير بتزول القرآن الكريم، حيث كان الرسول ﷺ يتولى بنفسه تبيينه وتوضيحه للناس، ثم بعد وفاة الرسول ﷺ تولى الصحابة رضوان الله عليهم تبيان ألفاظه ومعانيه ومقاصده للناس، وقد كانوا يتفقون في شيء ويختلفون في آخر وهذه هي المرحلة الأولى للتفسير وتسمى مرحلة الصحابة:

¹ مدخل إلى القرآن الكريم: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007م، ص404.

² ينظر: المرجع نفسه: ص404-406.

³ كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري. تح: سعد بن محمد السعد. دار المآثر،

الفصل الأول: مجالس التزكّير بين التفسير والصحافة

إن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا عربا خلصا يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميّه بمقتضى سليقتهم العربيّة، وقد كانوا إذا ما خفي عليهم معنى رجعوا إلى الرسول ﷺ «فبيّن لهم ذلك ويوضحه لهم وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهادهم، وقد كان التفاوت بينهم واضحا في هذه الرتبة فكان بعضهم يرجع إلى بعض إذا التفاوت فيها راجع إلى قوة الفهم والإدراك والتفاوت في ما أحاط بالآية من ظروف وملابسات»¹

ويتميز تفسير هذه المرحلة بما يلي:²

- قلة الأخذ بالإسرائيليات وتناولها في التفسير، لحرصه ﷺ على اقتصار المسلمين على الاستسقاء من نبع الإسلام الصافي الذي لم تكدره الأهواء.

- لم يكن تفسيراً شاملاً: إذا لم يشمل القرآن كله فبعض الآيات واضحة لديهم لا تحتاج إلى خوض في تفسيرها لتضلّعهم في اللغة ومعرفته بأحوال المجتمع آنذاك وأسباب التزول وغير ذلك.

- لم يكن تفسير هذه المرحلة متكلفا فيه، إذ كانوا يكتبون بالمعنى العام، ولا يلتزمون بالتفصيل كانوا يكتبون بالمعنى العام، ولا يلتزمون بالتفصيل بما لا فائدة في تفصيله.

- قلة تدوين التفسير ويرجع ذلك إلى نهي ﷺ أول الأمر عن كتابة شيء غير القرآن خشية أن يلتبس عليهم كلامه بالآيات القرآنية ثم أذن لهم بالكتابة بعد أن أمن عليه اللبس.

المرحلة الثانية:

وتسمى مرحلة التابعين وقد تلقوا تفسيرهم من الصحابة، وتمتاز هذه المرحلة:³

- اتساع رواية الإسرائيليات بسبب دخول كبير من أهل الكتاب في الإسلام... فقد تساهل بعضهم فزج في التفسير بكثير من الإسرائيليات دون تحرر ونقذ.

¹ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد بن عبد الرحمان، ج1، ط2، 1983، ص18.

² المرجع نفسه، ص19.

³ المرجع نفسه، ص21.

- كثرة الخلافات التفسيرية وزيادتها عمّا كانت عليه، فقد زادوا على تفسير الصحابة آراؤهم حسب إجماعهم ومن ثم زادت الأقوال والتفسيرات في الآية الواحدة.
- ازداد التدوين للتفسير في هذه الفترة أكثر من عصر الصحابة لازدياد الحركة العلمية.

• تطور التفسير:

المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة أخذ التفسير طابعا علمياً حيث أصبح علما قائما بذاته له أصوله ومناهجه، وظهرت فيه مدارس متعددة، وكان التفسير بالمأثور، التفسير بالمعقول، التفسير البياني واللغوي، والتفسير القصصي أهم ما تميز هذه المرحلة¹

تميز التفسير في هذه المرحلة بتطور كبير، فقد نشط نشاطا كبيرا، وعرفت بمرحلة التدوين، وقد تميّزت هذه المرحلة بـ².

- الاعتناء بالإسناد
- لم تكن التفسيرات المدونة كلها مرفوعة إلى النبي ﷺ بل ضُمَّ إليها تفاسير الصحابة والتابعين.
- زيادة الإسرائيليات التي اتسعت في هذه المرحلة بشكل كبير.
- اتساع تفسير القرآن الكريم بالرأي.

المرحلة الرابعة:

تسمى بمرحلة التصنيف، حيث صنف التفسير مستقلا عن الحديث شاملا لآيات القرآن

¹ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، ج1، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، لبنان، 1983، ص20.

² منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص 22.

مرتباً حسب ترتيب المصحف، وقد تميزت هذه المرحلة بـ¹

- ما دون فيها كان بالتفسير المأثور عن الرسول ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم، وكان مشوباً بالرأي وتأيد بعض المذاهب.

- الاعتناء بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير المرؤي.

- لم تكن لهم عناية بالنقد وتحري الصحّة في الرواية الأحاديث في التفسير.

- اتساع دائرة الإسرائيليات في تلك الفترة كما دون منها أيضاً الكثير.

المرحلة الخامسة:

في هذه المرحلة أخذ التفسير مسارا أزم الفكر الإسلامي وتعتبر هذه المرحلة منعطفاً خطيراً في تاريخ التفسير، حيث ظهر بعض القراء الحدائين الذين خرجوا عن التفسير الصحيح إلى التأويل اللانهائي المتأزم، والذي يتنافى وروح القرآن، وعقيدة الإسلام وقد شكل التفسير بالرأي دعامة أساسية لهذه القراءات المأزومة، وإذ به تجرؤوا على القول في القرآن الكريم، فجمعوا الأقوال الكثيرة الصحيحة والسقيمة للآية الواحدة، وقد تميزت هذه المرحلة بـ²:

1- التطرف في رواية الإسرائيليات.

2- اختصار الأسانيد، ونقل الأقوال المأثورة في التفسير عن السلف دون نسبتها لقائلها.

3- وضع كثير من الأحاديث المكذوبة ونسبتها إلى الرسول ﷺ وإلى أصحابه.

4- تزييف الحقائق وتبرير آراء مغلوطة وبتّها بين الناس.

¹ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص 24-25.

² المرجع نفسه، ص 26-27.

3 التفسير - الأهمية والأقسام والأنواع -

• أهمية التفسير:

يعد التفسير أهم خطاب ولج إلى عالم المعنى والمقاصد المتعلقة بالقرآن الكريم، وتمثل أهميته في:

- يعبر الجسر الموصل إلى أحكام القرآن ومعانيه، وأنه المفتاح للوقوف على مقاصده.¹

- يساعد على فهم وإدراك معاني القرآن.²

- إن العمل بتعاليم القرآن ونظمه الحكمة، يتحقق بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوى من نضج ورشد ولا يتحقق هذا إلا بالكشف والبيان عن ألفاظ ومعان القرآن بواسطة التفسير.³

• أساليب التفسير:

للمفسرين في التفسير أربعة أساليب هي:

1- التفسير التحليلي: وهو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب

المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلّق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.⁴

2- التفسير الإجمالي: هو الأسلوب الذي يعمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب

ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل فيها متبعا ما ترمي إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك

¹ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص 09.

² حاشية مقدمة التفسير: الحنبلي النجدي، 1312هـ - 1392هـ، دط، ص 10.

³ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2، ح، فواز أحمد ترملي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص08.

⁴ بحوث في أصول التفسير ومناهجه: الرومي، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ، ص57.

بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتوضح مقاصدها للقارئ والمستمع أو يمكن القول بالتفسير الإجمالي وهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة إلاً أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كلّ مجموعة بتفسير معانيها.

مظهراً مراميها، مورداً بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني¹.

ومن أمثلة المؤلفات بهذا الأسلوب من التفسير:

- تفسير كلام المنان: عبد الرحمان سعدي.

- التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري.

- تفسير الأجزاء العشرة الأولى: محمود شلتوت.

3- التفسير المقارن: وهو الذي يعتمد فيه المفسر على الآية أو الآيات فيجمع ما حول

موضوعها من نصوص، سواء كانت نصوص قرآنية أخرى أو نصوص نبوية (أحاديث)، أو للصحابة، أو التابعين أو المفسرين أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يقارن بين هذه النصوص، ويوازن بين الآراء، ويستعرض الأدلة ويبين الرّاجح وينقص المرجوح.⁽²⁾

4 - التفسير الموضوعي: هو أسلوب لا يفسر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب

ترتيب المصحف بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد فيفسرها... وقيل هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، ويعود هذا النوع من التفسير إلى عهد النبوة وبقي مستمراً إلى يومنا هذا، إلا أن المصطلح (التفسير الموضوعي) لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر ويتمثل التفسير الموضوعي في:

- تفسير القرآن بالقرآن.

¹بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص59.

²المرجع نفسه، ص60.

- تفسير آيات الأحكام.

- الأشباه والنظائر.

- الدراسات التفسيرية.

ويبقى هذا النوع من التفسير هو التفسير الذي يجعل همّ الموضوع ذاته، ولا يشغل نفسه بذكر القراءات، ووجوه الإعراب وصور البلاغة، إلّا ما يخدم الموضوع منها.¹

والقول: "مارس ذلك بتعليم أو تأليف" يعني أنّه لا يكون مفسراً بمجرد العلم بجملته من التفسير، بل يكون ناقلاً لتلك الجمل التي حفظها وعلمها.²

• أدوات المفسرين في العصور الأولى للتفسير وغاياتهم:

اعتمد القدامى على العلوم اللغوية للولوج إلى مغاليق النص القرآني، ويعتبر النحو أهم أدوات فهم النص القرآني وتفسيره واستنباط الأحكام الفقهية على ضوءه وقواعده، فالنحو أداة مهمّة من أدوات التحليل اللساني مما جعل الأقدمين يتوسّلون معنى الكتاب الحكيم من خلاله. ومن هنا يتّضح لنا أهميّة النحو في تبين أصول المقاصد بالدلالة عليها وذلك بمعرفة الضّمائم الموجودة بين الدّوال في الجمل.

وقد نحا الجرجاني هذا المنحى حينما قال: "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتّى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتّى يكون هو المستخرج لها وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتّى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتّى يرجع إليه".³

¹ بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 62.

² قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية - : حسن بن علي الحربي، ج 1، دار قاسم، الرياض، ط 1، 1996، ص 33.

³ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود شاكر. شركة القدس للنشر والتوزيع، 1413هـ-1992م، ط 3، ص 28.

وعلى الرغم من أهمية التحو في توسّل المعنى، إلّا أنّه من النّاحية العلميّة والمنهجية لا يمكن فهم الخطاب القرآني أو الآية القرآنية من خلال مستوى واحد من مستويات التحليل اللّساني، فهناك الصّوت باعتباره المادّة الخام للغة، والصّرف والدّلالة والبلاغة والمعجم وغيرها، لأنّ القرآن لا بدّ أن ننظر إليه بنظرة شمولية، فلا بد من الاستعانة بالأدوات التحليليّة مجتمعة حتّى يتسنى لنا فهم الخطاب فهما صحيحا، فنحن أمام كتاب لغوي مقدّس (القرآن) فيجب أن نتعامل معه على أنّه كتاب لغة مع العلم بأنّه قبل أن يكون كذلك كتاب هداية للنّاس وكتاب تشريع وأخلاق وعبادات ومعاملات إلى ما هنالك فيها مرسل ومتلق ورسالة لغوية.

وعليه يمكن القول إن تفسير القدامى اعتمد أساسا على هذه الأدوات بما فيها النحو، ولم يخرجوا عن دائرة العلوم اللغوية لفهم النص القرآني، لذا لم يخرجوا عن المعاني الشرعية الصحيحة له. ونقدم فيما يلي نماذج عن تفسير القدامى للنص القرآني للوقوف على مدى التزامهم بالضوابط الشرعية واللغوية في التفسير.

4- نماذج عن تفسير القدماء:

2-1- القرطبي والرازي:

- كيف فسّر الرازي والقرطبي مختلف الآيات القرآنية باختلاف سياقاتها؟

- ما هي طبيعة الخلفيّة الثقافيّة والمعرفية التي اعتمداها في تفسيرهما؟

للإجابة ينبغي التذكير أوّلا أنّ التقارب الزمني الجامع بين الرازي المتوفّى سنة (606هـ/1209م) والقرطبي المتوفّى سنة (671هـ/1273م) يقابله تباعد مكاني بين الرّجلين، لقد ولد الأول -الرازي- وعاش في الطرف الشرقي من العالم الإسلامي طبرستان وهرّاة بينما يعدّ الثاني مغربيّا إذ ولد وعاش بالأندلس ليستقرّ بعدها بمصر، يضاف إلى ذلك أنّ اهتمام العالمين بتفسير القرآن جاء عبر تخصص علمي واهتمامات معرفيّة مختلفة بين الرّجلين فالأوّل كان أصوليًّا متكلمًا مناظرًا، بينما كان الثاني فقيها معتنيا باللّغة والبلاغة والقراءات مع ميل واضح إلى الزّهد، لكن رغم هذا التّباين إلّا أنّ هناك ما جعلنا نجتمع بين

الاثنين في بحثنا، والذي جعلنا نجمع بين الاثنين في بحثنا هو التشابه الذي يتبادر للباحث في أسلوبهما في التفسير وأن كلاهما يتمتع بمضمون معرفي واسع⁽¹⁾ فصاحب مفاتيح الغيب - الرازي - المعروف بالتفسير الكبير كان مستوعبا في تكوينه وطريقة تحليله للفلسفة الأرسطية مع دراية كاملة بأساليب الاحتجاج الاعتزالي والردّ عليهما.⁽²⁾

بينما كان القرطبي يعكس الغنى الثقافي والمعرفي الأندلسي عامّة ولمدينة قرطبة خاصّة في العناية بميادين اللّغة والفقّه والحديث والقراءات والبلاغة والأدب والزهد⁽³⁾ ورغم هذا التّمايز في التّكوين العلمي للمفسّرين إلّا أنّهما متّفقان في منهج العمل التّفسييري.

- منهج التفسير عند الرازي والقرطبي:

التفسير عند الرّجلين هو شرح الآيات القرآنية مقطعا مقطعا، بل آية آية مع تدقيق خاص في الجوانب اللّغويّة والبلاغيّة وإيراد ما يمكن أن يساعد على الفهم من الآثار النبوية واختلاف القراءات إن وجد اختلاف إلى جانب الشرح والتعليق.

كما يلتزم المفسران بالتبسيط في إثارة جملة المسائل العقديّة أو الفقهيّة المتّصلة بالآية المدروسة، الشّيء الذي يدفع بالرّجلين أحيانا على إثارة البلبلة حين تتعدّد أوجه النّظر في الجزئية دون التّوصل إلى إدراك الدّافع إلى كل تلك الإطالة.

تفسير كلّ من الرازي والقرطبي أقرب إلى الأسلوب الموسوعي الذي يعكس درجة تطوّر العلوم في القرن السّابع، إذ يغلب على تفسيرهما الاستطراد، كما يحرص المفسران على استيفائهما معرفيا كلّ جوانب البحث التي تثار في الآية مجال الدّرس ويمكننا أن ندرك هذا الجانب الجامع بين الرّجلين مثلا في تفسيرهما للآية 282 من سورة البقرة التي ورد فيها أمر بوجود توثيق الدّين.

(1) الموسوعة الفلسفية العربية - المفاهيم -: ص 580.

(2) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، ج 20، المطبعة البهية، مصر، ط 1، 1938، ص 100.

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج 1، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، (د-ط)، 2003، ص 101.

﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، يقول الرازي: " إن في الآية مسائل أولها في

كيفية النظم وفيه وجهان أحدهما متصل بالإنفاق المذكور من قبل وهو أمر يوجب تنقيص المال، والثاني وهو الامتناع عن الربا وهو أيضا سبب لتنقيص المال، ثم نجد المفسر يسأل عن التناسب النظمي بين الترهيب من الكسب الحرام، ثم ما تلاه من ندب إلى ضرورة توثيق الديون، فبيّن أنّ في التوثيق حفظا للمال الحلال، فالتناسب في التلازم بين الأمرين؛ إذ لا تكمل القدرة على الإنفاق في سبيل الله وترك الربا وملازمة التقوى إلا عند حصول المال وصيانته من الضياع والبوار أي عند التوثيق والضبط، يواصل إثر ذلك في شرح الجانب النظمي من الآية فيذكر قول القفال بأن: ألفاظ القرآن جارية في الأكثر على الاختصار وفي الآية بسط شديد، إذ ورد أولا: "فاكتبوه" وثانيا: "كاتب بالعدل" وثالثا: "كما علمه الله" فكان هذا التكرار لقوله: "كاتب بالعدل"، لأنّ العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا: "فليكتب" وهذا إعادة الأمر الأول: "فاكتبوه" وخامسا: "الذي عليه الحق" وفي قوله: "بالعدل" كفاية عن قوله: "الذي عليه الحق"، لأنّ الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يملى عليه، وسادسا: "وليتق ربّه"، وهذا تأكيد لما سبق، وسابعا: "ولا يبخس"، فهذا كالمستفاد من قوله: "فليتق الله"، وثامنا: "ولا تسأموا أن تكتبوه" وهو تأكيد لما مضى ثم تاسعا: "ذلكم أقسط" وهذه مبالغة في الوصية لحفظ المال الحلال ما يهدف إليه الرازي من هذا التفصيل هو إبراز وجه من وجوه النظم مناسب لما سبق من الحث على ما يجري مجرى سبب تنقيص المال، ثم يواصل مع الوجه الثاني وقول بعض المفسرين أنّ المقصود بالدين هو السلم⁽¹⁾.

أما القرطبي فيذكر في ذات الآية اثنتين وخمسين مسألة أولها ما روي عن سعيد بن المسيّب بأنّ أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين وقول ابن عباس عنها: "إنّها نزلت في السلم لينتقل منها إلى تعريف علماء المالكية لباع السلم، عند المسألة الحادية عشرة يبحث القرطبي مسألة (كاتب العدل) فيذكر ما قاله عطاء وغيره عن وجوب الكتابة وما رواه

(1) التفسير الكبير، ج7، ص115-119-125. (باختصار)

الشعبي عند حالة تعذر وجود كاتب سوى واحد ليشرح بعد ذلك معنى (العدل) فيذكر أنّها تعني بـ (الحق والمعدلة) أي لا يكتب لصاحب الحق أكثر مما قاله ولا أقل، ثم تتواصل التفاصيل والروايات ليعود ثانية إلى بحث ما ذكره علماء المذهب عن العدالة وأنها الاعتدال في الأحوال الدينيّة، وذلك يتم بأن يكون مجتنباً للكبائر محافظ على مروءته وعلى ترك الصغائر ظاهر المروءة والأمانة غير مغفل وقيل صفاء السريرة واستقامة السيرة في ظنّ المعدل والمعنى متقارب. (1)

إنّ الخصوصيّة التّجميعيّة للمعرفة هي سمة شاملة للمفسرين القدامى وهي سنّة ثقافيّة سادت في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه منذ ذلك العصر خاصّة في التراث التّفسيري، حيث يهتمّ أغلب المفسرين بترابط المقاطع القرآنية وتساوق دلالاتها، وبتتبّع مفهوم المفردة حسب استعمالها المختلفة،

كما يظهر لنا الرّازي من خلال تفسيره أنه يبحث على نظائر قرآنية للعبارة التي يتولّى شرحها أو لمحمل الآية ونجد هذا أيضا لدى القرطبي وإن كان ذلك بنسبة أقل، لكنهما يظانّ ضمن الفهم التّجزئي للآيات القرآنية.

فالمعالجة التّجزئية المتخصّصة في تفسير القرطبي أكثر استساغة؛ لأنّ الهدف الأساسي للمفسّر هو جمع أحكام القرآن وما يتطلّبه من إحالة على الآثار وتحرير الأدلّة وذكر ما يساعد على ذلك من مسائل القراءات والإعراب والنّاسخ والمنسوخ. إضافة إلى هذا يهدف الرّازي من خلال القراءة التّجزئية إلى تبسيط المعنى وإيصاله إلى القارئ جزءا جزءا، حتّى يتسنى له فهم القرآن فهما صحيحا. (2)

إنّ قراءة التّفسير عند القدامى يعتمد على قاعدة عامّة في التّفسير، تستند إلى القول بأنّ

(1) الجامع لأحكام القرآن، ص 384-396.

(2) الموسوعة الفلسفية العربية - المفاهيم -: مجموعة من المؤلفين. مكتبة مؤمن غريش، 1986م، ط1، ص 581-

القرآن يشرح بعضه بعضا وهي عبارة يردّها الجابري في كتابه: "مدخل إلى القرآن الكريم". ويعتبرها مدخلا لجعل القرآن معاصرا لنفسه ومعاصرا لنا يقول: "إن أحسن طريق إلى تطبيق هذا المنهج الرّؤية أي جعل المقروء معاصرا لنفسه ولنا، إذا كان الأمر يتعلّق بالقرآن، وذلك المبدأ الذي نادى به كثير من علماء الإسلام مفسّرين وغيرهم وهو أنّ القرآن يشرح بعضه بعضا".⁽¹⁾ وكان أبرز من نادى بتفسير القرآن بالقرآن هو الفقيه الحنبلي أحمد بن تيمية في كتابه: "مقدمة في أصول التفسير".

2-2- الزّمخشري في الكشّاف:

من المعروف أنّ الزّمخشري اعتزالي المذهب بالدّرجة الأولى وقد قدم تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، ينطلق فيه من النّص ويتحرّك فيه ويعود إليه، فهو تفسير بين حدود النّص يستعين فيه بكلّ الوسائل التي يمكن لذلك، خاصّة الإعراب وهو في ذلك يسلك منهج التّفسير بالرّأي، وهذا ما قاده إلى إنكار ما صحّ من الأحاديث، وكان من أهمّ ما يميّز تفسيره الدّفاع عن العقيدة الاعتزالية^(*) التي تقدّس العقل بناء على قاعدة التّحسين والتّقييح المسندة للعقل لا للشّرع يقول الزّمخشري في تفسيره: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ

[الأنعام 56].

"صرفتُ وزجرتُ بما ركّب في أدلّة العقل، وبما أوتيت من أدلّة السّمع عن عبارة ما تسمعون".⁽²⁾

فالملاحظ بروز مذهبه العقلي في التّفسير؛ إذ غدا العقل أداة تأمل في المعاني وتدبّر في

⁽¹⁾ مدخل إلى القرآن الكريم، ص 327.

⁽²⁾ الكشّاف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي. اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م، ط3، ج7، ص 330.

نظم القرآن وتأويله. ويستند إلى التقل في تفسيره أيضا.

وقد اعتنى الزمخشري بالجانب البلاغي في القرآن أيما اعتناء، وحرص على إظهار الثروة البلاغية في القرآن أي أنه اعتمد على البلاغة كأداة لإثبات إعجاز القرآن، ولا غرابة في ذلك فقد نبه في مقدمة كتابه: "إلى أن من يتصدى لهذا العلم يجب أن يكون فارسا في علمي المعاني والبيان"⁽¹⁾، فقد كان اهتمامه بالكشف عن نواحي القرآن البلاغية كالتقديم والتأخير والإيجاز والإطناب والاختصاص والحذف والالتفاف والفصل والوصل وكذلك إظهار جمال الاستعارات والمجازات القرآنية ومكانم الروعة فيها".

والكشفاف تفسير مقدّم بأسلوب مشرق وعبارة جميلة أخاذة، مع الإيضاح والإفادة، ونجده في تفسيره يعتمد الأسلوب الحوارية مثلا يقول: (فإن قلت...؟ قلت) مما يورد بعد الشرح الآية معلّقا عليها، أو كاشفا عن معنى غامض أو نكتة بلاغية، وهو في كلّ ذلك تجده أدبيا ذوقا للمعنى وجماله، وربما يتعد عن التفسير أحيانا، فيسهب في الحديث عن جمال المعنى والأسلوب، حتى إنّّه عندما يعرض للمسائل اللغوية والنحوية يعرض لها عرض من يعشق الجمال اللفظي والمعنوي.⁽²⁾

- نموذج عن تفسير الزمخشري:

يأخذ الزمخشري مجموعة من الآيات فيستهل تفسيرها بذكر أسباب النزول، ثم يبين أوجه الإعراب الموجودة فيها، والمعاني المتوخّاة منها بالشرح والتفسير والتعليل، مستشهدا بآيات قرآنية أخرى غير الآيات محلّ الدرس والتحليل، ضاربا أمثلة من الشعر، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق 1-5].

(1) ينظر: الكشفاف - المقدمة -، ص 23.

(2) ينظر: المصدر نفسه، المقدمة، ص 24.

يستهلّ الزّمخشري تفسير هذه الآيات بذكر سبب النزول: " عن ابن عبّاس ومجاهد: هي أوّل سورة نزلت وأكثر المفسّرين يجمعون على أنّ الفاتحة أوّل ما نزل ثمّ سورة القلم ثمّ يبيّن وجوه الإعراب: محلّ (باسم ربك) التّصّب على الحال؛ أي إقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل باسم الله ثمّ إقرأ، فإن قلت: كيف قال (خلق) فلم يذكر مفعولاً، ثمّ قال: (خلق الإنسان)، قلت: هو على وجهين: إمّا أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنّه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. إمّا أن يقدر ويراد خلق كلّ شيء، فيتناول كلّ مخلوق لأثمه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض.⁽¹⁾

وبعدها يسترسل الزّمخشري في تبين معنى النصّ وقوله: (خلق الإنسان) تخصيص للإنسان من بين ما يتناوله الخلق، لأنّ التّزليل إليه وهو أشرف ما على الأرض، ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرّحمنُ ﴿١﴾ علّم القرآن ﴿٢﴾ خلق الإنسان﴾

﴿الرحمان 1-3﴾

فقيل الذي خلق مبهم و تمّ تفسيره بقوله (خلق الإنسان) تفخيماً لخلق الإنسان، ودلالة على عجب نظره فإن قلت: لما قال: (من علق) على الجمع، وإنّما خلق من علقه، كقوله: "من نطفة ثم من علقه".

قلت لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله: ﴿إنّ الإنسان لفي خسر﴾ ﴿٢﴾

[العصر 2] وقوله: (الأكرم) أي الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقرار العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنّه ليس وراء التّكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال:

⁽¹⁾ الكشاف، ج30، ص1212.

﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٥﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٦﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٧﴾ ﴾

[العلق 3-5] فدل ذلك على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلّا هو، وما دوّنت العلوم ولا قيّدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأوّلين ومقالاتهم، ولا كتب الله المتزلة إلّا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدّين والدّنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره إلّا أمر القلم والخط لكفى به. (1)

ويلاحظ أنّ الزّمخشري في تحليله يعوّل على النصّ ككلّ عاملا فكره فيه ومبديا رأيه باعتماد أدوات التحليل المناسبة من ذكر سبب النزول، وتبيين وجوه الإعراب، وتحليل النصّ باعتماد العقل والمنطق كما أوردنا سابقا، مستعينا في كلّ ذلك بالسياق وعلوم اللّغة، متحرّكا في النصّ معتمدا على العقل في التحليل.

وهذا ما عيب على تفسير الزّمخشري الذي فسر فيه بالرأي، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتوجسون خيفة من أن يفسروا بأرائهم، ولا يفعلون ذلك، أما الزّمخشري فقد اعتد على العقل للتحليل والتبيين وعلى الرغم من أنه اعتمد الأدوات اللغوية المتمثلة في علوم اللغة العربية للإمساك بالمعنى، إلا أن ذلك لم يلق ترحيبا من جمهور المفسرين والعلماء.

وقد كان تفسير الزّمخشري العقلي بمذهبه الاعتزالي دعامة أساسية للتفسيرات العقلانية المعاصرة التي أزمّت الفكر الإسلامي وحولت النصّ القرآني إلى نصّ لغوي تاريخي، وهذا ما جعلنا ندرج تفسير الزّمخشري ضمن النماذج المختارة؛ لأنه يعتبر توطئة للمرحلة النهائية للتفسير، والتي حقيقة لا تمثل تفسيراً إنما هي قراءات عقلانية.

5- نماذج من التفسير في عصر النهضة:

عرفت الأمة الإسلامية فترة من الفتور عن التفسير والعناية به ماعدا ما جاء اختصارا أو

(1) الكشاف، ج30، ص1212.

نقلا أو شرحا وتأويلا إلى أن بدت بوادر النهضة والتجديد فأحس العلماء بحاجة الأمة إلى تفسير من روح العصر يبرز رؤية القرآن في مستجداته، ويبين للمسلم طريقه المستقيم في ضوء هذه التطورات، "ثمة قراءات معاصرة جاءت ضمن مشروع تجديدي إسلامي، قدمها إصلاحيون عرفوا بالالتزام بالإسلام منطلقا لتجديد بناء الأمة وإحياء فاعليتها، ووضعها على طريق التجديد والاجتهاد، وكانت هذه القراءات تنطلق -أيضا- من أن تفسير القرآن لابد أن يكون متعددًا في كل عصر، لأن أهل كل عصر مطالبون بأن يكون لهم فهمهم وتفسيرهم، وأن لا يفرضوا على أنفسهم تفسيرات المتقدمين عليهم، فإن الالتزام بذلك قد يجرهم من اكتشاف علاقة القرآن المجيد الوثيقة بهم وبقضايا عصرهم."¹

ومن هذه التفاسير:

5-1- الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري:

عني هذا المعلم والمربي عناية فائقة بالعلوم الكونية، وعجائب الخلق، ويقرر في تفسيره أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، ويهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العمل بما فيها، ويفضلها على غيرها في الوقت الحاضر حتى على فرائض الدين.²

5-2- سيد محمد رشيد رضا:

وهو التلميذ الأول لمحمد عبده هو الذي آلت إليه مسؤولية التفسير بعد محمد عبده، فكان امتدادا لأفكار معلمه وناقلا لمعارفه يسير معه في طريق النهضة وإحياء الأمة. ولذلك جاء تفسير المنار غنيا بالمأثور ذو بصمة حديثة يعالج من خلاله مشاكل الأمة ويحاول الارتقاء بها إلى ما كانت عليه من مكانة علمية وفكرية وثقافية واجتماعية.

¹ أدبية النص القرآني: بحث في نظرية التفسير: عمار حسن القيام. بقلم طه جابر العلواني في التقديم. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2011، ص15.

² ينظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1421-2000، ط3، ص382-383

من هنا ندرك وبوضوح أن مفهوم التفسير قد تغير بتغير التطلعات المرجوة من ورائه، فالمفسر يتغي أهدافا من وراء تفسيره وهو ما صرح به محمد رضا قائلا: "التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله". وقد سار على الدرب نفسه عبد الحميد بن باديس في مجالسه، فمنطلقا من الفكرية وتطلعتهما المستقبلية كانت واحدة فظهر التقارب والاتفاق في الأدوات والأهداف.

5-3- منهج ابن باديس في التفسير ومصادره:

يفتح ابن باديس مجالس التذكير الشفوية التي كانت تجتمع مع المتلقين مباشرة بجامع سيدي الأخضر كل سنة بمداخلة هي أشبه بالخطبة وتحسب على أنها درس افتتاحي يشحذ من خلالها الهمم ويحمس المتلقين إلى الاستماع والاستمتاع بذكر الله وتفسير كتابه والحث على تطبيق تعاليمه يقول في ذلك: "جرت عادتنا أن نفتح دروس التفسير من كل سنة بخطبة، تارة نخرج منها إلى نفس التفسير، وتارة نطرق بعدها موضوعا مناسباً للمقام، ولم نكن فيما مضى نعود إلى كتابتها، وفي هذه السنة رأينا أن نحلي بها صدر الشهاب تلميذا للفائدة"¹ ويرى ابن باديس في هذه الخطبة التي يجب تجميعها النفع الذي يجب أن ينتقل صداه خارج حدود المسجد إلى كل المطلعين على المجلة في زمانها إلى أزمنة أخرى، خاصة وأنه يوضح فيها غايته من التفسير ومنهجته الذي ارتضاه فيه ومصادره التي يستقي منها معارفه.

ينطلق ابن باديس في فكره الإصلاحية من فكرة مفادها أن القرآن هو الحل وعمل جاهدا على نشر هذه الفكرة وكسب طبقة جماهيرية واسعة تحت لواء هذا الفكر الإصلاحية المستمد منهجه من رؤية القرآن الكريم للعالم.

من بين هذه الجهود - إن لم نقل من أهمها - عقده لمجالس تفسيرية كل ليلة بجامع

¹ مجالس التذكير، مج1، ص91.

الفصل الأول:..... مجالس التزكوير بين التفسير والصحافة

سيدي الأخضر بقسنطينة في تواصل مباشر مع المتلقين فكان تفسيراً تشع فيه الروح الجزائرية ومتصل بالراهن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الجزائري. فحقق التأثير الواسع في أوساط المجتمع.

انشغل ابن باديس بالمجالس التفسيرية المباشرة عن تدوينها لأنه رأى فيه مشغلة " إذ كان يرى حين تصدّي لتفسير القرآن- أن في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم وإضاعة لعمر الضلال، لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتعجّل من الاهتداء به ما يتعجّله المريض المنهك من الدواء وما يتعجّله المسافر العجلان من الزاد"¹. في الوقت ذاته أدرك قيمة الصحافة ومكائنها وقدرتها على أن تكون جسرا رابطا بين فئات المجتمع وشرائحه. فالخطاب الصحفي يفرض ويبيّن الفضاء العام على حد تعبير باتريك شادورو وهو يتأسس على اللغة التي تضطلع بوظيفة تشكيل رؤية العالم² ولأن ابن باديس ينطلق في مجالس التذكير من كلام الله عز وجل فهو يطل على العالم من رؤية القرآن الكريم ويحاول جاهدا إسقاطها على الواقع الجزائري بكل حيثياته، ويحاول حمل المتلقين على الاقتناع بفحوى خطابه، ولذلك نجده يتبنى طريقة خاصة في التفسير وأسلوب كتابة يقوم على مادة منتظمة بطريقة مخصوصة ومدروسة مراعيًا فيها حالة المخاطبين وتنوعهم بغية الوصول بهم إلى حالة من التفاعل تفضي بهم إلى الاقتناع بأرائه وآراء الإصلاحيين عموما.

وقد وضّح ابن باديس منهجه في التفسير وعاداته التي يرى فيها السبيل الجني ثمار التفسير فيستهلها بـ " تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات، ومعتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول، ممّا جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه أئمة الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين"³ ويلخص البشير الإبراهيمي منهج ابن باديس في التفسير في أنّه " منهج

¹ مجالس التذكير، بقلم الإمام محمد البشير الإبراهيمي. مج1، ص 12

² الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص10.

³ مجالس التذكير، مج1، ص93.

السلف الراسخين في العلم من أئمة السلف الذين لا يُرتاب في كمال علمهم، وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم.... وهذا النهج هو تفسيرهم القرآن بالقرآن والسنة الصحيحة، وإلا فبأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وإلا فبأقوال التابعين رحمهم الله، وإلا فبلغة العرب التي نزل بها الوحي.¹

ومن الأمانة العلمية التي يمتاز بها ابن باديس تصريحه بالمصادر التي يعتمدها في تفسيره، وتوجيه المتلقين إلى دواعي اختياره لهذه المصادر بالذات:²

• تفسير أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (310هـ) جامع البيان في تأويل آي القرآن وهو تفسير اعتمد المأثور وتقصي النقل الصحيح وترجيح أولى الأقوال عنده بالصواب.

• تفسير الكشاف للزمخشري (538هـ) ومع أنه معروف باعتزله الذي يتصادم مع فكر ابن باديس السني السلفي إلا أنه استند إليه فيما يتعلق بالأساليب البيانية والنكت البلاغية التي تظهر إعجاز الأسلوب القرآني.

• تفسير المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (745هـ) وقد كان مصدره لتوجيه القراءات القرآنية توجيهها نحويا دلاليا لما امتاز به من تحقيقات نحوية ولغوية وتوجيه للقراءات.

• تفسير الرازي (606هـ) وقد استند إليه ابن باديس فيما برع فيه من بحوث حول العلوم الكونية والعلوم الكلامية والمناظرات الحجاجية بين أصحاب الملل والنحل.

ولكنّ البصمة التي يتميز بها تفسير ابن باديس تتمثل في عدم خوضه في الأمور الخلافية وبعيدة عن غاية النص القرآني وتفاديه للإسرائيليات التي هي حشو لا طائل منه وصب كامل جهده في تنزيل القرآن إلى الواقع الذي يعيشه المجتمع الجزائري فتجده يشع بالروح الجزائرية فنرى ذلك واضحا في إصراره على تقديم التطبيق العملي والفعلي للآية القرآنية على الواقع

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص22.

² ينظر: المصدر نفسه، مج 1، ص93.

ولا يكتفي بالتفسير النظري لها.

"لقد طبع التفسير كله مسحة تعليمية ظاهرة، سواء من ناحيته الشكلية، التي يتدرج فيها بالمتلقي من مرحلة إلى أخرى، مبتدئا بشرح الوحدات الصغرى للآيات عنده، وهي المفردات، أم ناحية المعاني والدلالات التي يأخذ فيها بيد متلقيه عند مرحلة بيان أوضاع التراكيب، من دون الإغراق في تفاصيل الإعراب، وبسط المسائل والأقوال، همه في ذلك كله، تحقق إدراك طبيعة الأساليب القرآنية ودلالاتها وتمثل ذلك الفهم خلفية للامتثال والعمل."¹

• التفسير بين ابن باديس ومحمد عبده:

هناك قواسم مشتركة كثيرة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد عبده هيأت لهما وعيا مشتركا وطرائق مشتركة في معالجة قضايا الأمة، من هذه القواسم ممارسته التعليم والاشتغال في الصحافة.

من أقوال محمد عبده: "القرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أمرهم إلا إرجاعهم إليه، وما لم تفرغ صيخته أعماق قلوبهم، وتزلزل هزته رواسي طباعهم، فالأمل مقطوع من هبؤهم من نومهم. ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل ممن نزل القرآن بلغتهم...."²

يثور محمد عبده على المفسرين الذين يغوصون في المباحث اللغوية نحوية وبلاغية والمباحث الفقهية والمنطقية، وعلى المفسرين الذين يتخذون من الإسرائيليات مصدرا لهم

¹ مستويات الدرس اللغوي في تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام ابن باديس: عبد الحفيظ شريف.

منشورات مختبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ط1، 2015، ص233-234.

² لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد بن لطفى الصباغ. المكتب الإسلامي ط3، 1410هـ-1990م،

بيروت ص316.

فيحيدون عن المقصد الأول للقرآن الكريم.

كان محمد عبده يمجّد العقل لدرجة أن يرد ما اجتمع عليه جمهور العلماء بعد ان يعرضه على العقل. كما ركز على ما جاء في القرآن من ظواهر طبيعية وكونية ليعين من خلالها عدم وجود تعارض بين القرآن والعلم الحديث متخذاً من فكرة الإعجاز العلمي أداة للدعوة.¹

اتخذ من التفسير وسيلة للإيجاد حلول للمشاكل التي يتخبط فيها المسلمون، فكان تفسيره ذا طابع اجتماعي، فالحركات الإصلاحية عموماً تأسست على فكرة مفادها أن التغيير في العقليات والذهنيات سيؤدي حتماً إلى تغيير المحيط الاجتماعي وذلك انطلاقاً من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد11]²

هناك نقلة نوعية في النظر إلى التفسير بين المرحلتين، انتقل فيها مفهوم التفسير من كونه غاية إلى وسيلة لتحقيق غاية كبرى، فالبينة التاريخية الاجتماعية جعلت مجددي الأمة يوجهون نظرهم إلى التفسير بعده أداة للخروج من الأزمات الصعبة التي تمرّ بها الأمة الإسلامية ووسيلة لتحقيق غايات أحرورية ودينية. ولذلك تميزت تفاسير هذه المرحلة بتجنب قضايا كثيرة كانت تصطبغ بها تفاسير المرحلة السابقة لها كالإسرائيليات والاختلافات النحوية.... وليس علم التدبر حشداً لأقوال التأويل، والإكثار من عرض ما قال الناس، فلا يكون المتدبر متدبراً حقاً حتى يعرف ما ينتقي من آراء أهل التأويل ويعرف ما هو ساقط مردود، وما هو محتمل وما هو راجح وما هو حق لا ردّ له ومما هو بعض المعنى المراد وما لا يمكن أن يكون مراداً أي أن تكون لديه الملكة لذلك وإن كان عرضة للخطأ في بعض الأحيان.³

¹ ينظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص317-318

² ينظر: الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص34-36.

³ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. دار القلم، دمشق، 1433هـ-2012م،

"وقد سار ابن باديس على نهج محمد عبدو في منهجه التفسيري وكذا أستاذه الأفغاني، الذي كان يدعو إلى تنقية العمل التفسيري مما علق به، الخرافات والاستطرادات النحوية والأحاديث الوضوعة، وجدل المتكلمين، استنباطات الفقهاء المقلدين."¹

6- التفسير عند الحدائين:

يمثل تفسير النص القرآني صورة واضحة عن الصّراعات الفكرية التي تدور في كل عصر، فالتعامل مع أيّ دارس للقرآن الكريم يقتضي الإحاطة بطبيعة عصره، وكذا طبيعة الأفكار السائدة فيه، وإن مسايرة التفسيرات الحدائية المعاصرة لروح العولمة يدل على حيوية هذا النوع من التفاسير وتفاعلها مع المستجدات الزمانية، غير أن عصر العولمة سادت فيه أفكار تمخّضت عنها مناهج لا تتماشى وخصوصية النص القرآني مثل الهرمنيوطيقا الفلسفية المحملة بمقولات الاستقلال الدلالي للنص، وانفتاحه على كلّ القراءات وحرية المتلقي في تحطيم النصّ وسياقه لصالحه، ويعتبر كلّ من نصر حامد أبو زيد ومحمد أركون نموذجاً واضحاً لتطبيق الهرمنيوطيقا الفلسفية على الخطاب القرآني، تمخّضت عن تجربتهم هذه، قراءة أزمت الفكر الإسلامي.

ظهرت الهرمنيوطيقا في بداية الأمر على أنّها علم في فهم النصّ انطلاقاً من قصده، غير أنّها تطرّفت فيما بعد؛ إذ في القرن العشرين وبإشراف "هايدجر" و"غادامير"؛ وغدت ذات طابع فلسفي يتجاوز المنظور الميتودولوجي؛ تطرح الأسئلة وتذرّها معلّقة بلا أجوبة وتقاوم كلّ الحلول، ومردّد هذا توتّر هذه الفترة، فترة الدمار النووي إبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

حيث رافق الممارسة الهرمنيوطيقية الشك في النصّ، ثمّ أبعد مؤلّف النصّ تماماً كما أبعد في الممارسات النبوية، فأغلب ما يتفق عليه الهرمنيوطيقيون أنّ النصّ بمجرد أن يدوّن يصبح مستقلاً عن قصد الكاتب، فتنتفتح بذلك إمكانيات التأويل المتعدّدة المفتوحة التي لا تختزلها أية

¹ الإنسان والقرآن وجهها لوجه: حميدة النيفر. دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 2000، ص58.

رؤية، بذلك تتلخّص مهمّة الهرمنيوطيقا في الكشف عن اللامحدود بفعل التأويل اللانهائي للإمساك بأنماط جديدة.

ولقد أسبغ "شليرماخر" على مبادئها طابع الكونية، فلا يملك الإنجيل أو أيّ لاهوتي آخر امتيازاً حتى تكتسب هذه المبادئ شرعيّتها، ومع اعتبار الخطاب القرآني أحد أهمّ انشغالات وتحديات النخبة الحداثيّة العربيّة خلال العقود الثلاثة الماضية لما يتمتّع به من دور مركزي في تشكيل العقل العربي الإسلامي؛ لم يستثن من هذا التعميم، إذ دعا المثقفون العرب والمسلمون إلى إصلاح الثقافة وتحديثها بنوع من إعادة تقييم أو صياغة تأويل للتاريخ والتفسير القديم فظهرت مشاريع فكرية حديثة محمّلة بمقولات الاستقلال الدلالي للنص القرآني، وانفتاحه على كلّ القراءات وحرية المتلقّي في تحطيم السياق المحيط به لصالح سياقه هو.

اخترنا نموذجين يعتبران من أبرز الذين قدموا تفسيرات جديدة للنص القرآني وفق المنظور الهرمنيوطيقي.

6-1- التفسيرات المعاصرة والتأويل المكروه:

إنّ تأويل النص القرآني ليس فاعليّة مخترعة من قبل المنظرين الأدبيين أو الفلاسفة في القرن العشرين، بل له تاريخ طويل، الصحابة الأوائل، حتى إنّهم تحاشوه واكتفوا. تعدّد اتجاهات التفسير لكن لم يلتبس على الناس فهم كتاب الله فقد اتّبع العلماء طريقة تفسيرية مستوعبة لنواحي الاستفادة من الخطاب القرآني، وقُلِّص في المقابل الاجتهاد في فهم النص القرآني، حيث حصرت الدائرة الاستنباطية في آيات الأحكام وبعض الجدل العقلاي بين المذاهب في آيات الصّفات وغيرها، ممّا جعل عمليّة التأويل مؤدجلة تعمّق الخلاف وتفكّك بناء المجتمع الإسلامي.

غير أنّ ذلك لم يمنع العلماء من البحث فيه وضبط أصوله ومنهجية وكثيرا ما كان يستعمل مصطلح التأويل مرادفاً للتفسير دون أيّ حرج مذكور، ثمّ جدّت تفاسير لغويّة وتفاسير فقهية وأخرى بيانية ومحاولات وإسهامات في مجال التفسير العلمي في نطاق التداول

الإسلامي وفي المقابل ظهرت مؤلفات في التفسير الباطني تصدّى لها المفسرون وحاربوها. ومنذ القرن "الرابع هجري" درج العلماء المسلمون عدا الشيعة وبعض المتصوفة، على تفضيل مصطلح التفسير وصار شائعاً أن مصطلح "التأويل" جنوح عن المقاصد والدلالات الموضوعية في القرآن، ونتيجة النمو الاجتماعي في عصر الانحطاط ألحقت دلالة التأويل بدلالة التحريف وأصبح مصطلح التفسير هو الدال على البراءة الموضوعية.

ومع الإفاقة من عصر الركود، تزامنا مع حملات الإحياء التي تركز على استدعاء التراث بحيويته وقوته ونضارته ليثبت العقل الإسلامي مع "محمد عبده"، "الغزالي"، "جمال الدين الأفغاني" "رفاعة الطهطاوي"، عبد الحميد بن باديس...، أخذ تأويل القرآن منحى آخر، إذ تستر مفهوم "إشباع الدلالة" فظهرت نتيجة ذلك تفاسير كثيرة، كتفسير "محمد عبده" الذي قدّم تنازلات كثيرة حين فتح باب التأويل، إذ ضيق نطاق الخوارق كتأويله لحادثة الفيل نتيجة تأثره بالفلسفات الغربية¹، إلا أن تجديدهم لم يتجاوز نطاق النص القرآني؛ إذ كان هدفهم من مشاريعهم التجديدية، إحياء التراث الإسلامي مما ران عليه من ظلام إبّان عصر الركود والانحطاط.

ومع مطلع عصر النهضة اصطدمت الثقافة الإسلامية بثقافة أخرى تطرح نفسها بمنطق الغزو والهيمنة، فأصبح الآخر دافعا للتجديد والتغيير للتماشي معه؛ بعد التكسة تنادى المفكرون المعاصرون بضرورة الاجتهاد في تفسير النص القرآني وتحقيق النهضة، وفعلا بدأت بوادر جادة تنقل التجربة التأويلية إلى واقع النص القرآني مع بعض المفكرين الذين اعتقدوا أن تأويلية "هايدجر" و"غادامير" تفتح الطريق أمام تأسيس جديد للمعنى القرآني، «من هنا فإن مشروع القراءات التأويلية، ليس مشروعاً ترميمياً لما هو موجود، وإنما بناء جديد

¹ ينظر: إشكالية تأويل القرآن قديماً وحديثاً: نسرين أحمد، (د. ط)، (د. س)، (د. م)، ص 03، 04، 06، 14، وقانون التأويل: القاضي محمد بن عبد الله الإشبيلي، تح: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة/ مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1986، ص240.

يتجاوز كلّ الصّور التّقليديّة للإسلام.¹، قراءات تقوم على التّعديّة، وتقوّض تفسير القدامى وتفكّك مفاهيمه، قراءات جديدة على مستوى المنهج والأدوات، أهمّ رواد هذه القراءات مفكّران ارتأينا الجمع بينهما هما: "نصر حامد أبو زيد"، و"محمد أركون".

6-2- نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون

• نصر حامد أبو زيد: من الكتّاب المعاصرين، الدّاعين إلى فهم كتاب الله على ضوء المناهج الحديثة لتحليل النصّ القرآني لا تزال أفكاره ناشطة، ولا تزال كتبه مصدر إلهام لتابعين جدد، فقراءته وإن لم تكن مقنعة، فهي على الأقلّ مغرية، تتسم بالعمق والجدّة والجرأة، والخطورة في الوقت نفسه.

جوهر مشروعه التّأويل هدفه تقديم تفسير جديد للنصّ القرآني بشكل خاص والفكر الإسلامي بشكل عام. وقد كان نتاج عمليّته التّأويلية منظومة من الإشكالات في واقع الفكر الإسلامي بشكل يغري الباحث العربي للمشاركة في هذا الجدل المعاصر.

• محمد أركون: المفكّر الراحل محمد أركون وجد في الفضاء الثقافي الغربي الذي ازدهرت فيه النزعة الإنسيّة والهرمنيوطيقا متشبع بالفكر الغربي متحكّم في مفاهيمه ومصطلحاته، متابع لتيّاراته ومذاهبه، ونصوصه تعكس ذلك.

أنتج مشروعاً يعدّ استكمالاً للمشروع الغربي الحدائثي، إلاّ أنّه وسّعه ليشمل الإسلام، يشغل على مستوى نقد وتفكيك تفاسير القدامى عبر منهجية "الإسلاميات التّطبيقية"، هدفه من هذا المشروع هو جعل الفكر الإسلامي ينتهي إلى نفس المصائر التي انتهت إليها الظّاهرة الدّينيّة في أوربا بتجلياتها المسيحيّة واليهوديّة.

والملاحظ أنّ النّخبة المثقّفة أصبحت تتهافت على أفكاره منذ وفاته، على عكس أفكار "نصر حامد أبو زيد" إذ هم على وعي كامل بمدى خطورتها، وكتبه ضئيلة الجمهور مقارنة

¹ - الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي بين حقائق التّصّ ونسيّة المعرفة: معتصم السيّد أحمد، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1 2009، ص71.

بجمهورية "محمد أركون".

6-3- أدوات تفسير النص القرآني عند الحدائين - الهرمنيوطيقيا-

يرى "أركون" الهرمنيوطيقيا في رأيه هي الأساس لفهم النص القرآني، لهذا نجده منشغل «منذ زمن بتأويل النص المقدس أو الذي قدسه تراكم الزمن ومرور القرون.»¹ كما يقول هو، والهرمنيوطيقيا الفلسفية تفترض أن التأويل إجراء مفتوح لا تحتزله آية رؤية²، أين يحق لكل قارئ أن يجد ذاته في النص، ويستأثر بالمعنى الذي يريده هو، يقول "أمبرتو إيكو" «إن من حق القارئ العنيد أن يجد في النص ما يصبو إليه.»³

بمعنى أن الهرمنيوطيقيا هي تلك التقلد النوعية التي أحدثها الفلاسفة المعاصرون من قصد المؤلف إلى قصد القارئ، فلا يصبح للنص «حقيقة أو دلالة ما دون تدخل الذات الواعية والمعنى لا يتأسس بمعزل عن تدخل الذات.»⁴ ليصبح أفق القارئ هو المنتج للدلالة، ويفقد النص انتمائه لكاتبه بعد كتابته إياه.

إن الأساس في الهرمنيوطيقيا هو اللغة، واللغة وفق منظورها عاجزة عن الإمساك بدلالة واحدة ذلك أن العلامات اللغوية تشكو من غياب مرجعها فضلا عن غياب مؤلفها، لذا «لا يجب أن نثق بالرموز أو النص، ومن هنا منشأ صراع التأويلات عند "ريكور"؛ أي نتعامل مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يجب الوثوق بها، بل يجب إزالتها وصولا إلى المعنى الخفي وراءها.»⁵

¹ - الهرمنيوطيقيا في الواقع الإسلامي بين حقائق النص ونسبية المعرفة، ص 21.

² - من النص إلى الفعل - أبحاث التأويل - بول ريكور، تر: محمد برادة، وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2001، ص 28.

³ - التأويل بين السيميائيات والتفكيكية: أمبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2004، ص 75.

⁴ - الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون: كيحل مصطفى، منشورات الاختلاف، الجزائر/ دار الأمان، المغرب، ط 1، 2011، ص 96.

⁵ - النظرية التأويلية عند ريكور: حسن بن حسن، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ط 1، 1992، ص 40.

في هذه الحالة تنتشر الإيحاءات بشكل سرطاني، وتنتج انزلاقات دلالية لا تتوقف، وتنحسر العلامة بشكل لا متناه وتتداعى بشكل غير واع، وتنتقل من مدلول إلى آخر في متاهة هرمسية اعتمدها كل من "أبي زيد" و"أركون" لتأويل النص القرآني بهدف التّجديد والمعاصرة.

ويجعل "أبو زيد" اللغة المرجع الوحيد لفهم القرآن، وبما أن اللغة في حالة سيرورة دافقة ومنتجة فلا يكون للنص القرآني معنى ثابت؛ يقول "أبو زيد": «ذلك أن اللغة اللهم الإطار المرجعي للتفسير والتأويل ليست ساكنة ثابتة، بل تتحرك وتتطور مع الثقافة والواقع»¹ وعليه فإن الخطاب القرآني إنتاج لغوي ثقافي، ومن منطلق لغويته وعلى ضوء الواقع، يمكن تأويله والأمر نفسه مع "أركون" الذي تعامل مع الخطاب القرآني، من منطلق اللغة، وعن طريق تقويض هالة القداسة المحيطة به، ومن ثمّ الكشف عن آليات تعالیه من خلال البحث في طبيعته اللغوية وربطه بفترة زمنية معينة لمعرفة مراحل تشكّله اللغوي في الثقافة العربية.²

6-4- الواقع أداة لتفسير النص القرآني عند الحدائين:

يعرّف "أبو زيد" الخطاب القرآني بقوله: «إنّ النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، أو نصّ لغوي من إنتاج الثقافة العربية»³

تعريفه للخطاب القرآني على حسب رأيه يسوّغ له تأويله من حيث اعتماده على قدرة العلامات اللغوية على الإيحاء ولا غاية من هذه الإيحاءات سوى إبداع عدد لا متناه من القراءات، كما يقول "أركون": «الخطاب القرآني حدث لغوي وثقافي يعود إلى القرن السابع في الجزيرة وهو إنجاس لغوي خصب يحتمل الكثير من التّأويلات»⁴

¹ - نقد الخطاب الديني: نصر حامد أبو زيد، سينا للنشر، مصر، ط2، 1994، ص198.

² - قضايا في نقد العقل الديني: محمد أركون، ص172.

³ - المرجع نفسه، ص24.

⁴ - المرجع نفسه، ص174.

فالتّصوّص الدّينيّة حسب رأي "أبي زيد" ليست خارقة للبنية الثّقافيّة واللّغويّة التي تشكّلت في إطارها، كما أنّ مصدرها الإلهي ليس عائقاً في نظره أمام حقيقة كونها نصوصاً لغويّة دون إغفال العوامل المؤثّرة في اللّغة؛ التّاريخيّة والاجتماعيّة.¹ ومن ثمّ فإنّ النصّ القرآنيّ بمجرّد أن تجسّد في لغة البشر فقد الكثير من سماته المطلقة؛ ولأته إنتاج لغوي، واللّغة تتأثّر بالعوامل الاجتماعيّة والتّاريخيّة فإنّ النصّ القرآنيّ يتأثّر هو الآخر بهذه العوامل، وعليه يتوقّف تأويله على معرفة هذه العوامل المؤثّرة فيه.

وهكذا تعاطى نصر حامد أبوزيد ومحمد أركون مع النصّ القرآنيّ كنصّ تاريخيّ متجسّد في لغة بشريّة، وهذا ما يسمّى بفكرة "الأنسنة"، وفكرة الأنسنة تعني أنّ النصّ القرآنيّ أخذ صفة الإنسانيّة بمجرّد إفراغه في لغة بشريّة. فيصبح بذلك النصّ القرآنيّ منتوجاً ثقافياً.

وهذه الفكرة هي التي تتيح لأيّ إنسان أن يفسّر النصّ القرآنيّ حسب ميولاته ورغباته، وحتىّ شهواته، ومن نتائجها أشكّلة النصّ القرآنيّ، بحيث يصبح منفتحاً على احتمالات متعدّدة وتأويلات غير متناهية، ولكن كيف يكون النصّ القرآنيّ منتجاً ثقافياً، ولم تعهد العرب تشريعاً كالذي جاء به من قبل؟ وبم نفسّر انبهارهم به وعجزهم أمام تحدّيه إذا؟

6-5- حركيّة المحتوى وآفاق التّأويل:

يرى "أبو زيد" أنّ ما يسوّغ له تطبيق الهرمنيوطيقا الفلسفيّة على النصّ القرآنيّ، بالتّالي قابليّته للتّأويل هي حركيّة محتوى النصّ القرآنيّ وانتفاء ثبوت دلّالته، فلا توجد عناصر جوهريّة ثابتة للنّصوص، بل لكلّ قراءة بالمعنى التّاريخيّ الاجتماعيّ جوهرها الذي تكشفه في النصّ.²

يقول: «إنّ فهم النّبي للنّصّ يمثّل أولى مراحل حركة النّصّ في تفاعله بالعقل البشريّ ولا التفات لمزاعم الخطاب الدّينيّ بمطابقة فهم الرّسول للدّلالة الذاتيّة للنّصّ... إنّ مثل هذا

¹ - مفهوم النصّ -دراسة في علوم القرآن-: ناصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2006، ص24.

² - ينظر: نقد الخطاب الدّينيّ: نصر حامد أبو زيد، ص118.

الرّعم يؤدّي إلى نوع من الشّرك من حيث أنّه يطابق بين المطلق وبين الثّابت والمتغيّر، حيث يطابق بين القصد الإلهي والفهم الإنساني لهذا القصد، ولو كان فهم الرّسول؛ إنّهُ زعم يؤدّي إلى تأليه النّبي.¹

إنّ القول بالفهم البشري الكامل لكلام الله المطلق من طرف النّبي ﷺ يعتبره "أبو زيد" شركاً فلا يمكن البتّة تمثّل كلامه وفهمه؛ إذ هو فوق نطاق البشر؛ لذا فإنّ كلّ فهم نسبي لهذا فالنص القرآني مفتوح الدلالة عند الحدّاثين، ولا يمكن الوصول إلى دلّته النّهائيّة؛ لأنّ كلّ دلالة هي بمثابة فتح متاهات وانزلاقات دلاليّة لا حصر لها ويعتبر "أبو زيد" أنّ كلّ من يدّعي امتلاكه للمعنى الصّحيح، نوع من الأيديولوجيا.

وحسب مفهومه فإنّ الثّابت من النص القرآني هو منطوقه لا يلبث أن يفقد ثباته بمجرد أن يتعرّض له العقل الإنساني وتتعدّد دلّته؛ لأنّ الثّابت أو الثّبات من صفات المقدّس المطلق الذي لا يمكن إدراكه أبداً، ولا يمكن لعقل بشري أن يحتويه، فالنص القرآني عندهما تأنسن بمجرد أن تلقاه النّبي ﷺ فيصبح نسبيّاً متغيّراً.²

إذن الذي بين أيدينا يُتلى ويُتعبّد بتلاوته ليس كلام الله، بل كلام النّبي ﷺ؟ وعليه يمكن القول أن "أبا زيد" لا يفرّق بين القرآن والحديث القدسي أو الحديث النّبوي.

والنص القرآني عند "أركون" حدث لغوي وثقافي مرتبط بالمكان والزّمان اللذان أنزل فيهما، وعلى هذا الأساس يخضع النص القرآني للزّمان والمكان ما يعطلّ دلّته، ويفقده سمته المطلقة، ويجعله مرتبطاً بماذنين العاملين- الزّمان والمكان- الأمر الذي يستدعي تأويله وفق هذه الشّائيّة، فحرفيّة ثابتة إلا أنّ خضوعه للواقع المحدود بالزّمان والمكان يجعل دلّته

¹ - نقد الخطاب الدّيني: نصر حامد أبو زيد، ص 126.

² - المرجع نفسه، ص 93.

متغيرة.¹ والحال أنّ الخطاب القرآني مطلق فوق الزّمان والمكان.

إنّ القول بعدم القدرة على ضبط معاني النصّ القرآني وحصر دلالاته واستنفاذ التّفاسير له يعني استحالة الإمساك بالحقيقة، ومن ثمّ استحالة التّأصيل، ما الغاية من إنزال القرآن إذا كانت حقيقته لا تدرك أبداً؟

خلاصة:

من خلال البحث في هذه القراءات المستجدة، التي لا يمكن اعتبارها تفسيراً نسوق الملاحظات التالية:

- الهرمنيوطيقا المطبّقة في الدراسات القرآنية المعاصرة فلسفيّة؛ لا تعترف بقصد المؤلّف ولا بالنصّ لذا لا تتلائم وخصوصيّة النصّ القرآني.
- الهرمنيوطيقا الفلسفيّة لا تبحث عن الحقائق، بل تبحث في المتن اللّغوي، كيف تهدمه وكيف تشكّله حسب الواقع والنصّ القرآني يحتوي حقائق ثابتة، وقيم راسخة لا تهدم.
- القراءات التفسيرية المعاصرة فلسفيّة مدمّرة للسّياقات والمقاصد والمدلولات ومغيبّة للعديد من الخصوصيّات في إجراء اللّغة، وهذا يتنافى مع النصّ القرآني المرتبط بضوابط لتأويله.
- أسفرت محاولات التفسير الحدائثية عن التّلاعب بالعقول، وليس التّلاعب بالقرآن المحفوظ من لدن الله - عزّ وجل.
- تعامل "أركون" و"أبو زيد" مع النصّ القرآني يعكس عدم فهمهم له؛ إذ يتعاملون معه على أساس أنّه معبّر عن المعرفة، والواقع أنّه منتج للمعرفة.
- توجّهات كلّ من "نصر حامد أبو زيد" و"أركون" في التّأويل ذات خلفيّات إيدولوجية تمنع من تحقيق تأويل موضوعي وصحيح.
- أدوات الحدائثيين التي توسلوا بها لتقديم تفسير للنصّ القرآني المتمثلة في الهرمنيوطيقا، التاريخية،

¹ - قضايا في نقد العقل الدّيني: محمّد أركون، ص 185.

الواقع، لا تتماشى وخصوصية النص القرآني.

بعد هذا العرض الموجز لظاهرة التفسير عبر عصور تاريخية متفاوتة يمكننا أن نسقط عمل ابن باديس على منهج المفسرين وغاياتهم لنستنتج في أي فئة يمكننا تصنيف مجالس التذكير؟

مجالس التذكير يختلف عن تفاسير القدماء منهجا وهدفا وطريقة، فغاياته لم تكن التفسير في ذاته بل كان يسعى إلى تنويل الآيات على الواقع ويستخلص منها الغايات ويعممها لتصبح منه حياة، ولكنه في الوقت نفسه مختلف عن طرح الحدائين وبعيد عما ذهبوا إليه من اسقاط للآية على الواقع اسقاطا خرج بها عن مدلولها الذي ينسجم والمقاصد القرآنية، مع أن الدافع الأول لمجالسه هو واقعه وغاياته النهوض بواقعه، وأدواته من صميم واقعه، وكانت الآيات القرآنية وسيلة لتحقيق ذلك.

ومن هذه المعطيات لا يمكننا تصنيف مجالس التذكير على أنه كتاب في التفسير، ويجب أن نطل عليه من زاوية أخرى وهي التذكير، وهو ما اختاره بنفسه عنوانا لعمله "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" وكيفية تنزيل الآيات القرآنية على الواقع لتذكير المجتمع بها. وهذا ما سنعرضه في المبحث الثالث.

المبحث الثالث: مجالس التذكير الذكر والواقع

1- التذكير:

1-1- مفهوم التذكير

الدلالة اللغوية:

جاء في لسان العرب: تحت جذر مادة (ذكر) تَذَكَّرَ ما أُنْسِيَتْهُ. وَذَكَرْتُ الشَّيْءَ بَعْدَ النَّسْيَانِ وَذَكَرْتُهُ بِلِسَانِي وَبِقَلْبِي، وَتَذَكَّرْتُهُ، وَأَذَكَّرْتُهُ غَيْرِي وَذَكَرْتُهُ بِمَعْنَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِذْ ذَكَرَ بَعْدَ نَسْيَانِهِ، وَأَصْلُهُ إِذْ تَكَرَّرَ فَأُذْغِمَ.

والتَّذْكَيرُ: خِلافُ التَّائِيثِ، وَالدَّكَرُ خِلافُ الأُنْثَى، وَالْجَمْعُ ذُكُورٌ وَذُكُورَةٌ وَذِكَارٌ وَذِكَارَةٌ وَذُكْرَانٌ وَذِكَرَةٌ. وَقَالَ كِرَاعٌ: لَيْسَ فِي الكَلَامِ فَعْلٌ يُكْسَرُ عَلَى فُعُولٍ وَفُعْلَانٍ إِلَّا الذَّكَرُ.¹

جاء في معجم العين تحت جذر ذكر والذَّكَرَى: اسم للتذكير، والتَّذْكَيرُ مجاوز. والذَّكَرُ مَعْرُوفٌ، وَجَمْعُهُ: الذَّكَرَةُ، وَمَنْ أَجَلَهُ سُمِّيَ ما إِلَيْهِ: المذاكير.²

1-2- الدلالة الاصطلاحية:

تستحضر لفظة التذكير وجود طرفين أحدهما المذكر والآخر المذكر بشيء ما يعلمه ولكنه نسيه لطارئ معين أو حادث ما. بغرض الاتعاظ والخروج من دائرة الغفلة.

2- مفهوم التذكير عند عبد الحميد بن باديس:

جاء في العدد الأول من مجالس التذكير تبيان لحقيقة التذكير فقال في ذلك عبد الحميد

¹ ابن منظور: لسان العرب، ت ح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف 1119 كورنيش النيل القاهرة، مصر، الطبعة 1 ص 1508.

² كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، 1985، ج2، 239.

الفصل الأول: مجالس التذكير بين التفسير والصحافة

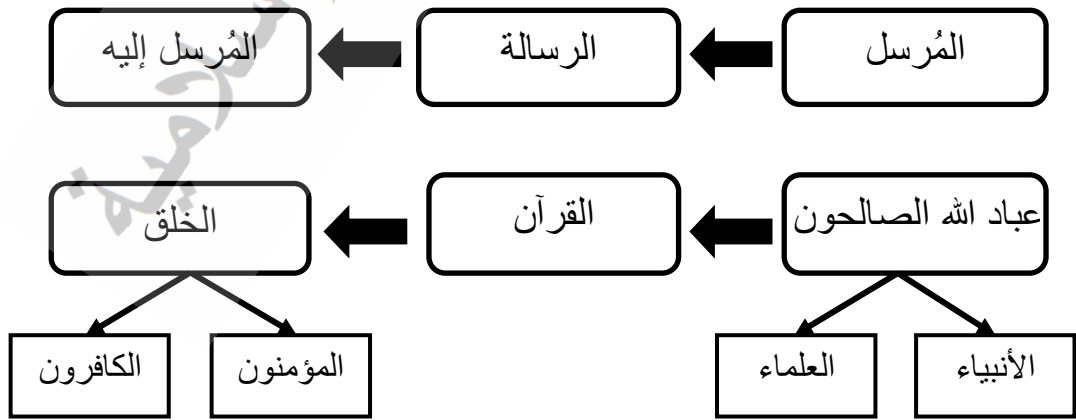
بن باديس: " حقيقة التذكير أن تقول لغيرك قولاً يذكر به ما كان به جاهلاً أو عنه ناسي أو غافلاً، وقد يقوم الفعل والسمت والهدي مقام القول فيسمى تذكيراً مجازاً وتوسّعا، ويجمع الثلاثة قولك: عباد الله الصالحون يذكرون الخلق بالخالق بأقوالهم وأعمالهم وسمتهم."¹

إذن فالإنسان في حاجة دائمة للتذكير ولذلك أرسل الله الرسل لعباده في زمان شتى يذكرهم بالعودة إلى النهج الصحيح الذي فطروا عليه، إذن فالرسل والأنبياء هم المعنيون الأوائل بتذكير غيرهم من العباد الذي أرسلوا لهم.

والقرآن الكريم وضّح الطريقة المنهجية والسليمة التي يجب أن يكون عليها التذكير في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية 21-22]، فأسلوب التذكير ليس بالسيطرة ولا بالإكراه وإنما بالحجج المبينات وبالأدلة السليمة، "وباتباع أسلوب الإقناع الفكري الهادئ، وهذا الأسلوب هو الأسلوب النافع في تأسيس العقائد والمفاهيم الاجتماعية والأسس الأخلاقية ومبادئ المعرفة ومسائل العلوم"²

وقد تمت الإشارة آنفاً إلى أن ابن باديس قد خالف الكثير من تقاليد العلم والمعرفة السائدة في عصره والتي تتحاشى القرآن الكريم دراسة ومعرفة، فإنه يجعله أدواته الأولى في التذكير ومصدره الأول الذي يستمد منه مادته ليذكر به نفسه وغيره

تمثيل مفهوم التذكير عند عبد الحميد بن باديس



¹ مجالس التذكير: مج 1، ص 49.

² قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: الميداني. ص 502.

3-1- تنزيل الآية القرآنية على الواقع:

3-1- مفهوم التنزيل لغة:

ترتيب الشيء ووضعه منزله.¹ ويستعمل مصطلح التطبيق مرادفا له في تفاسير المحدثين، للدلالة على تطبيق الآية على واقعهم ومعطيات عصرهم الجديدة ومن هؤلاء ابن باديس وسيد محمد رشيد رضا.

ويشير عبد العزيز بن عبد الله الضامر إلى أن مصطلح التنزيل أدلّ على المعنى من مصطلح التطبيق، لما يحمله من إنزال الآية منزلتها التي تليق بها وهي العلو، وكذلك إشارته إلى فعل التجدد الذي يتحقق مع التنزيل في كل وقت ومع كل حدث.

3-2- اصطلاحا:

هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية، أو مخالفة لما عليه الآية.²

إن تنزيل الآيات على الواقع أمر ليس بالهين، وفيه من الخطورة في التعامل مع الآية ومع الواقع والجمع بينهما الشيء الكثير. لذا يجب أن يكون المفسر مزودا بأدوات ووسائل تسهل له ذلك وتفتح له الآفاق للوصول إلى الهدف، وتحقيق الغاية من التنزيل. ولذلك وضع الدارسون له ضوابطه وشروطه يجب أن يتحلى بها الباحث.

3-3- شروط تنزيل الآية على الواقع:

وقد فصلّ فيها الذكر الباحث عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر³ والتي يمكن أن

¹ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395 هـ) ت: عبد السلام هارون. اتحاد الكتاب العرب، د. ط. 1432 هـ - 2002 م. مادة (ن، ز، ل).

² ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين - دراسة وتطبيق - عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر. سلسلة الدراسات القرآنية 4 الصادرة عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1428هـ - 2007م، ص25-26

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 89

نحملها في العناصر الآتية:

● **سلامة المقصد في تزيل الآية:** لأن تزيل الآيات القرآنية على الواقع يعدّ من القول بالرأي الذي طريقه القياس والتمثيل، ففيه المذموم المردود وفيه المقبول المحمود، ولذلك وجب التجرد من الذاتية والمذهبية وليّ عنق الآية حتى يسقطها الإسقاط الذي يوائم هواه وهوى أهدافه.

● **العلم وقوة تأصيله الشرعي:** العلم الشرعي والتبحر فيه شرط لا يمكن تجاوزه في هذا الباب، خشية الوقوع في تزيل آيات الله على واقع لا يوائمها من ناحية القياس أو التمثيل جهلا وضعفا في التكوين.

● **العلم بأسباب النزول:** إن سبب النزول إما أن يكون قصة لحادثة وقعت، وإما أن يكون سؤالا طرح على رسول الله ﷺ لاستكشاف حكم في موضوع، فيتزل القرآن إثر الحادثة أو السؤال.¹

ولمعرفتها فوائد كثيرة ذكرها السيوطي² وهي:

معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم وفي ذلك نفع للمؤمنين وغيرهم، ومعرفة أسباب النزول تساعد على فهم الآية ودفع الإشكال عنها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة 158).

"فظاهر الآية لا يقتضي أن السعي فرض لأن رفع الجناح يفيد الإباحة، وكان علروة بن الزبير يرى أن السعي مباح لا فرضا، وقد ردت عائشة رضي الله عنها في فهمه ذلك بما ورد في سبب نزول الآية وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية. فتزول

¹ مباحث في علوم القرآن، ص 95.

² الإتيان في علوم القرآن، ج 1، ص 82.

الآية تنفي ما وقر في أذهانهم من حرج من السعي بينهما.¹ والمتفحص لمجالس التذكير يستطيع إدراك العناية الكبيرة التي يوليها ابن باديس لأسباب التزول، ورجوعه إليها في أغلب الآيات التي فسرها، وحرصه على جعلها في المقدمة لتكون منطلقا سليما لفهمه ومن ثمة تفسيره وتزويله، مما يؤكد درايته لقيمتها ومكانتها في تيسير التفسير، وفي توجيه المفسر لفهم الصحيح للآية. ولأن معرفة أسباب التزول هي السبيل الأفضل لتحقيق الأهداف التربوية في دراسة القرآن تلاوة وتفسيرا، فلن يجد المدرس نفسه في حاجة لمعالجة التمهيد للدرس بشيء يتكره ويختاره، إذ أنه إذا ساق سبب التزول كانت قصته كافية في إثارة انتباه الطلاب- المتلقين عموما- واجتذاب مشاعرهم، واستجماع قواهم العقلية، وتهيئة نفوسهم لتقبل الدرس، وتشويقهم للاستماع إليه، وترغيبهم في الحرص عليه، فهم يتصورون الدرس بمعرفة سبب التزول تصورا عاما بما فيه من عناصر القصة المثيرة، فتتوق نفوسهم إلى معرفة ما نزل ملائما له وما يتضمنه من أسرار تشريعية وأحكام تفصيلية تهدي الإنسانية إلى نهج الحياة الأقوم، وصراتها المستقيم، وسبيل عزها ومجدها وسعادتها.²

● ما كان سياقه في واقع الآخرة فلا يجوز تزويله في الواقع: فالآخرة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ولا يمكن لبشر أن يقيس ما يجهل على ما يعرف، ولذلك فأسباب القياس غير متوفرة، ويجب تجنبها لأن المفسر سيقع في الخطأ بالضرورة إذا قاس أحوال الآخرة بأحوال الدنيا.

● مراعاة أحوال الفترة التي نزل فيها النص القرآني: وهو من باب مراعاة أسباب التزول، والحرص على معرفة مكي القرآن من مدنيه، والاطلاع على الوضع الذي نزلت فيه الآية من ظروف سلم أو حرب، ضعف أو قوة... حتى يعرف المقاصد ويفسر على ضوئها، ويصيب في اسقاط حالات الماضي على الحاضر.

¹ ينظر: مناهل العرفان: الزرقاني، دار الفكر، القاهرة، دط، دت، ج1، ص109.

² مباحث في علوم القرآن، ص95.

• أن يكون المفسر متبصرا بالواقع المعاصر: فيعيش مع الناس ظروفهم وأوضاعهم، ولا ينعزل عنهم، وإن كان المفسر المعاصر حبيس مكتبه، فلو استطاع تفسير الآية تفسيرا صحيحا إلا أنه لن يكون قادرا على تنزيلها التزليل المناسب لخدمة المجتمع ودون لي عنق الآية. وابن باديس كما هو معروف عنه في تواصل دائم مع الناس وفي حراك دائم داخل المجتمع، حتى أنه عاش فترة شبابه كلها بين الطلبة والمتعلمين ليل نهار، ولم يعزف عن الشؤون السياسية، ولا قاطع المؤسسات الفرنسية، وكان على اطلاع دائم بقضايا الأمة الإسلامية والعربية.

• أن يكون التزليل مندرجا تحت أصل الآية: وخلافه مذموم مردود، فتفسير الآية يجب أن ينطلق مما جاء به الرسول ﷺ وما أثر عن الصحابة والتابعين، أما أن يكون مبتورا ومستقلا، ويتزله تنزيل معاصرا لا صلة له بما ورد عند السابقين فإنه يرد على صاحبه، وإن ما جاء به ابن باديس من تفسير للآيات خدمة للمجتمع وتزويلا على الواقع الجزائري لكنه لم يخرج عن أصل الآية ولم ينجح إلى تفسير الآيات تفسيرا بعيدا عما جاء به السابقون الأوائل.

3-4- أهمية تنزيل الآيات القرآنية على الواقع وفائدته:

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون آخر رابط بين الأرض والسماء، ويحمل ما فيه هداية الناس ونفعهم إلى يوم القيامة، وهذا موطن إعجازه: حملة دلالات مصلحة لكل زمان ومكان. ولذلك يجب عدم إغفال تنزيل الآيات على الواقع حتى تصير حياة على الواقع، والتفطن إلى هذه الضرورة، مع توخي الشروط المذكورة آنفا. وقد أشار ابن باديس إلى أن تنزيل الآيات على الواقع منهج قرآني ومطلب إنساني فالقرآن نفسه نزل متدرجا مراعيًا الواقع "الحكمة في هذا التزليل كيف كان تنزيل آياته على حسب الواقع، أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجمع وخطبائها في توحيدهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟ بلى والله بلى والله."¹

¹ مجالس التذكير، مج2، ص58-59.

ومن فوائد تتريل الآيات على الواقع:¹

- زيادة توضيح معاني الآيات وتقريبها للأفهام والعقول، فانطباق معنى الآية على واقع يراه الناس عيانا يزيد في إدراكهم لها وفهم معناها ورسوخه في أذهانهم.
- تنمية علاقة المسلم بنصوص الوحي المتزل وربطه بكتاب الله في جميع أحواله وتقلباته، فما من نازلة تتزل إلا ويجد المسلم في كتاب الله هداية له فيها.
- الإسهام في إعادة صبغ الحياة بالصبغة القرآنية ليكون منهج حياة الأمة، ولفت النظر إلى ضرورة الاحتكام إلى كتاب الله تعالى والحذر من مخالفة أمره.
- إحياء منهج السلف بدءا بالنبي ﷺ وصحابته الكرام في الرجوع إلى القرآن الكريم، والتخلق بأخلاقه والوقوف عند آياته.
- تأكيد شمول كتاب الله تعالى لجميع أحداث الحياة، وأنه ما من نازلة تتزل إلى ويجد المسلم في القرآن هداية له فيها. كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

على ضوء مفهوم التذكير عند عبد الحميد بن باديس وترتيب مجالسه الذي لم يراع فيه التسلسل الترتيبي في المصحف: يتضح أن غايته ليست التفسير أو إصدار كتاب في التفسير، ولكن غايته التذكير، فقد كان يتخير من الآيات ما يجد فيه الأنسب لتحقيق الغاية الإصلاحية والنهضوية في الجزائر خاصة وعند المسلمين عامة.

إذن فالموضوع الذي يريد أن يعالجه ابن باديس أسبق في ذهنه من الآية التي يختارها ليوثق بها مراميه وأهدافه من وراء هذا المقال. والآية شاهد ودليل على صحة توجيهاته وآرائه المستمدة آنفا من القرآن الكريم. ومنه فغاية ابن باديس لم تكن تفسير القرآن تأليفا وكتابة بقدر ما كانت غايته الانطلاق من القرآن الكريم ليكون المصدر الرباني للخروج

¹ تتريل الآيات على الواقع عند ابن القيم: يحيى بن محمد زمزمي. مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع4، 25-26.

بالجزائريين من حالة البؤس والشقاء التي يعيشونها إلى حياة السعادة والهناء. فرؤية ابن باديس تنطلق من مبدأ عام أو يمكننا أن نسميه منهج حياة وهو "القرآن الكريم هو الحل الأنجح والأمثل في اصلاح العالم، ولذلك فهو يطل من القرآن الكريم على العالم بعين ثاقبة ومنهج موضوعي وعلمي صارم يعمل من خلاله العقل، وهذا جزء من شخصية ابن باديس غير التقليدية كما يقول فيه أحمد حماني: "لم يكن الشيخ أسير التقليد في تفكيره ولا تفسيره ولا في سلوكه، وإنما كانت له شخصيته القوية واستقلاله الكامل، فكان له منهاجه الخاص في التأويل وأسلوبه في الكتابة واللقاء وطريقته في الاستنتاج والاستنباط وفي الفهم والتفهم وفي القيادة والتدبر وله إيمان بالله يهتدي بهديه، وغاية من وراء الدعوة والتذكير بالقرآن يسعى إلى تحقيقها"¹ ليصحح ويوجه ويعدل كل السلبيات والعواقب التي التصقت بالدين وهي ليست منه.

ومع أن ابن باديس قد فسر القرآن الكريم مشافهة لمدة خمس وعشرين سنة وإلقاء بدأه في ربيع سنة 1332هـ-1914م وختمه في ربيع عام 1337هـ-1938م² إلا أنه اختار هذه المجموعة دون غيرها للنشر، ومن البديهي والمنطقي أن يتبادر إلى الذهن أن هذه الاختيارات فرضتها خصوصية العصر ومستجداته، ودفعته إليها الظروف الخاصة التي تم أثناءها ممارستها لفعل الكتابة ولمغامرة النشر، لأن الوضع العام كان شائكا وخاصا جدا بفعل الاستعمار وعدائته الدائمة للإسلام والعروبة، مما يشير إلى أن اختياراته لم تكن عشوائية، بل مؤسسة على غايات ونيات بعينها دفعته إلى توجيه تفسيره هذه الآية بعينها إلى النشر، وفي هذا العدد وفي هذا الوقت بالتحديد.

بالإضافة إلى تنوع المتلقين لهذه المقالات وتنوع نياتهم في تلقيها له دور كبير في توجيه اختيارات ابن باديس وطريقة طرحه للقضايا وزاوية نظره للآية وتحليل الواقع على ضوءها ومحاولاته تفعيل المجتمع وتحريكه نحو التطبيق الذي تفرضه الآية الكريمة.

¹ الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني، ص420.

² المرجع نفسه، ص416.

خلاصة الفصل:

بعد عرض مجالس التذكير على خصائص التفسير وخصائص المقال، ومقومات تزييل الآيات على الواقع وملابسات البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية.، وبعد دراسة النتائج المتوصل إليها في المبحثين السابقين: فمجالس التذكير ليس تفسيراً، بمفهومه المتعارف عليه، ولكنه أقرب للمقال شكلاً ومضموناً، ينطلق في بنائه من الآية القرآنية ويتزها على الواقع تزيلاً موضوعياً مراعيماً فيه شروط التزييل المذكورة آنفاً. وابن باديس نفسه لم يسمها تفسيراً بل أعطها حكماً الذي يحدد هدفه منها في بداية نشره لها، وهو التذكير.

وتعد المقالة الصحفية - والمقالة الافتتاحية بالتحديد-، مقاماً مناسباً للتذكير، لأنها تنشر دورياً، فتشكل علاقة بينها وبين المتبعين، والتذكير يستدعي التكرار والمتابعة والاستمرارية، وهذه من خصائص المقال.

الفصل الثاني

البحر المعرفي لعلم الرلالة

المبحث الأول: علم الرلالة عند العلماء العرب

المبحث الثاني: النظريات الرلالية الغربية

المبحث الثالث: برديات الالهتام بالمعنى في

الدرس اللساني الحرث.

الفصل الثاني: البعد المعرفي للدرس الدلالي

تمهيد:

قبل الولوج إلى أي علم من العلوم أو تخصص من التخصصات لا بد من خطوة منهجية ضرورية يمر بها ومنها الباحث إلى هذا العلم أو ذلك التخصص، هذه الخطوة هي التعرف على المصطلحات التي تؤس لهذا العلم، لأن المصطلحات "والتي هي وحدات تسمية للمصطلحية تسمى المفاهيم الخاصة بكل اختصاص علمي"¹.

فالمصطلح يمنح الباحث أدوات البحث التي تفتح له أبواب العلم الذي يريده فالمصطلحات . "مفاتيح العلوم". والمصطلح الأساس الذي يجب الانطلاق منه هو مصطلح الدال على العلم: "علم الدلالة Sémantique Sémantics..

ولأن تأسيس المصطلحات هو هجرة للألفاظ من حقل لغوي إلى حقل معرفي متخصص لتحمل دلالات جديدة تكتسبها في علاقتها مع المصطلحات الأخرى التي تشكل معها التأصيل المفاهيمي لهذا العلم، ولذلك "فالمصطلحات لا تحمل فرقا كبيرا مقارنة بالكلمات، وتصبح الفروق واضحة عندما نفحصها من منظور ذرائعي وتواصلية"².

المبحث الأول: علم الدلالة عند العلماء العرب:

1- مفهوم الدلالة:

1-1- الدلالة لغة:

والدلالة في أصلها اللغوي — كما قال ابن فارس — في مادة دل: (الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء فالأول قولهم: دلت فلانا على الطريق، والدليل: الإمارة في الشيء وهو بين الدلالة والدلالة، والأصل

¹ - المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات ماريا تيريز الجابري. تر: محمد أمطوس، ط1، ص 143.

² - المرجع نفسه، ص 143.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

الآخر قولهم: تدلُّد الشيء، إذا اضطرب¹ واستشهد على المعنى الثاني بقول أوس بن حجر²:

أم من لقوم أضاعوا بعض أمرهم بين السوط وبين الدين دليل

وجاء في لسان العرب دل، الدليل ما يستدل به، والدليل الدال... والدليل والدليلي الذي يدلُّدك، وأستشهد بقول الشاعر: "إني إمري بالطرق ذو دلالات"³

فهي بهذا لا تتخطى معاني الإرشاد والهداية والبيان هذه المعاني التي تحملها معها في رحلة الانتقال من الحسي إلى المعنوي.

1-2-الدلالة اصطلاحاً:

جاء في التعريفات: "هي كون الشيء بجالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"⁴

إذن فالدلالة - حسب هذا التعريف - مدلول الكتابة الصوتية محصورة في العلاقة الاعتبارية بين الدال والمدلول فنذكر أحدهما يستحضر ويستدعي الآخر بالضرورة.

2-علم الدلالة:

اللغة هذا الكيان المعقد، الذي انفرد به الإنسان كانت ولا زالت موضوعاً لتخصصات كثيرة لأجل فهمها وفهم طريقة إنتاجها وفهم منتجها، ولأجل تحقيق هذا الهدف المشترك عبر العصور وبين الحضارات المتعددة إلى يومنا هذا تنوعت آليات البحث فيها وتعدد المناهج

¹ - معجم مقاييس اللغة: ، مادة (د - ل) .

² - ديوان أوس بن حجر: تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ط 3، 1423 هـ - 1979، ص103.

³ - لسان العرب، مادة (د. ل) .

⁴ - معجم التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. تح: محمد صدّيق المنشاوي. دار الفضيلة، دط، دت، ص91. .

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

التي فيها القدرة على الإجابة عن هذه الأسئلة والوصول إلى الهدف المرجو، كل حسب تخصصه ومن زاوية نظره ووفق أفكاره وتوجهاته التي فرضتها البيئة أو الحقبة الزمنية.

لكن الذي لا خلاف فيه أن دراسة اللغة تقوم على مستويات (صوتي وصفي، وتركيب ودلالي) تتداخل فيما بينها... لدرجة تغيب معها الحدود والفوارق "فلا يمكن اعتبار التركيب والصيغة والمعجم والدلالة مستويات مختلفة متفاضلة عند التحليل اللغوي لأن صيغة العبارة وسلوكها اللغوي في التركيب إنما يجدهما مضمونها الدلالي والبناء التصوري الذي اتخذ ذلك المضمون"¹.

ولا مجال للمفاضلة بين مستويات اللغة، فكلهما تتعايش في تكامل وانسجام لتحقيق المعنى "لأن دراسة الدلالة هي غاية التحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الهدف من وراء اللغة هو الاتصال والتفاهم، ودون دراسة المعنى يصبح التحليل اللغوي لغوا لا طائل من ورائه، فقيمة المعنى لا تنحصر في الدرس اللغوي فحسب بل تتعداه إلى حقول معرفية أخرى، علم النفس، وعلم الإجتماعي، وأنتروبولوجيا والسياسة، والتاريخ والنقد... والمعنى لصيق بالإنسان وبكل ماله علاقة بحياته، وهذا ما يؤكد لنا أن " البحث في الدلالة من أصعب المجالات على الإطلاق"².

ولذلك ونحن نبحت عن تعريف دقيق شامل ومانع لعلم الدلالة نجد أنفسنا أمام كم هائل ومتنوع من التعريفات كل ينظر إليه من زاوية تخصصه ويسلط الضوء على ما يلائمه.

وإذا أردنا التأصيل التاريخي للمصطلح Semantique « نجد اتفاقا حول نسبته إلى اللساني الفرنسي Michell Breal 1883 الذي اقترح دخول هذا المصطلح اللغة العلمية

¹ -مدخل إلى النحو العرفاني: عبد الجبار بن غريبة. مسكليان للنشر، كلية الآداب والفنون الإنسانية منوبة، 2010، ط1 ص 45.

² - الظاهرة الدلالية عند علماء العربية الدامي حتى نهاية القرن الرابع هجري: صلاح الدين زرال. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان منشورات الاختلاف، الجزائر، 1429هـ-2008م، ط1، ص 55.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس اللغوي

فقال: "إن الدراسة التي يدعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم¹ لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها.

وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها فإننا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني².

انطلاقاً من تعريف ميشال بريال لمصطلح سيمانتيك نجده يحصره في ثلاث أفكار الأولى هي العيانة بمعنى الكلمات وجوهرها الذي عانى من التهميش والإقصاء لسنوات من اللسانيين البنويين والوظيفيين والتولديين في مراحل أولى وبنسب متفاوتة.

ثانيها: السعي نحو استقرار الظواهر اللغوية للوصول إلى قوانين تحكم تطور المعاني.

أما ثالثهما فتحديد المنهج، فكل علم لا بد له من منهج يكون آليته العلمية والموضوعية التي يتوسم بها البحث والتقصي.

والاستقراء والاستنتاج، كما يقول في ذلك منذر العياشي: "ألا وأنه ليقال إن العلوم لا تأخذ مصداقيتها إلا من مناهجها وصلابة تماسكها من جهة، ومن قدرة هذه المناهج على استخراج المعارف وتقنين الأنساق المنتهجة من جهة أخرى"³.

ربط ميشال بريال سيمانتيك بدراسة تطور الكلمة وتبعها تاريخياً من ميلادها إلى وفاتها، ولذلك اعتقد بعض الباحثين أن علم الدلالة ظهر من رحم المنهج التاريخي، بل إن منهجه أصلاً هو المنهج التاريخي"⁴. أو المنهج التطوري التأصيلي الذي يقف على ميلاد الكلمات ويتبعها في مسارها التاريخي وقد يردّها إلى أصولها الأولى.

¹ - علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي - منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 17.

² - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 17.

³ - مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة: منذر عياشي، مجلة ثقافيات، (د، ع)، 2005، ص 13.

⁴ - الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 58.

2-1- الأصول التاريخية لعلم الدلالة:

علم الدلالة لم يكن بدعا ابتدعه ميشال بريال ولكنه مسار متصل بالإنسان منذ أصبح واعيا أنه يملك ميزة تمنحه الخصوصية عن غيره من الكائنات، فكانت عنايته باللغة بكل مستوياتها متصلة بوعيه إياها، ولأن المعنى هو محصلة كل المستويات الأخرى ولأنه موجود قبل التلفظ وأثناءه وبعده، ولأنه غاية الكلام، ومحظ عناية المتكلم والمتلقي، فالبحث فيه حاضر في كل تراث لغوي بشري، عند الهنود، واليونان والعرب وفي الدرس اللساني الحديث.

ولكن لا يعني ذلك أن علم الدلالة علم قديم النشأة، ولا يعني أن الدرس اللغوي القديم عرف علما يسمى علم الدلالة، بل هناك ملاحظات وإشارات دلالية، وتطرق إلى أكثر موضوعات علم الدلالة الحديث سواء بإيجاز أو إسهاب.

2-2- بدايات الدرس الدلالي عند علماء العرب:

ارتبط الدرس اللغوي عند العرب بالقرآن الكريم، فكانت بواكيره الأولى ذات طابع عقائدي، تتداخل فيه حقول معرفية كثيرة كالفقه، وعلم الكلام، والتفسير، والبلاغة والأصول.....

لأن المنطلقات كانت مؤسسة على النص النموذج — القرآن الكريم — الذي يمثل قمة البلاغة وذرورة الفصاحة والكمال في البيان، النص المعجز المتحدى به البلغاء والفصحاء في عنصر البلاغة والفصاحة، تضافرت جهود العلماء كل من زاوية رؤيته ومن تخصصه ولكن هدفهم مشترك وهو "فهم القرآن الكريم بتدليل معانيه واستنباط دلالاته، واقتباس ألفاظه"¹

وإذا نقبنا عن الدلالة في الدرس اللغوي العربي القديم ألفيناها تتداخل مع مستويات آخر من الدرس، لذلك هي حاضرة في مؤلفات النحاة واللغويين وعلماء الأصول وعلماء الكلام

¹ - الدلالة والمعنى - دراسة تطبيقية - عقيد خالد حمودي العزاوي/ عماد بن خليفة الدابني البقوي. دار العصابة، دمشق، سوريا، ط 1، 1435 هـ - 2014 م، ص 41.

والفقه والبلاغيين.

● عند اللغويين: تظهر العناية الدلالية عند اللغويين في بدايات الدرس اللغوي مع أبي الأسود الدؤلي وتلامذته في نطق القرآن نقط إعجام ونقط إعراب وهي أولى مراحل الدرس الدلالي.

لتظهر في مراحل لاحقة جهود تعد من صميم الدرس الدلالي الحديث وتثار قضايا دلالية هامة ومتشعبة وتعتبر جهودا مثمرة في زمانها.

ويعد معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ) بحثا دلاليا معجميا صنف فيه المادة اللغوية التي تحرى تجميعها من البوادي والقبائل العربية واستشهد في دلالتها من القرآن والحديث والقراءات القرآنية وعيون الشعر العربي، مستندا إلى مبدئين:

— مبدأ المخارج في ترتيب الألفاظ بدءا بالعين، بعده أبعد صوت مخرجا من أقصى الحلق.

— مبدأ التقلبات في الكلمة الواحدة ويشير إلى المهمل والمستعمل فيها.¹

— جهود سيويه: يعد "الكتاب" ذروة ما وصل إليه النحو العربي البصري، ويجمع خلاصة سنوات من البحث والتقصي والسماع والقياس، وهو كما قال عنه سيويه - كتاب في العربية فالنحو أو علم العربية بمفهومهم يمثل كل ماله علاقة باللغة أي اللغة بجميع مستوياتها، لذلك نجد في الكتاب "الصرف والصوت والنحو والبلاغة وإشارات دلالية مهمة ساهمت في وضع القواعد النحوية، كأبواب الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والاختصاص، والإعراب على المعنى، والتحذير والإعراب وحروف المعاني وعلاقة الأبنية الصرفية بالمعنى وغيرها كثير، وفي هذا دليل على الوعي - بأن النحو علم من علوم الآلة التي تخدم الدلالة، وغايتها تحقيق المعنى.

¹ - محاضرات في علم الدلالة: خليفة بوجادي، بيت الحكمة، 2012، ط1، ص 40.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

بل إن الدافع الأول للدرس اللغوي كان يصب في صميم البحث الدلالي وهو حفظ القرآن الكريم من اللحن، لأن اللحن يغير الدلالة ويجول بين المخاطب قصد المتكلم. وأشار عبده الراجحي إلى أن عملية الربط هذه بين تفشي اللحن وظهور علم النحو أمر غير مثبت¹.

بل أرجع الغاية من نشأة النحو على فهم القرآن الكريم ليس حفظه ولو كانت الغاية حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي،² وكانت منطلقا لكل المجالات اللغوية الأخرى.

كما ربط ابن جني بين الصوت والدلالة فيقول: "وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فيقول: كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بهذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بما أي: رجلا فاضلا، أو شجاعا، أو كريما أو نحو ذلك وأما إذا اختلف الموقف كأن، يكون موقف ذم وتبرم فإن المعنى يختلف ف: "إن ذمته ووصفته بالضيق قلت سألناه وكان إنسانا وتروي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك.

وهي الأبواب التي سماها ابن جني (392 هـ) بشجاعة العربية" ونورد مثالا عن ذلك في باب التحذير، قال سيويوه: "قولك إذا كانت تحذر: إياك كأنك قلت: إياك تنح، وإياك باعد، وإياك إتق، وما أشبه ذلك... ومن ذلك رأسه والحائط... وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم وإستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر."³

الدلالة عند الجاحظ: (255 هـ) يقول الجاحظ: "المعاني القائمة في صدور الناس،

¹ - ينظر: دروس في المذاهب النحوية: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، 1988، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص 10/ السياق والدلالة: مسعود بودوخة، بيت الحكمة، ط 1، 2012، ص 88.

³ - الكتاب، ج 1، ص 273.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية.... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطيه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا تغييره. وإنما يجي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقر بها من الفهم، وتجلبتها للعقل، وتجعل الخفي، منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا، وهي التي تلخص المتببس وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيدا، والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا والحسي مألوفاً، والعقل موسوما والموسوم معلوما.¹

وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأجوع.

3-أنواع الدلالة:

يعد مبحث أنواع الدلالة من المباحث المتأصلة في الدرس العربي القديم، والذي أولاه اللغويون والأصوليون وعلماء الكلام عناية فائقة فتنوعت تصنيفاتهم باعتبار توجهاتهم ومنطلقاتهم الفكرية والفلسفية وباعتبار المنهج والغاية وخلص هذا المبحث إلى:

3-1 باعتبار العلاقة بين الدال والمدلول:

تقسيم الدلالة باعتبار العلاقة بين الدال والمدلول إلى ثلاثة أقسام: الدلالة الوضعية، والدلالة العقلية والدلالة الطبيعية وأما انحصارها في الوضعية والعقلية والطبيعية فبالاستقراء² لا بالحصص العقلي الدائر بين النفي والاستثناء.

● **الدلالة الوضعية:** "وهي جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني"³ جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ حميته أشياء لا تنقص ولا

¹ البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بحر الكنايني (الجاحظ). تح: محب الدين الخطيب. 1332هـ، ج1، ص43.

² الكليات: أبو البقاء الكفوي. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ-1998م، دط، ص441.

³ حاشية الشريف الجرجاني علي شميسة القزويني، ج1، ص176.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النصية والنصية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات.

فهي دلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها كدلالة السماء، والأرض، والجبال على مجسماتها، ولاشك في كونها وصفية، وإلا لا اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع.¹

وتسمى الدلالة الوضعية، الدلالة الاصطلاحية أو العرفية، لأن المجتمع تواضع عليها واصطلح على الأشياء الخارجية بهذه الرموز أو الدوال فالعلاقة بين الدال ومدلوله ليست علاقة طبيعية فطرية، ولذلك يقتضي لإدراكها العلم المسبق بطبيعة الارتباط بين

الدال والمدلول" فالوضع ينشأ عن غرض تدليلي ينبثق عنه فعل الإعلام ضمن الأطر التداولية، فيما ينعكس من صور خارجية هي آثار زائلة في النفس لولا رسوخها بالخيط² فالإنسان قاصر عن إدراك الدلالة دون وجود قاعدة ينطلق منها تأسيس العلاقة بين الدوال والمدلولات وهذه العلاقة ليت فطرية ولكنها من مواضع المجتمع التي أصبحت خبرات ماضية يستخدمها الدهن إذ لما أدرك الإنسان بواسطة الحواس الظاهرة أعيان الموجودات، صارت صور المدركات متمثلة في ذهنه بالطبع، ثم إن تلك الصورة بمعاونة الحفظ والتذكر ذلك على أعيان الموجودات أيضا بالطبع، وإذ أراد أن يعلم غيره بتلك المدركات بحسب مقاصد تعلقته بإرادته بما جعل أفعاله وحركاته الإرادية دليلا عليها بالوضع³. [إلا أن العلم بالوضع ليس من شأنه أن يولد الدلالة] والوضع هو "تعيين اللفظ للدلالة على المعنى بنفسه- أي ليدل بنفسه- لا بقرنية تنضم إليه." ولا بدّ للوضع في الوضع من تصور المعنى فإن تصوّر

¹ نهاية الإيجاد في دراسة الإعجاز: فخر الدين الرازي، تح: إبراهيم السامداني ومحمد بركات، عمان- الأردن، دار الفكر، دط، 1985، ص39.

² كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات: كريم عبيد علوي. دار الأمان، الرباط، 2013، ط1، ص 233.

³ أساس الاقتباس في لمنطق: نصير الدين الطوسي. تر: منلا خسرو. المجلس العالمي للثقافة، دط، دت. ج1، ص85.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

معنى جزئياً، وعين بإزائه لفظاً مخصوصاً أو ألفاظاً مخصوصة متصورة إجمالاً أو تفصيلاً، كان الوضع خاصاً، لخصوص التصور المعبر فيه -أي تصور المعنى- وكان الموضوع له أيضاً خاصاً...¹

• **الدلالة العقلية:** هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه والمطلوب بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقاً سواء كان استلزام المعلول للغة كاستلزام الدخان للناس أو العكس كاستلزام النار للحرارة أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان للحرارة².

"فالعملية العقلية التأويلية التي تنشأ عنها الدلالة تستخلص بفكرة الانتقالات الذهنية بين الدال والمدلول وهي أهم من أن تكون انتقالات لفظية³ وتتنوع مسالك الانتقال من الحاضر المعلوم إلى الغائب المجهول فتتحدد نماذجها بحسب قدرة المعلوم على أن يتخلى بحلية الأمانة الكاشفة عن مدلولها⁴، فيكون للعقل وبتوظيف أدوات المنطق وآلياته اليد في إدراك الدلالة مما يميزها عن الدلالة اللفظية التي يعد العلم بالوضع شرطاً ينتقل الذهن منه مستدلاً بحسية الدال على قصديه المدلول على خلاف الدلالة العقلية التي ينتقل فيها الذهن اتكاءً على السببية العلية في تحقيق الدال، أي الأثر الفيزيقي والتزامه لمؤثر مسبب مستدلاً عليه، فلا محمول بدون علية مؤثرة⁵.

وتتنوع المسالك العقلية التي يستثمرها العقل لتحويل الفكر من الحقائق الحاضرة إلى الحقائق الغائبة والتي يمكن حصرها في ثلاثة مسالك كبرى مسلك البرهان، ومسلك القرائن

¹ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي. مكتبة لبنان، 1996م، ط1، ج4، ص 330.

² المرجع نفسه، 487-488

³ الكليات المعرفية اللغوية عند الفلاسفة المسلمين ص 234.

⁴ اللسانيات وأسسها المعرفية عند السلام المسدي. الدار التونسية للنشر - تونس/ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 49.

⁵ الكليات المعرفية اللغوية عند الفلاسفة المسلمين ص 235-236.

الراجعة، ومسلك الاستدلال الرياضي¹.

-مسلك البرهان القاطع: وهو الذي يتقيد بقيود المنطق العقلي بحيث إذا قلت أن محمداً أكبر من علي وأن علياً أكبر من خالد، أو إذا سألت عن جنس الحاضرين فأجبت بأن بعضهم ذكور عرفت أن بينهم إنثانا"

-مسلك القرائن الراجعة: وهو الذي قلّمنا يفضي إلى يقين قاطع لذلك هو يتيح لنا دلالة ظنية وهذه علة الاصطلاح عليه بمسلك القرائن الراجعة، ومن هذا الباب ما يقوم به كل محقق مدني أو مفتش جنائي وكذلك ما يجريه أي مستنطق قضائي، كل أولئك يمسكون في البدء بمعطيات هي في منزلة العلامات الدالة" وبواسطة القرائن المنطقية يستكشفون مدلول تلك العلامات وهم في سعيهم ذاك غنّما يبحثون عن اقتران بسبب يربطون فيه بين شواهد حاضرة أو في حكم الحاضرة- الحقيقة التي غابت لأنها انحجبت وراء ستائر الزمن المنقضي، ولكن كانت ثمرة هذا الاقتران العلي ظنية فإنه يظل محققاً لوجود الدلالة بين شاهد هو دالها وحقيقة هو مدلولها.

-الاستدلال الرياضي: وفيه يتوخى العقل سبل ما صادر عليه أو افترضه ليتخذه مدرجا يرتقى به من المعلوم فرصاً إلى المجهول تقديراً، فيكون كلّ ما يقدم من معطيات هو بمثابة العلامة التي يتعين أن يستدل بها على مدلولها وهو الحقيقة الرياضية..."

• **الدلالة الطبيعية:** وهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه. والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع، سواء كانت طبيعة اللفظ أو طبيعة المعنى أو طبيعة غيرهما²، كأن يستدل الإنسان بما يلاحظه من خصائص تطراً في الجو على ظواهر تنتج طبيعياً لتحدد حالة لطقس والمناخ... وكان يستدل الناظر على حالة الإنسان الصحية انطلاقاً من أغراض طبيعية وملامح يلاحظها كسحوب أو اصفرار أو

¹ ينظر اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 50-51.

² كشاف اصطلاحات الفنون، ص 488.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

هزال قيريط بين ما لاحظته وما هو علّة طبيعية له، فإذا بالأغراض التي هي نتائج للأسباب تتحول قرائن وأمارات يستدل بها على عللها فتعد وهي نفسها عللا إدراكية.

"... بما أن العقل يتخذها مطيّة ينتقل عليها مما عرف إلى ما لم يكن يعرف وهو عين الانتقال من المعلوم إلى المجهول¹.

يتبين لنا اجتماع الدلالة العقلية والطبيعية وهو ما اتحد عليه التهانوي إذ " لا يفصح في الدلالة الطبيعية وجود دلالة عقلية مستبدة إلى علاقة عقلية، لجواز اجتماع الدالتين باعتبار العلاقتين بل ربما يجتمع الدلالات الثلاث باعتبار العلاقات الثلاث كما إذا وضع لفظ "اح اح" للسعال بل نقول: كل علاقة طبيعية تستلزم علاقة عقلية، لأن إحداث الطبيعية عروض الدال عند عروض المدلول، إنما يكون علاقة للدلالة الطبيعية، باعتبار استلزام تحقق الدال تحقق المدلول على وجه خاص. لكن الدلالة المستندة إلى استلزام الدال للمدلول بحس نفس الأمر مطلقا مع قطع النظر عن خصوص المادة دلالة عقلية. والدلالة المستندة إلى الاستلزام المخصص بحسب مادة الطبيعة طبيعية فلا إشكال.

3-2- باعتبار العلاقة بين اللفظ والمعنى

انفرد الفلاسفة المسلمون بتصنيف الدلالة إلى ثلاثة أصناف، دلالة المطاهية ودلالة التضمن ودلالة الالتزام.

ونالت قضية اللفظ والمعنى مساحة واسعة في الساحة الفكرية الإسلامية العربية فأسالت الكثير من الخبر في مصنفاتها اللغوية الأصولية والكلامية فتجاوزت الساحة اللغوية بتوجيهها حسب الخلفيات (الإيديولوجيات) التي ينطلق منها علماء القدماء

ويقول ابن سينا في علاقة اللفظ والمعنى: "واللفظ يدل على المعنى إمّا على سبيل المطابقة بأن يكون ذلك اللفظ موضوعا لذلك المعنى وبإزائه مثل دلالة "المثلث" على الشكل المحيط به

¹ اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 46.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

ثلاثة أضلع، وإما على سبيل التضمن بأن يكون المعنى جزءاً من المعنى الذي يطابقه اللفظ مثل دلالة "المثل" على الشكل فإنه يدلّ على الشكل لا على اسم الشكل بل على أنه اسم معنى جزؤه الشكل وإما على سبيل الاستتباع والالتزام بأن يكون اللفظ دالاً بالمطابقة على معنى، ويكون ذلك المعنى يلزمه معنى غيره كالرفيق الخارجي، أو كاجزاء منه بل هو مصاحب ملازم له مثل دلالة لفظ "السقف" على الحائط و"الإنسان" على قابل الصناعة¹.

ويقول في ذلك الغزالي: "دلالة اللفظ على المعنى من ثلاثة أوجه أحدهما بطريق المطابقة كدلالة لفظ البيت على معناه الآخر بطريق التضمن كدلالة لفظ البيت على الحائط المخصوص فإن لفظ الحائط موضوع للمسمى به على المطابقة ولفظ البيت أيضاً يدل عليه، ولكن يفارقه على وجه الدلالة والثالث بطريق الالتزام كدلالة السقف على الحائط فإنه يبين طريق المطابقة والتضمن².

فالتأمل في التراث البلاغي والنقدي السابق لعبد القاهر بل والمعاصر له، نلاحظ أنّ هذه الثنائية ثنائية اللفظ والمعنى قد شغلت حيناً كبيراً داخل هذا التراب..."³

"فقد أدى كل ذلك إلى انقسام علماء العربية القدامى إلى فرق ونحل كل ينطلق من بيئة معرفية والعقدية في تفسير هذه الظاهرة⁴ التي انبثقت عن خلفية دينية محض وهي قضية الإعجاز القرآني ومحاولة البحث فيها ومعرفة الأسباب التي جعلت القرآن الكريم معجزاً أهى في اللفظ أم في المعنى أم في كليهما معا حين وصلته الفكر اللغوي العربي إلى التأكيد على "نظرية النظم" التي وصلت إلى ذروتها مع عبد القاهر المرجاني أما قبل هذه المرحلة - برعم وجود بوادرها وأصول في صفحات مصنفات النحاة والأصوليين وعلماء والبلاغيين" فإن

¹الإشارات والتنبيهات: ابن سينا، تح: سليمان دنيا، شرحه: نصر الدين الطوسي. دار المعارف، دت، ط3، ص139.

² مقاصد الفلاسفة: أبو حامد الغزالي. تح: محمد ييجو. مطبعة الضباع، 1420هـ-2000م، ط1، ص15.

³اللفظ والمعنى بين الأيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم: طارق النعمان. سينا للنشر، القاهرة، ط1، ص13.

⁴ الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى، ص67.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

علماء العربية القدامى كانوا بين رجلين أحدهما ينتصر للفظ والآخر للمعنى ولا يوجد وسط بينهما¹.

فتيار أهل السنة رأوا المزية في المعنى بسيط اعتقادهم بأن الكلام عبارة عن معنى قائم في النفس وقولهم بأن كلام الله قديم وهو عبارة عن معنى قائم في ذات الله، وتيار المعتزلة والشيعية، رأوا المزية في اللفظ بسبب اعتقادهم بأن الكلام هو تلك الألفاظ والأصوات، وقولهم بأن كلام الله مخلوق وهو عبارة عن أصوات القرآن الكريم وألفاظه².

لنجد أنفسنا أمام قضية هامة ولا تقل قيمتها عن قيمة قضية اللفظ والمعنى والتي تتمثل في علاقة اللفظ بالموضوع له. ونجد في سياق الفكر العربي اتجاهين اثنين.

أولهما: يذهب إلى أن اللفظ موضوع للموجود الخارجي وهذا مذهب إلى إسحاق البيتراري (ت 476)³.

ثانيهما: اللفظ موضوع للصورة الذهنية وينسب هذا المذهب إلى الإمام الرازي. ولم يصطلح عليها الزركشي الصورة الذهنية ولكنه يقول في البرهان "الكلام الحق عندنا قائم بالنفس ليس حرفا ولا صوتا، وهو مدلول العبارات والرقوم والكتابة وما عداها من العلامات" أما الإمام الغزالي فقد استخدم مصطلح صور في الأذهان في كتابة المقصد الأسني عند عرضه لفكرة دلالات الألفاظ وكذلك استخدم مصطلح صور المعقولات للمفهوم نفسه في المستصفى⁴.

ويقول الرازي: "الألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان، ولهذا

¹ الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى، ص 68.

² إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الخامس إلى نهاية القرن السابع: على مهدي زيتون. ص 33-34.

³ المزهري ج1، ص 42.

⁴ ينظر هامش علم الدلالة عند العرب: فخر الدين الرازي نموذجاً: محي الدين محاسب. دار الكتاب الجديد المتحدة،

2008 ط1، ص 49.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس اللغوي

السبب يقال: الألفاظ تدل على المعاني، لأنّ المعاني هي التي عناها العاني، وهي أمور ذهنية والدليل على ما ذكرناه من وجهين:

الأوّل: أنا إذا رأينا جسما من البعد وظنناه صخرة قلنا إنه صخرة، فإذا قربنا منه وشاهدنا حركته وظنناه طيرا قلنا إنه طير، فإذا ازداد القرب علمنا أنه إنسان فقلنا إنه إنسان. فاختلاف الأسماء عند اختلاف التصورات الذهنية يدلّ على مدلول الألفاظ هو الصور الذهنية لهذه الأعيان الخارجية

الثاني: أن اللفظ دلّ على الموجود الخارجي لكان إذ قال إنسان: العالم قديم وقال أنر العالم حادث لزم كون العالم قديما حادثا معا وهو مُحال، أما إذا قلنا إنها دالة على المعاني الذهنية كان هذان القولان دالين على حصول هذين الحكمين من هذين الإنسانين وذلك لا يتناقض."

4- طيف النظرية التصورية في الفكر اللغوي العربي:

4-1- المعنى عند الفلاسفة

انقسمت التوجهات الفلسفية حول قضية المعنى إلى محورين رئيسيين يعتبر كل فريق منهما أنها مسلمة ذهنية.

أولهما: أن المعنى في اللغة الطبيعية عبارة عن بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، أي أنها تعتبر المعنى تمثيلا ذهنيا.¹

فترى أن اللفظ موضوع الوجود والخارجي، أي أن قائمة في الخارج، فيفترض اتصال اللغة بالكون باعتبار اللغة جملة من العلامات تكاد وظيفتها تنحصر وفق هذا المتطور في الإحالة على الحقائق الخارجية.²

¹ - البنى التصورية واللسانيات المعرفية ص 79.

² - مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي، بحيث في الأس الدلالية للشيء النحوية: شكري السعدي. دار الكتاب

الجديد المتحدة، ط 1، 2013، ص 120.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس اللغوي

وتعد النظرية الأولى امتدادا للنظرية الأرسطية التي تقوم على أن "الكلام رمز لما في العقل والكتابة رمز الكلام، وكما أن حروف الكتابة ليست واحدة بالنسبة لكل بشر، فكذلك الألفاظ، غير أن المعقولات - التي تعد هذه الألفاظ علامات مباشرة لها - واحدة بالنسبة للجميع، وكذلك الأشياء القائمة في العلم الخارجي، التي تعد هذه المعقولات صورا لها متماثلة بالنسبة للجميع"¹

اللغة انعكاس مباشر للفكر الذي يتسم بوجود سابق على اللغة، فلا أثر لها في إيجادها لأن خاصية الإنسان بما هو إنسان، ومن ثم فهذا الفكر يتسم بطابع كلي لاختلاف بين البشر فيه"² واستمرت هذه النظرية مسطرة على الساحة الفكرية فلسفيا ولغويا إلى أن واجهها ظهور فرضية وورف³ التي تقوم على فكرة أن اللغة مرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي نشأت فيه.

رغم أن الشكل العام للفكرة صحيح ومقبول منهجيا إلا أن تتبع الدرس اللغوي والدلالي بالتحديد في حضارات متنوعة وعصور زمنية مختلفة منذ أرسطو إلى زمننا فإن دراسة أصل اللغة ومصدرها أمر بحث فيه أعم بغية معرفة سبب وجود هذه الخبيصة الإنسانية.

و لم يخجل الدرس اللغوي العربي من هذا المبحث بل وقد بحث فيه أقلام تخصصات كثيرة من نحويين وأصوليين وفلاسفة وانقسمت آراؤهم بين شقيين :

— واجتهد الفلاسفة المسلمون في وضع الأدلة والحجج التي دفعتهم إلى تبني الرأي دون الآخر، يقول الرازي في محاولة منه لإثبات مذهبه: "للألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان، ولهذا السبب يقال: الألفاظ تدل على المعاني، لأن المعاني هي التي عنها

¹ - اللغة والفكر والعالم- دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية التحقق: محي الدين محسب. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997م، ص1.

² - المرجع نفسه، ص1.

³ - علم الدلالة عند العرب، ص 1.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

العاني وهي الأمور الذهنية، والدليل على ما ذكرناه من وجهين.

الأول: أنا إذا رأينا جسما من البعد وضحناه صخرة، فلنا إنه صخرة، فإذا قربنا منه وشاهدنا حركته وظنناه طيرا قلنا أنت طير، فإذا ازداد القرب علمنا أنه إنسان فقلنا أنه إنسان، فاختلاف التصورات الذهنية يدل على أن مدلول الألفاظ ظهور الصور الذهنية لهذه الأعيان الخارجية.

الثاني: أن اللفظ لو دل على الموجود الخارجي لكان إذا قال إنسان: العالم قديم، وقال آخر العالم حاد.. لزم كون العالم قديما حديثا معا وهو عال، أما إذا قلنا أنها دالة على المعاني الذهنية كان هذان القولان دالين على حصول هذين الحكمين من هذين الاثتين وذلك لا يتناقض¹.
بعد قراءة هذين الدليلين الذين وضعها فخر الدين الرازي لإثبات وجهة نظرة نفق عند نقطة مهمة وهي علاقة المتكلم بالمسميات التي يطلقها على الأعيان الخارجية سواء كانت مطابقة للواقع أم لا، فهي أحكام نابغة عن إدراكه الأولى بتلك الأعيان الخارجية فهي "ليست غير ذات معنى بل هي عملية الإدراك ذاتها أو خطئها، ولذلك فإن هذا الإغفال من جانب الرازي لعنصر الموجودات الخارجية لا يطرد في نصوص أخرى"²
فنجد المثلث الدلالي حاضرا في المفهوم الدلالي وفي علاقة اللفظ بالموضوع له عند الرازي فيقول مثلا: "إن الكلام له متعلق في الخارج بواسطة أنه متعلق بما في الذهن والذي في الذهن متعلق بما في الخارج"³.

هذه العلاقة بين الصورة الذهنية والاعيان عند الرازي ومصدر المعرفة وما هي الأدوات الأولى لها التي يخلص فيها إلى أن "العالم الخارجي أو الأعيان الخارجية هي مصدر هذا التكوين المعرفي وأن الحواس هي الوسيلة الأولى وأن التصورات هي المعطى العقلي الأول لتفاعل الحواس مع العالم وأن التطبيقات (الحكم = النسب الذهنية) هي ممارسة الذهن لفعاليتها

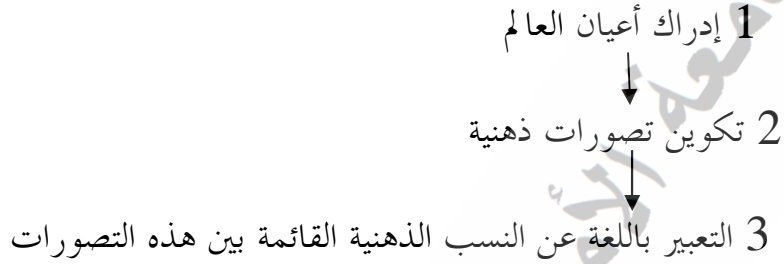
¹ - تفسير الرازي ج 1، ص 31، وأنظر ج 28/238.

² - علم الدلالة عند العرب، فخر الدين الرازي نموذجاً، ص 51.

³ - تفسير الرازي 25 ص 56، وينظر: علم البلاغة عند العرب، فخر الدين الرازي نموذجاً، ص 51.

في إدراك العلاقات المختلفة القائمة بين هذه التصورات.¹

إذن فوضع الألفاظ للدلالة على المعاني، عند الرازي يتم وفق الترسيم الآتية:²



وقد نحا في ذلك نحو الأصوليين في كلامهم عن أسباب انعقاد الدلالة

فقال فيها الغزالي (ت 505 هـ): "أعلم أن المراتب فيما نقصد أربعة، واللفظ في الرتبة الثانية فإن الشيء وجود في الأعيان ثم في الأذهان ثم في الألفاظ ثم الكتابة فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى في النفس والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان³ ويقول في الباب نفسه ابن سينا موضحا الكيفية التي يحصل بها هذا التناسب "إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترسم فيها صور الأمور الخارجية وتتأتى عنها إلى النفس، فترسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا وإن غاب عن الحس، فللأمر وجود في الأعيان ووجود في النفس يكون أثارا في النفس، ولما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى (..) المحاورة لاضطرابها إلى المشاركة والمجاورة انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا، ليدل بها على ما في النفس من أثر، ثم وقع اضطراب ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان، أو من المستقبلين، إعلاما بتدوين ما علم (..) فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق فاخترعت أشكال

¹ - علم الدلالة عند العرب، فخر الدين الرازي، ص 53.

² - ينظر المرجع نفسه ص 54.

³ - معيار العلم في فن المنطق: أبو حامد الغزالي. شرحه: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م،

ولا يخرج هذا الرأي عن النظرية الأرسطية التي تقول "إن الكلام رمز لما في العقل، والكتابة رمز للكلام، وكما أن حروف الكتابة ليست واحدة بالنسبة لكل البشر كذلك الألفاظ، ولكن المعقولات — التي تعد هذه الأصوات علامات مباشرة لها — واحدة بالنسبة للجميع، وكذلك الأشياء في العلم الخارجي والتي تعد هذه المعقولات صوراً لها متماثلة بالنسبة للجميع"² وهو ما يذهب إليه المناطقة المسلمون فالصورة الذهنية — عندهم — عالمية لأنها مستخلصة بتحصيل عقلي والعقل (الآلة) مشترك بين كل الناس.³

وذهب الدكتور محي الدين المحسب إلى إقصاء أي احتمال لوجود مبادئ نظرية وورف اللغوية في الفكر الإسلامي لأن فيها تضاداً مع المبدأ الإسلامي القائم على أن الله تعالى هو الذي علم الإنسان البيان، وأنه هو الذي أهدى النفس فجورها وتقواها⁴ ومع ذلك فهناك وجود يقاربه ولا يطابقه وهو أن اللغة تقوم بدور الناقل أو المعبر عن الفكر وليس دور المشكل له كما هو الطرح في نظرية وورف، وسبقه إلى هذا الطرح هيردر الذي أكد أن "الروح الإنسانية تفكر بالكلمات وأنا أردنا تحليل الفكر فليس من وسيلة إلا تحليل اللغة".

وتسير أفكار هوبوليدت في الاتجاه ذاته "فاللغة هي المظهر الذي يكشف عن عقل الأمة فاللغة هي عقلها وعقلها هو لغتها" ومن هذا المنطلق يربط هوبوليدت بين خصوصية التفكير والإدراك وخصوصية اللغة وذلك لأن: "التفكير والإدراك لا يمكن أن يتحدا وأن يتسما بقابلية التوصل إلا من خلال اللغة، ومن ثم فاللغة والتفكير لا يقبلان الانفصال وليسا مستقلين" وإذا كان الأمر كذلك فإن الاختلافات القائمة بين اللغات ليست مجرد اختلافات

¹ - العبارة ابن سينا، ج 1، ص 20.

² - نقلاً عن: علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرازي نموذجاً، ص 54-35.

³ - المعنى اللغوي، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة 2009، ط2، ص 82.

⁴ - اللغة والفكر والمجتمع - دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق -: محي الدين محسب. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، ص1988م، ص1.

صوتية بل إنها تنطوي على اختلافات في تعبير العالم وفهمه من قبل المتكلمين بكل لغة، ليخالف بذلك مذهب أرسطو ومذهب الغزالي والمطابقة المسلمين الذي يعد مطابقا للمذهب الأرسطي القابل بالتمثيل في التصورات والأعيان وإنما الاختلاف يقع في الرموز الصوتية والكتابية.

4-2- رأي الرازي حول علاقة اللغة بالفكر والعالم:

إنّ الرازي يختار أن يكون وضع الألفاظ عملية عاكسة للمحتوى الذي تكون عن طريق إدراك الذات للعالم إدراك أعيان العالم أولاً، ثم تكوين تصورات ذهنية عن هذه الأعيان ثم التعبير باللغة عن النسب الذهنية قائمة بين هذه التصورات¹.

"دلالة المطابقة وضعية صرفية. ودلالتنا التضمن والالتزام باشتراك العقل ولوضع، ويشترط فيهما أن لا يكون الاسم دالا بالاشتراك على المعنى وعلى جزئه، كالممكن على العام والخاص، أو عليه وعلى لازمه، كالشمس على الجزم والنور بل يكون بانتقال عقلي على أحدهما إلى الآخر"². فلفظة الشمس موضوعة للدلالة على القرص والنور المنبعث منه فلا تعدّ دلالة لفظة الشمس على النور دلالة الالتزام على الرغم من الملازمة الخارجية بين جرم الشمس ونورها إذ الوضع قصد الدلالة عليهما معا³.

والواقع الاستعمالي للغة في موقف سياقي ما يفرض استحضار المعاني الضمنية إلى جانب المعنى الوضعية حسب هذا الموقف الاجتماعي والوضع الحوارية بكل حيثياته المتعلقة بالمتكلم والسامع وظروف الخطاب والخلفيات الثقافية والفكرية والاجتماعية المحيطة بها لذلك "فتمة دواع إبلاغية تحتم استحضار المعنى الضمني مفردا أو بإضافته إلى لفظ المطابقة للإشارة إلى عرض ما ضمن سياق واقفة تداولية "لفظة (نور) يمكن أن تطلق على نور الشمس

¹ علم الدلالة عند العرب، ص 53-54.

² الإشارات والتنبيهات. نصر الدين الطوي ج/139.

³ ينظر مقاصد الفلاسفة، ص 18-20.

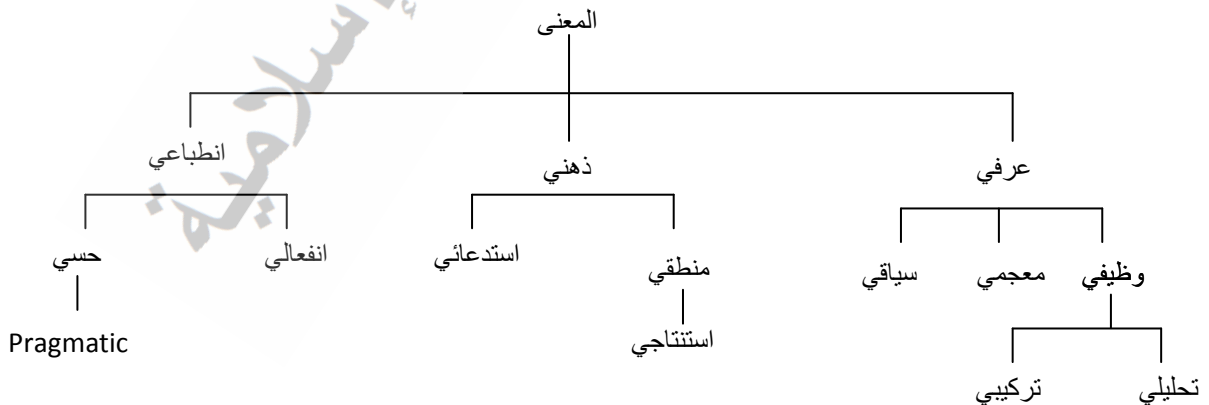
الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

ويكون المعنى بينا في استعمالها إذا ما أحيطت بقرائن حالية أو مقامية، وربما استعمل (نور الشمس) للإشارة إلى ذات المعنى، فالنور بوصفه مقوماً يمثل عنصراً يشترك مع المقومات الأمنية لدلالة لفظة (الشمس) وهو في الوقت نفسه قد يدخل مقوماً تتضمنه ألفاظ كـ (القمر) و (النجم)، فما يريد أن يؤكد البحث هو أن المطابقة بوصفها دلالة معجمية تصويرية لم يكن المنطلق الفلسفي وراء احتاحتها مصطلحاً دلالياً هو لتحليل المعجمي المحض بل هو الإشارة إلى الجواهر التي تمتاز هويتها ضمن الحد المشتمل على تحليل دلالة المطابقة باستحضار المشترك الدلالي الذي يمثل جنساً مشتركاً مع سائر المساهيات¹.

قال تمام حسّان:

إذا كان الوصول إلى المعنى العرفي يتم بواسطة الاستقراء فإن الوصول إلى المعنى الذهني يتم بواسطة الاستدلال ذلك أن المعنى العرفي موجود بالقوة في معهودات الفرد وفي الذاكرة الجماعية للمجتمع ومن هنا كان صالحاً للاستقراء. أما المعنى الذهني فغير موجود لا بالقوة ولا بالفعل ومن ثم افتقر إيجاده إلى الاستدلال الذي قد يصيب فيكشف عن هذا المعنى وقد يخطئ فيظل المعنى في دائرة العدم مفتقراً إلى استدلال أفضل والاستدلال قد يكون بواسطة الاستنتاج كما يكون أيضاً بواسطة الاستدعاء².

وقسّم تمام حسّان المعنى إلى:



¹ كليات المعرفة اللغوية: ص 248.

² مقالات في اللغة والأدب: تمام حسّان. عالم الكتب، القاهرة، 1427هـ-2006م، ط1، ج2، ص 310.

الفصل الثاني.....(البعر المعرفي للدرس الدلالي)

دلالة اللفظ على المعنى والعلاقة الجامعة بينهما لا تقف عند اللفظ المفرد بل تتجاوزهُ إلى البحث في دلالة القول، لأنّ هذه الدلالات الثلاث وإن اشتهر إيرادها في باب دلالة اللفظ على المعنى، فإنّ استثمارها من لدن علماء المسلمين لم يقتصر على اعتبارها في تعريفات المفردات وحدها، بل أخذوها في مقاصد الأقوال نفسها، فقد يكون مقصود القول عندهم هو المعنى المطابقي أي تمام مادّل عليه تركيبه، أو يكون هو المعنى المتضمن أي بعض ما دلّ عليه التركيب أو يكون هو المعنى الالتزامي أي هذا ما استعمله مدلول هذا التركيب من غير أن يكون جزءاً منه¹. "وفي كلّ حالة يكون الوصول إلى المعنى بحاجة إلى نشاط ذهني فإذا قلت وأنا طالب بكلية الآداب مثلاً: (أنا ذاهب إلى الكلية) علم السامعون من أفراد أسرتك أنك تقصد كلية الأدب دون غيرها وذلك بحكم العهد الذهني الذي يربط بين المرسل والمتلقي في هذا الموقف. وإذا قلت (رأيت اليوم فلانا يُصلي الجمعة) وكان معروفاً عن فلان أنه مسافر فهم المسافرون بلازم المعنى أنه قدم من السفر. وإذا قال لك رحل معروف بالجبن: (أنت بخيل) فقلت (ولكني غير جبان) فسوف يقل من كلامك بمفهوم المخالفة أنك تُعبّرهُ بالجبن"².

¹ البني التصويرية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم، راغين بوشعيب. عالم الكتب الحديث، 2011م، ط1، ص46.

² مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص 310، 311.

المبحث الثاني: النظريات الدلالية الغربية

ينطلق اللغوي في دراسته للغة من مستويات (صوتية-صرفية-تركيبية-دلالية) متصلة بغضها البعض فينطلق كل واحد منها أين انتهى إليه المستوى السابق له، حتى يبلغ غايته من الدراسة اللغوية وهي فهم المعنى، يقول في ذلك إبراهيم أنيس: "الدراسة الدلالية هي قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي إذ الغاية من اللغة هي الاتصال والتفاهم ودون دراسة المعنى يصبح التحليل اللغوي لغوا لا طائل من ورائه"¹.

تنوعت منطلقات الباحثين اللغويين في سعيهم نحو الامساك بالدلالة التي يحيلنا إليها تحليل نص ما، فنجد تنوعا كبيرا في الآليات التي يوظفها اللغوي في مقارنة النصوص مع أن الغاية واحدة وهي فهم المعنى. من بين هذه الآليات المستندة إلى نظريات دلالية لها مبادئها ومقوماتها النظرية الإشارية والنظرية السياقية ونظرية الحقول الدلالية.

1-أنواع النظريات الدلالية

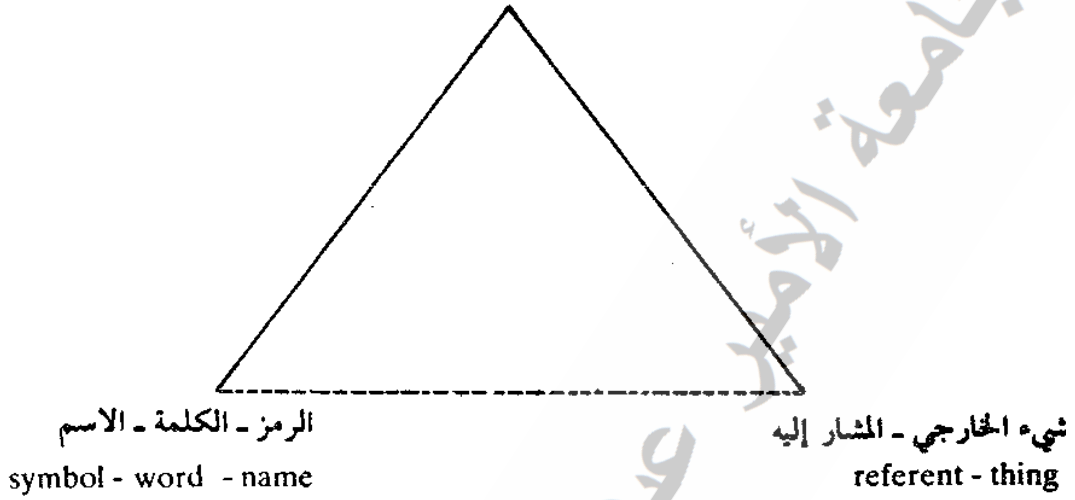
1-1-النظرية الإشارية:

تنطلق النظرية الإشارية من فكرة مفادها أن الكلمة لاتدل على الشيء الخارجي مباشرة بل هناك علاقة غير مباشرة بينهما تتوسطهما الفكرة أو المدلول مثلما يوضحها المخطط الآتي كما وظفاه جولدن وريتشارد في كتابهما The Meaning Of Meaning:

¹ - دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية، 1984م، ط5، ص39.

الفكرة - المرجع - المدلول⁽¹⁾

thought - reference - sense



انطلاقاً من هذا المخطط يتوضح أن أصحاب هذه النظرية ينظرون إلى المعنى على أنه علاقة بين عناصر ثلاث (الكلمة، المدلول، الشيء الخارجي) يعدّ فيها المدلول أو الفكرة وسيطاً بين الاسم والشيء الخارجي.

وتعد هذه النظرية مرحلة انتقالية كبرى تفصل بين النظرة القديمة للمعنى والنظرة الحديثة، فهناك رأي يحصر المعنى فيما تشير إليه الفكرة، ورأي آخر يجعل المعنى علاقة بين الكلمة وتشير إليه، فدراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبيين من المثلث وهما جانبا الرمز والمشار إليه. وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية¹

ووجهت هذه النظرية بانتقادات يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- أنها تدرس الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة.
- أنها تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية (المشار إليه). ولكي نعطي تعريفاً دقيقاً للمعنى - على أساس هذه النظرية - لا بدّ أن تكون على علم دقيق بكل شيء في عالم

¹ علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1998م، ط5، ص 55

المتكلم. ولكن المعرفة الإنسانية أقل من هذا بكثير.

• أنها لا تتضمن كلمات مثل لا، ولكن، وإلى، وأو... ونحو ذلك من الكلمات التي لا تشير إلى شيء موجود Exsisting Thing. هذه الكلمات لها معنى يفهمه السامع والمتكلم، ولكن الشيء الذي تدل عليه لا يمكن ان يتعرف عليه في العالم المادي.

• أن معنى الشيء غير ذاته. فمعنى كلمة تفاحة ليس هو التفاحة. التفاحة يمكن أن تؤكل لكن المعنى لا يمكن أن يؤكل والمعاني يمكن أن تتعلم ولكن التفاحة لا يمكن.¹

فالمعاني ليست بالضرورة موجودة في الواقع ندرتها بجواسها لذلك ظهر توجه آخر لدراسة المعنى اعتمادا على مبدأ التصور فيبحث عنه في الذهن.

1-2- النظرية التصورية:

تبنى أصحاب هذه النظرية توجهها مخالفا لما سارت إليه النظرية الإشارية فقدت اعتبرت المعنى موجدا في الداخل مناقضة بذلك ما ذهبت إليه النظرية الإشارية التي كانت ترى أن المعنى هو ما يشار إليه، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن المعنى هو الفكرة الموجودة في الذهن " وما دام أن النظرية التصورية تعتبر أن المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل لدى السامع حتى يتم التواصل والإبلاغ، فإنّ عالم الأشياء غير متجانس، كما أنّ التصورات متباينة من فرد لآخر² وإن هذا الإيغال في التصور هو ما حمل سلبا على النظرية التصورية وجعل اللغويين ينفرون من حالة التجريد التي طوقت بها المعنى في هذه النظرية إلى التجريب في النظرية السلوكية.

¹ علم الدلالة، ص56.

² علم الدلالة -أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقول عبد الجليل. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

1-3- نظرية الحقول الدلالية:

التي هي كذلك مفهوم إجرائي ديناميكي يبدو -ظاهريا- من السهل والبسيط معالجة نص وفق هذا الإجراء النمطي المتمثل في تجميع ألفاظ النص في حقول توضع تحت مسمى واحد تجمع بينها علاقات كعلاقة الترادف أو التضاد أو الاشتراك.

المؤسس تراير وارتبطت مع انجاز المعاجم وتصنيف ألفاظ اللغة في شكل حقول دلالية، يقول تراير: "إن قيمة كلمة ما لا يمكن تحديدها إلا بتعريفها ضمن علاقاتها بقيمة الكلمات المجاورة..."¹

عرفت الحقول الدلالية بأنها " تصنيف للألفاظ المستعملة في نص من النصوص أو لغة من اللغات تترتبط فيما بينها برابط دلالي معين"² أسس التي قامت عليها النظرية

1. لا بد أن تنتمي كل وحدة معجمية (كلمة) إلى حقل دلالي.
2. لا يصح انتماء وحدة معجمية واحدة إلى أكثر من حقل دلالي واحد.
3. لا يمكن إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
4. لا يمكن دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.³

توسع مفهوم الحقل الدلالي ليشمل:

1. الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
2. الأوزان الاشتقاقية - الحقول الدلالية الصرفية-
3. أجزاء الكلام وتصنيفاته النحوية.

¹ -نقلا عن الظاهرة الدلالية، ص197.

² - الكلمة، دراسة لغوية ومعجمية: حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط2، 1996، ص192.

³ في علم الدلالة: محمد محمد أسعد. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002، ص47.

4. الحقول الستجمائية، وتشمل مجموعات الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبدا في الموقع النحوي نفسه، وقد كان Porzig أول من درس هذه الحقول، وذلك حين وجّه اهتمامه إلى كلمات مثل: كلب-نباح.¹ استحالة وجود الكلمات في أفهامنا معزولة عن بعضها البعض.

يقول عبد القادر الفاسي الفهري: "كل لغة تنتظم في حقول دلالية، وكل حقل دلالي له جانبان: حقل تصوري Conceptual Field وحقل معجمي Lexical Field. ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع الكلمات أخرى في نفس الحقل المعجمي لتغطية أو تمثيل الحقل الدلالي.²

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه ما هي المرجعية الفكرية التي أفرزت نظرية الحقول الدلالية وإلى أين يرجع بنا التاريخ ليرز الولادة الزمانية والمكانية لهذه النظرية.

"إنّ علم الدلالة، كما أوضحت بالتفصيل آنفا، وكما أفهمه، دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما، تتطلع للوصول في النهاية إلى إدراك مفهومي لـ"رؤية العالم" الخاصة بالناس الذين يستخدمون تلك اللغة كأداة ليس للكلام والتفكير فحسب، بل الأهم، كأداة لفهمة العالم الذي يحيط بهم وتفسيره"³

تستعمل الحقول الدلالية على أنّها آلية ناجعة في تجميع كلمات لغة ما تربط بينها علاقات لتوظيفها في سياقها المناسب أو لتعلم لغة جديدة أو لتصنيف المعاجم وهو ما عرف عند اللغويين العرب القدماء بمعاجم الموضوعات. ولذا يجب التنويه هنا إلى وجود فارق جوهري بين منهج الحقول الدلالية ونظرية الحقول الدلالية، فقد عرف العرب المنهج ووظفوه في ميدان المعاجم وتجميع اللغة في شكل موضوعات

¹ علم الدلالة، ص 81.

² اللسانيات واللغة العربية: عبد القادر الفاسي الفهري. ص 370.

³ - علم دلالة القرآن: توشيهيكو إيروتسو. 32

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

كما أن المنهج يوظف في مقارنة النصوص الشعرية والسردية وحتى القرآن الكريم عن طريق تجميع الكلمات ضمن حقول ومحاولة الكشف عن الدلالة انطلاقاً من علاقة كل كلمة بأحواثها داخل الحقل. إلا أن معرفة نظرية الحقول الدلالية تستلزم الرجوع بالزمن إلى خلفيتها الفلسفية التي انطلقت منها. والبحث في المرجعية الفكرية التي تأسست على أساسها هذه النظرية الدلالية.

تؤكد دراسات عديدة ان نظرية الحقول الدلالية تمتد إلى نظرية رؤية العالم لهمبوليدت والتي يقوم مبدؤها على أن اللغة هي الفكر فقد عرف اللغة بأنها ظاهرة متحولة وليست ظاهرة ثابتة، وأصر على أن المظهر الثابت للغة ظاهري فحسب. كما يرى أن اللغة هي نتاج متميز لروح أمة بعينها والتعبير الخارجي عن البنية الداخلية يميظ اللثام عن رؤية خاصة للعالم... ومن هنا سميت نظريته رؤية العالم¹

ويقول عبد الرحمن الحاج صالح: "ليست اللغة رسماً مطابقاً للواقع ولذلك فإن لكل شعب نظرة خاصة إلى الواقع تتراءى فيه لغته. والصورة الباطنية للغة هي التي تدل على شخصية الشعب."²

الحقول الدلالية لا تحمل الثروة اللفظية فحسب بل هي تحمل الحقبة التاريخية التي اقتطف منها هذا النص، وتحمل الثقافة والعادات والتقاليد...

دراسة المعنى في ضوء نظرية الحقول الدلالية يعدّ في الوقت نفسه دراسة لنظام التصورات والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية والحضارة السائدة بوجهيها المادي والروحي³.

¹ نقلاً عن الظاهرة الدلالية: ص 185.

² -مدخل إلى علم اللسان الحديث: عبد الرحمن الحاج صالح. مجلة اللسانيات، جانفي 1972. ص 24-25.

³ - مباحث في علم ومناهج البحث اللغوي: نور الهدى لوشن. ص 395.

الفصل الثاني.....البعر المعرفي للدرس الدلالي

الألفاظ والكلمات تأتي وفق تنوع تشكله بيئة المؤلف الثقافية والاجتماعية والادبولوجية والنفسية.

قد توضع المادة في حقول دلالية تكون مرآة ينعكس على سطحها جانب من خبرة الإنسان في حياته العملية والنفسية فتتجمع الألفاظ ذات العلاقات الدلالية المتصاقبة في وسم شئ أو وصف موضوع أو التعبير عن حال في حيز واحد.¹

¹ - المعاجم اللغوية المعاصرة - قضاياها النظرية والتطبيقية - : حميد مطيع العواضي. مؤسسة العفيف الثقافية، ط1، 1999م، ص32.

المبحث الثالث: بدايات الاهتمام بالمعنى في التحليل اللساني:

نالت اللغة حظا وافرا من العناية والدراسة والبحث في مراحل زمنية مبكرة من الفكر البشري، تناوبت في دراستها نظريات ومبادئ متعددة انطلاقا من الفكر الهندي إلى اليوناني، فالدرس اللغوي العربي الذي ارتبط بالقرآن الكريم وصولا إلى المرحلة السوسيرية البنوية التي كانت مفجرا حقيقيا إلى حركية جديدة في إعادة النظر في اللغة من حيث هي لغة إلى يومنا، والنظريات اللغوية في تطور وتجدد مستمرين.

واللغة بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية نالت حظها في الدراسة والتطبيق، إلا أن أكبر الإشكالات التي كانت محط اختلاف وتنازع هي قضية المعنى، ولعل ذلك يرجع إلى خصوصيته التي تتميز بشيء من الهلامية وبعده عن التقييد كما هو الحال بالنسبة للمستويات اللغوية الأخرى، وإن هذا ما يبرر إقصاءه عند البنويين في التحليل اللغوي باعتباره أمرا ذاتيا يقع خارج التقصي العلمي فهو ظاهرة نفسية ترتبط بحياة الناس الروحية والنفسية وأن مجالها الطبيعي يكمن في علم النفس السلوكي، حاصرين بذلك مجال دراستهم في المظاهر الصورية للغة المتمثلة في التركيب والصوت والصرف¹.

1- البنوية الوصفية:

قطعت الدراسات اللغوية بعد مجيء اللساني فرديناند دوسوسير (1857-1913) شوطا كبيرا حتى غدت نموذجا له قيمته النظرية والمنهجية المتميزة في حقل العلوم الإنسانية² فقد استطاع مؤلفه الذي صدر بعد وفاته-1916- محاضرات في اللسانيات العامة أن يجعل من اللسانيات علما مستقلا، وكان بذلك مؤسسا لعصر بأكمله من الدرس اللساني³ فلا يستطيع أحد أن ينكر تأثيره في علم اللغة في القرن العشرين، وهو الذي دشنه وقد شبه نشر

¹ - البنى التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم، ص 70.

² - في اللسانيات العامة: مصطفى غلفان. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص 207.

³ - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث- الأصول والاتجاهات خالد خليل هويدي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م، ص 59-60.

كتابه محاضرات في اللسانيات العامة بالثورة الكوبرنيكية¹ فقد فتحت محاضرات دوسوسير الباب أمام تطور نظري مذهل للسانيات أولاً وللعلوم الإنسانية ثانياً بفضل المفاهيم الجديدة التي جاء بها، فجّلّ التصورات التي ظهرت في اللسانيات بعد دوسوسير ترجع في مجمل أصولها الأولى إلى هذا الرجل² وتتفاوت درجة الاتصال بين المدرسة السوسيرية والمدارس التي لحقتها وتناولتها بالإضافة والتحديد والتطور³. وبذلك نستطيع القول إن المدارس اللغوية منذ فرديناند دي سوسير وحتى تشومسكي تنتمي إلى اللسانيات البنوية بصورة أو بأخرى لأنها جميعاً تؤمن بأن اللغة عبارة عن نظام من العلاقات. لذلك يسمي اللغوي الفرنسي جان بياجيه نظرية تشومسكي في النحو التوليدي التحويلي باسم البنوية التحويلية⁴.

1-1- المعنى في المدارس البنوية الأوروبية:

● النظرية البنوية السوسيرية: أسس دي سوسير نظريته على مجموعة من المبادئ والأسس تتسم بالصراحة المنهجية والدقة العلمية والتقيّد بصرامة المنهج فحسب تعبير دي سوسير C'est le point de vue qui réel objet إن وجهة النظر هي التي تحدد الموضوع على خلاف سائر العلوم فالموضوع هو الذي يحدد المنهج⁵.

وقد جاءت رؤية دوسوسير في سياق تاريخي كان البحث اللغوي فيه منقسماً بين رؤيتين:

- رؤية اجتماعية: يعتبر اللسان ظاهرة اجتماعية يجب تحديده على هذا الأساس مما يجعل من البحث اللساني بحثاً اجتماعياً بالدرجة الأولى هذه رؤية يقودها كل من أنطوان

¹ - البحث عن فرديناند دوسوسير: ميشال أرليفية، محمد خير محمود البقاعي، الكتاب الجديد المتحدة، (بيروت- لبنان) ط1، 2009، ص 9.

² - في اللسانيات العامة، ص 208.

³ - ينظر اتجاهات البحث اللساني 211ص/ التفكير الدلالي في الدرس العربي الحديث ص 59- 60.

⁴ - دراسات في علم اللغة الحديث، صادق يوسف الدباس، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012، ص 177.

⁵ - ينظر في اللسانيات العامة: ص 208- 209/.

مبيّة، وجوزيف فنديس.

-رؤية نفسية: تعتبر أن لا مجال لتحقيق علمية الدرس اللغوي إلا من خلال اعتبار اللسان ظاهرة نفسية وبالتالي فالمباحث اللسانية مباحث نفسية يوطرها علم النفس، ويدافع عن هذه الرؤية فان جينيكن Van Ginneken و سيشباي Sechebaye¹

هذه الرؤية- رؤية دي سوسير- رافضة للرؤيتين السابقتين لأنهما تتخذان من اللغة وسيلة للدراسة في حقول معرفية أخرى اجتماعية أو نفسية فتبقة تابعة لعلوم أخرى وخادمة لها، فأكد دوسوسير على مبدأ من أهم مبادئ نظريته اللسانية وهو استقلالية اللغة عن العلوم الأخرى والنظر إلى اللغة على أنها موضوع معرفة مستقلة قابلة للدراسة المنتظمة² واستشرف مجال علمي جديد وهو السيميولوجيا ليكون مجالاً علمياً أوسع من اللسانيات التي تنتمي إليه.

● **مبادئ النظرية السوسيرية:** تقوم محاضرات دوسوسير على مجموعة من المبادئ اللسانية العامة التي أصبحت فيما بعد ركائز أساسية في البحث اللساني واتخذت هذه المبادئ شكل ثنائيات متقابلة مثل ثنائية اللغة والكلام، والدال والمدلول، السياقي والايجابي، الآبي والتاريخي.³ فاستمت نظريته بالدقة والمنهجية العلمية، والسعي الدائم نحو الموضوعية ولذلك يرجع الدارسون إهماله المعنى وعدم إفراده مبحثاً مستقلاً للدلالة في محاضراته أو كما أشار إلى ذلك تلميذه شارل بالي وهو أول من تنبه إلى هذه المسألة إذ أكد أن دي سوسير لم يعالج علم الدلالة في كتابه بصورة منتظمة⁴ إلى تقيده بالمسار العلمي الضارم بمنهجه ومبادئه ومن أهم هذه المبادئ إضافة إلى استقلالية اللسانيات عن العلوم الأخرى، عدم الخوض في قضايا فلسفية شائكة لا يعرف صعوبتها إلا الفلاسفة والمناطق التي تندرج في إطار إشكالية الإحالة

¹ - في اللسانيات العامة، ص 212.

² - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات خالد خليل هويدي، ص 60.

³ - المرجع نفسه، ص 61.

⁴ - في اللسانيات العامة، ص 248.

الفصل الثاني.....(المعنى للدرس اللغوي)

Référence¹. وانطلاقاً من هذه المبادئ تأسست تلك الثنائيات التي تشكل الإطار العام لنظرية سوسير ومن هذه المبادئ:

- الدراسة العلمية للغة: عمل دوسوسير جاهداً ليؤسس للغة علماً يدرسها فبدأً علمية اللسانيات من حيث ينبغي أن يبدأ التأسيس النظري لأي علم إذ يجب تحقق مجموعة من الشروط المنهجية العامة لوضع نظرية لغوية أو غيرها ومنها:

- التسليم بصحة بعض المفاهيم الأولية والمسلّمات الأساسية.

- تحديد طبيعة مجال البحث الاستقصائي وحدوده.

- دراسة هذا المجال من جهة نظر معينة بواسطة منهجية خاصة.

- تحديد المنهج فلا يقوم العلم إلا إذا حدد موضوعه ومنهجه.²

- **ثنائية الدال والمدلول:** تصور دوسوسير للعلامة اللسانية يقف عند ثنائية الدال والمدلول وأقصى الطرف الثالث الذي يشكل محط نزاعات وخلافات الفلاسفة والمناطق واللغويين منذ بدايات التفكير في اللغة وعلاقتها بالفكر من جهة وعلاقتها بالمجتمع من جهة أخرى.

فيرى دوسوسير أن العلامة اللسانية *Signe linguistique* لا تربط بين شيء ولفظ كما ذهب إلى ذلك الإسميون (تصور منطقي فلسفي يعد أرسطو رائده وتم تبنيه من قبل كثير من فلاسفة القرون الوسطى وما بعدها. ومؤدى هذا التصور أن اللسان لا يتعدى كونه حشداً من الأسماء التي تقابل عدداً مماثلاً من الأشياء في العالم الخارجي ويعرف هذا التصور بالاسموي *Nominalisme* في مقابل مصطلح النمطيين *Les modistes*) ولكنها تربط بين مفهوم *Concept* وصورة سمعية *Image acoustique* بهذا المعنى، فإن العلامة اللسانية لا تربط اللفظ بالشياء الموجود في العالم الخارجي ربطاً مباشراً، أي أنها لا تربط الشياء المسمى

¹ - في اللسانيات العامة، ص 230.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 208.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

بالاسم بل تسند للشيء الموجود في العالم الخارجي صورة مفهومته Image Conceptuelle تقابلها صورة سمعية، ليست الصورة السمعية هي الصورة الصوتية الفيزيائية فحسب ولكنها الانطباع الذي تثيره الصورة في أنفسنا¹. واستبدل دوسوسير مصطلح الصورة السمعية بالدال Signifiant ومصطلح المفهوم بالمدلول Signifie.

فالدال هو المجموعة الصوتية المنطوقة / Kitabun / وأما المدلول فهو مجموع الخصائص المعنوية التي يثيرها فينا الدال / كتابين / ومدلوله هو: مؤلف + له عنوان + عدد من الصفحات مطبوعة + محتوى فكري...²

إذن فالمعاني لا توجد مستقلة عن الشكل الذي هي مرتبطة به والعكس صحيح. ويقول سوسير يجب ألا نفكر في اللغة على أنها مجموعة مصطلحات ورموز بل أنها مجموعة من الأسماء لمفاهيم موجودة من قبل، إن معنى الكلمة أو على الأصح ذلك الجانب من معناها الذي أسماه سوسير بالمدلول هو نتاج العلاقات الدلالية التي تربط بين هذه الكلمة وتلك ضمن النظام اللغوي دالة.³

يقول دو سوسير: " يظن بعض الناس أن اللسان إنما هو في أصله مجموع الألفاظ أي قائمة من الأسماء تطلق على عدد من المسميات. وفي تصوره هذا نظر، من عدة وجوه: انه يفترض وجود معان جاهزة قبل وجود ألفاظها ثم إننا لا نتبين به هل الاسم هو جوهر صوتي أم نفساني... ويشعرنا أيضا أن ارتباط الاسم بالمسمى هو عملية في غاية البساطة وهذا بعيد جدا عن الواقع. إن الدليل اللغوي لا يربط مسمى ما باسمه الملفوظ بل مفهوم ذلك الشيء أو تصوره الذهني بصورة لفظه الذهنية فهذه الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي لأنه شيء فيزيائي محض بل انطباع هذا الصوت في النفس والصورة الصادرة

¹ - في اللسانيات العامة، ص 229.

² - المرجع نفسه ص 230.

³ - اللغة واللغويات: جون لوسنير، محمد العناني، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ / 2009م، ص195.

الفصل الثاني.....(المعنى للدرس الدلالي)

عما تشاهده حواسنا. فالدليل اللغوي إذن كيان نفساني ذو وجهين ويسمى دليلاً لغوياً المركب المتكون من المفهوم والصورة الصوتية (صورة اللفظ في الذهن) ... ولكن نقترح لفظة الدليل للدلالة على الكل واستبدال لفظي المفهوم والصورة الصوتية بلفظي الدال والمدلول¹.

فنظرية سوسير حول العلاقة جعلته يحصر المعنى في العلاقة بين الدال والمدلول ويقصي كل ما يدور حول المعنى من خارج اللغة. فكان يريد التأسيس لنظرية علمية واضحة ومستقلة عن التفكير الفلسفي والتجريدي حول المعنى.

-ثنائية القيمة والدلالة:

1- الدلالة: (Signification) عند دوسوسير ليست سوى الجانب المقابل

للصورة الصوتية أي إنها توافق من الدليل اللساني جانب المدلول المقترن بدال معين وتجري دائماً في إطار الدليل الواحد، أي أن الدلالة ليست شيئاً خارجاً عن الوحدة اللسانية نفسها² بل هي الدلالة المعجمية البعيدة عن أي سياق.

2- القيمة (Valeur): فهي الدلالة التي يكتسبها هذا العنصر أو ذاك في سياق

معين من خلال طبيعة ونوعية العلاقات التي تجمعها بغيره من العناصر.³

فالقيمة ترتبط باللغة بوصفها نسقا من الوحدات اللسانية التي يضم بعضها على بعض وقيمة كل عنصر لا تتضح إلا من خلال وجود العناصر الأخرى في وقت محدد.⁴ ويقدم دوسوسير لتوضيح فكرة القيمة مثلاً استقاه من لعبة الشطرنج. فنسق العلامات الخاص بالقطع يتغير في كل عملية، فكل تغيير بالنسق ينتج عنه تغيير في قيمة القطع الأخرى، فكل تغيير تعاقبي ينتج عنه ميلاد علاقة تزامنية جديدة بين العناصر.

¹ دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير ص 97

² - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، ص 68.

³ - في اللسانيات العامة، ص 262.

⁴ - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 68.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

إذن تهميش المعنى في النظرية السوسيرية لا يعني إقصاءه ولكن حصره في إطار محدد متعلق بالدال والمدلول وإقصاء للمرجع الذي يحيل اللساني إلى مجالات أخرى خارجية عن اللغة، بالمعنى أمر ذهني غير قابل للوصف وينطلق من خلفيات وملابسات متصلة بالمتكلم وليس باللغة نفسها كنفسية المتكلم والأمور المحيطة به كالسياق والموقف والمرجعيات الفكرية والتاريخية والدينية والعادات والتقاليد، وإذا نظر إلى المعنى بهذه الطريقة ففي ذلك مساس بأهم المبادئ التي تقوم عليها اللسانيات النبوية وهو العلمية واستقلالية اللسانيات عن العلوم الأخرى.

امتد تأثير هذه المبادئ إلى المدارس اللسانية المتأخرة زمنياً عن النظرية السوسيرية. والتي كان لها الإضافة والتجديد والتطوير في الفكر اللساني.

1-2-المدارس البنوية الأوروبية:

● **مدرسة براغ:** إن الثورة اللسانية التي فجرها كتاب محاضرات في اللسانيات العامة بمبادئه وأفكاره التي تؤسس لدراسة اللغة بطريقة تخلصها من التبعية إلى العلوم الأخرى، تبعتها مدارس لغوية أخرى تستمد أفكارها من تلك المبادئ النبوية ولكنها تتفاوت في درجة التأثير من مدرسة إلى أخرى، كما تتنوع درجة الاختلاف بحسب الإضافات والمخالفات التي تقدمها كل مدرسة.

وقد اشتقت مدرسة براغ¹ من المبادئ السوسيرية إضافة إلى الفكر النبوي والعلامة اللغوية مبدأ القيمة الذي يخضع للمخالفة والمشاكلة² ليؤسسوا لتحليل الفونولوجي فكرة الوظيفة التمييزية للوحدة انطلاقاً من الوحدات الصوتية الصغرى المكونة لهذه الوحدة مثل التقابل بين الـوحدتين الصوتيتين /ر/و/غ/ في الـوحدتين /راب/ و/غاب/ تقابل صوتي متميز

¹ - تأسست سنة 1928، على يد تروبتسكي (1923) ورومان جاكسون (1882).

² - القيمة من المبادئ التي تؤسس اللسانيات وهي الدلالة التي يكتسبها أي عنصر في سياق معين، تشبها للعناصر اللغوية بالوحدات الاقتصادية، فإنه قيمة لأية عملية لا بد أن تخضع في نظره لأمرين هما به. / المشاهدة: فكل عملة يجب أن تشابه غيرها ولو مشاهدة غير كاملة. ينظر: علم اللغة العام، ص 134/ التفكير الدلالي عند العرب ص 69.

الفصل الثاني.....البعر المعرفي للدرس الدلالي

لأنه يعطينا معنيين متميزين ومختلفين ويتم التقابل على أساس الاستبدال Commutation أي أننا نستبدل الراء بالعين فتحصل على وحدة جديدة (معنى جديدة) وهكذا. ويؤكد تروبتسكوي ظاهرة التقابلات الصوتية التي تنطلق من مفهوم المخالفة والمشابهة غير الكاملة قائلاً إن الدور الأساس في الفونولوجيا لا يأتي من الوحدات الصوتية في ذاتها، ولكن من التقابلات المميزة¹ فتقوم مدرسة براغ على فكرة الوظيفة الناجمة عن فكرة التقابل الذي يظهر السمات المميزة لكل وحدة انطلاقاً من التقابل بين وحداتها الصوتية في الوحدة القابلة وتنطلق مدرسة براغ في هذا الشأن من قولة دوسوسير الشهيرة " ليس في اللغة إلا الفروق" ويقول تروبتسكوي: إن فكرة الفرق تستلزم فكرة التقابل إن شئئين لا يمكنهما أن يفترقا إلا في حدود أن كلا منهما يقابل الآخر².

تنتمي مدرسة براغ إلى القطب الوظيفي الذي يشدد على وظيفة الأشكال اللغوية، والتي تكون شرطاً في فهم الظاهرة اللغوية فيكون وصف اللغات قائماً على ربطها بما تؤديه من وظائف داخل المجتمعات البشرية انطلاقاً من تبعية النسبة إلى وظيفة، في مقابل القطب الشكلي وهو الذي يقدم في تحليلاته اللغوية النسبية على الوظيفة ويقف في مقارنته عند حدود بنية اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية لا يكاد يتعداها³.

وبتعبير آخر فمدرسة براغ تعتبر اللغة نظاماً وظيفياً وذلك لأن اللغة الناتجة عن العمل اللساني إنما هي نظام لوسائل التعبير وتحقيق مقاصد كل متكلم في التعبير والتواصل، ولكن المعنى يبقى مرتبطاً بالعلاقة بين الدال والمدلول وجهي العملة الواحدة كما يمثلها دوسوسير وربطها الصوت بالدلالة.

¹ Troubestkoy principes de phonologie. Paris , klienchsiek ,1948,p47.

² Ipid , p 50.

³ - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 255.

2- المدرسة الأمريكية (النظرية السلوكية):

نشأت اللسانيات الوصفية الأمريكية في ظروف مغايرة لتلك التي نشأت فيها اللسانيات الوصفية الأوروبية فإذا كانت اللسانيات الوصفية في أوروبا قد نشأت بوصفها ردّ فعل على المدرسة التاريخية فإن الوصفية الأمريكية قد صدرت أساساً عن مشاغل عملية متصلة شديداً الاتصال بعلم الأجناس^{1 2}.

ويعد ليونارد بلومفيلد (BLOOMFELD) 1887 - 1949م أهم لساني في أمريكي حيث سيطرت نظريته السلوكية على الحقل اللساني الأمريكي وتركز على النظرية السلوكية Behavioral theory³ على ما يستلزمه استعمال اللغة (في الاتصال) وتعطى اهتماماً للجانب الممكن ملاحظته علانية وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور.⁴ ولذلك تقوم النظرية السلوكية على جملة أسس منها:

1- التشكيك في كل المصطلحات الذهنية مثل العقل والتصور والفكرة، ورفض الاستيطان كوسيلة للحصول على مادة ذات قيمة في علم النفس.⁵

2- اتجاهها لتقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى وتأكيدها على الدور الذي يلعبه التعلم في اكتساب النماذج السلوكية وتركيزها على التربية أكثر من

¹ - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 80.

² - ارتبطت هذه المشاغل بإيجاد منهج لدراسة ووصف أكبر عدد ممكن من اللغات الهند والأمريكية الرائجة في أمريكا الشمالية لأن معظم هذه اللغات لم يكن بتكلمها إلا عدد قليل من الناس، إذ لم تكن مدونة وكانت على وشك الاندثار ما لم تسجل وتوصف قبل أن يحدث ذلك، يصبح الوصول إليها ودراستها أمراً مستحيلاً إلى الأبد، فضلاً عن أنها لغات لا يمكن دراستها باعتماد المقولات النحوية الخاصة باللغات الأوروبية (البنوية في اللسانيات 99-117).

³ - المدرسة السلوكية اللسانية هي امتداد للمدرسة السلوكية في علم النفس التي يتزعمها واطسن Watson ويعد بلومفيلد صاحب كتاب اللغة Langage حلقة الوصول بين المدرستين حيث اشتهر بنقل الأفكار السلوكيين إلى مجال اللغة وتطبيقها على الدراسات اللغوية (مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب محمد محمد يوسف علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، بيروت، لبنان، ص 24.

⁴ - Théories of mening p. 36 / ينظر: علم الدلالة أحمد مختار عمر ص 59.

⁵ - علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ص 59.

الطبيعة، ونسبة الشيء الكثير للبيئة والشيء القليل للورثة.¹

3- تقوم النظرية السلوكية على مفهوم المثير Stimulus والاستجابة Response المعروفين في علم النفس السلوكي ويطلق المثير أو مثير المتكلم The Speaker Stimulus كما يسمى في اللسانيات على الأحداث التي تسبق الكلام وتكون سببا في كلام المتكلم أما الأحداث التي تلي الكلام فتدعي استجابة السامع The Hears Response وهكذا يتكون الموقف الكلامي من الآتي:

أ- الأحداث العملية السابقة لعملية الكلام.

ب- الكلام.

ج- الأحداث العملية للاحقة لعملية الكلام.²

إذن فالنظرية السلوكية تعتمد المنهج التجريبي وتقصي المنهج العقلي من آليات الدراسة والتطبيق، فقد سعى بلومفيلد إلى تطبيق آراء السلوكيين على اللغة، وشرع بين تلكم الآراء في كتابة اللغة الصادر في لندن عام 1933، واتبع في كتابه كما يقول روبرت منهجا أمبريفيا (تجريبيا) يركز بشكل مدروس على تلك الجوانب من اللغة التي يمكن أن تعالج على نحو تام بناء على الأسس الأمبريفية كما فهمها هو.³

إن المنهج الشكلي الذي تقوم عليه النظرية السلوكية يفرض عليها إقصاء كل ما هو غير قابل للملاحظة والتجريب، فكان المعنى الضحية الأولى لهذه النظرية، فيقول بلومفيلد " أن المعنى الذي يحدد الموقف أو المقام التخاطبي أو رد الفعل أو الاستجابة التي تتطلبها ذلك من السامع بحاجة إلى توضيح، وهذا أمر صعب ليس بإمكاننا تحقيقه نظرا لمحدودية المعرفة الإنسانية في أن تلم الماما كاملا بكل شيء في عالم المتكلم.⁴ وقد انتقد بلومفيلد والأمر يكون

¹ - علم الدلالة: أحمد مختار عمر ، ص 60.

² - مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، ص 25.

³ - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 82.

⁴ Bloomfield, language , p 39

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس اللغوي

عموما بشدة واهتموا بإقصائهم المعنى فقد حملت بلومفيد أكثر مما تحتمل فالمعنى الذي هاجمه بلومفيد هو المعنى المتصل بالتصور أو الذهن أي المعنى في النظرية التصورية لأنه يتسم بالتجريد وغير قابل للتجريب وهذا نقيص ما تصبوا إليه النظرية السلوكية من صرامة منهجية وتطبيقية، وكذلك يقصي بلومفيد المعنى انطلاقا من مفهوم النظرية الاشارية التي تربط المعنى بالموجودات الخارجية، وهذا أمر صعب تحصيل كما تمت الإشارة سابقا في قول بلومفيد لأن الإمام بعالم المتكلم أمر صعب والمعرفة الإنسانية شاملة وغير محددة.

وقد وضع الدارسون واللغويون عموما بلومفيد وفيرث في صورة لغويين متناظرتين أحدهما نصير المعنى والآخر ضده ويعلق بلومفيد نفسه عن هذه القضية في خطاب أرسله في أواخر حياته (1949) إلى صديق له مؤرخ 29 من يناير 1945 وقد نقل أحمد مختار عمر مقتطفا منه " ومن المؤلم أن يكون الشائع أنني أو أن مجموعة من اللغويين أنا من بينهم- لا أعطي اهتماما للمعنى، أو أنني أهمله أو أقوم بدراسة اللغة دون المعنى، ببساطة كأن اللغة أصوات عديمة المعنى.... إنه ليس أمرا شخصيا فقط هو الذي أشرت إليه، وإنما هو حكم لو سمح بتطبيقه فسوف يعوق تقدم علمنا بوضع تضاد منوهم بين الدارسين الذين يهتمون بالمعنى والآخرين الذين يتجاهلونه أو يهملونه- الفريق الأخير- كما أعلم- غير موجود.¹

انطلاقا من هذا المقتطف نلمح إقرارا من بلومفيد أن اللغة لا تستغني عن المعنى، بل واللغة ماذا تساوي دون معنى وأنه آراءه قد اتخذت منحى يتسم بالمبالغة والتضخيم انطلاقا من قراءة سطحية لآرائه خاصة قوله: " إن تحديد المعنى بشكل نقطة الضعف في دراسة اللغة" وإن القصد من وراء هذا الوصف هو عنايته بعلمية الدراسة اللغوية وإقراره بصعوبة الحصول على كل ما يتعلق بعالم المتكلم.

وقد ناقش Roger fouler هذا اللغظ الذي اتسعت دائرته ليخلق تعارضا بين لغويي أمريكا وبريطانيا في نظرهم للمعنى فحدد مجموعة من العوامل وأكد أنها السبب في إيجاد هذا الوهم.

¹ - علم الدلالة، ص 27.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس اللغوي

- أ- الانطباع السائد أن التفسيرات اللغوية لكل من الأمريكيين والبريطانيين مختلفة دائماً.
- ب- الفشل في فصل آراء بلومفيد عن آراء مريديه والميل إلى تفسير بلومفيد على ضوء تصريحات بعض اللغويين الأمريكيين.
- ج- توهم أن مفهوم المعنى الذي هاجمه بلومفيد هو نفسه مفهوم المعنى الذي دافع عنه فيرث¹ FIRTH

لا يمكن للدراسة اللغوية أن تنفصل عن المعنى بأيّ وجوه من الوجوه، لكن عناية السلوكيين بالدراسة العلمية للغة، ليحققوا أهم مبادئ اللسانيات وهي الدراسة العلمية للغة، وحرصهم على الموضوعية وتجنب الذاتية جعلهم يغرقون الدرس اللغوي في الشكلائية، ويحصرن المعنى في ثنائية المثير والاستجابة، فطغت عنايتهم بالمنهج على عنايتهم بتفسير الظاهرة اللغوية وتوظيف الأدوات التي تحقق الفهم والتفسير، ويقول في هذا المضمار نعوم تشومسكي Tchomskkey "إن عدم الاهتمام بالأنظمة العميقة المفسرة للسلوك إنما هو تغيير عن الافتقار إلى الاهتمام بالتنظيم والتفسير ويرى أن التمسك بالموضوعية ليس عناية في حدّ ذاتها، فما جدوى التعلق بها إذا لم تظفر إلا بالقليل من التبصر والفهم."²

3- المدرسة الانجليزية: (النظرية السياقية)

عرفت مدرسة لندن بما يسمى بالمنهج السياقي (Contesctual Approche) أو المنهج العلمي (opération approche) وكان زعيم هذا الاتجاه جون روبرت فيرت (1890-1960).³

تنتمي هذه المدرسة إلى الوصفية الوظيفية لأنها ترفض دراسة اللغة دراسة تكتفي بتحليلها إلى مستويات جزئية، صرفية وتركيبية ودلالية مستقلة وإنما تدعو إلى دراستها في

¹ - علم الدلالة: ، ص 26

² - مقدمة في علم الدلالة والتخاطب ص 27.

³ - علم الدلالة، ص 68.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

بعدها الثقافي والاجتماعي والنفسي.¹ فالمعنى بمقتضى النظرية السياقية The contextual Theory يفسر باعتبار وظيفة في السياق. ولذلك فعناية النظرية السياقية بالمعنى جعل الكثيرين يضعون فيرث وبلومفيد في شكل خطين متناظرين لا يلتقيان كما تمت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن النظرية السلوكية.

" والمعنى على وقف هذه الكيفية هو علاقات هذه الوظائف² فيما بينها لغويا، أي حامل معاني البنى على المستويات اللغوية المختلفة ولئن كانت نظرية فيرث تقول كثيرا على التحقيقات السياقية المتوالية ابتداء من السياق الصرفي والنحوي والمعجمي وانتهاء بالسياق الدلالي فإن سياق الموقف هو العامل الأخير الحاسم في تحديد المعنى.³ ومع ذلك فإن النظرية السياقية لم تسلم من الانتقادات التي طالتها بين جنوحها إلى المبالغة في دور السياق في صنع المعنى إلى الحد الذي أغفلت معه الوظيفة الإحالية والإشارية للمفردات والجمل اللغوية حين استقطب من حسابها ما تحيل عليه الكلمات من صور ذهنية، وما تشير إليه من حقائق خارجية على مستوى الكلمات كما أنها تجاهلت النسبة الخارجية أو اشتراطات الصحة للجملة التي تبرز أهميتها في دراسة العلاقات بين المفردات المعجمية وكذلك بين الجمل اللغوية، وذلك مثل الترادف، والتضمن والعكس والتضاد ونحوها.⁴ ومع أهمية السياق وقيمه في ترجيح معنى على معنى آخر وإقصاء الدلالات غير مقصودة من المتكلم فالمعنى لا ينحصر في السياق وحده، ولا يمكن أن ندركه مع إغفال العناصر الأخرى، المعجمية والتركيبية، والصور الذهنية أو الاحالية التي تشير إليها الكلمات.

¹ - الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 91-92.

² - الوظيفة الصوتية والوظيفة الصرفية والوظيفة المعجمية، والوظيفة التركيبية والوظيفة الدلالية.

³ - مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 31.

⁴ - ينظر المرجع نفسه، ص 97.

4- النظرية التوليدية:

إن ثورة ديسوسير على الطرائق والمناهج التي كانت تعالج بها اللغة جعلته يحدث قطيعة مع كل تلك الدراسات التي امتزجت بالتحليل الفلسفي والمنطقي، هذه القطيعة امتد أثرها إلى كل اللغويين الذين جاءوا بعده سواء في اللسانيات الأمريكية أو الإنجليزية.

من أهم ما يميز هذه الدراسات اللسانية وخاصة الأمريكية "اهتمامها الشديد بالدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية، مقابل إغفال تام لقضايا الدلالة Signification والمعنى Sens ومن المعلوم أن هاريس (1909 - 1993) تلميذ بلومفيد (1887 - 1949) وأستاذ تشومسكي كان هو الأخير يرفض كل إحالة على المعنى في التحليل نظراً إلى صعوبة التحقق العلمي من ماهية الحقائق الدلالية للوحدات اللغوية.¹

امتدّ هذا التأثير ليصل إلى المدرسة التوليدية التحويلية إذ لم يخرج النحو التوليدي في بدايته عن أهم التصورات المتعلقة بموضوع العلاقة بين الدالة والتركيب، وضرورة دراسة كل مستوى في استقلال عن الآخر ولذلك يلحظ تنكر للمعنى في النموذج التوليدي الأول 1957م وحصر الدراسة في ما هو تركيبي فقط.²

يقول تشومسكي في هذا السياق: "إن البحث في مثل هذه المقترحات (بناء نحو على أسس الدلالية) يؤدي بنا دائماً على ما يبدو إلى نتيجة مفادها أن الأساس الشكلي المحض فقط يمكن أن يوفر لنا ركيزة ثابتة مثمرة لبناء نظرية القواعد (نظرية في النحو) إن البحث المفصل في جميع المقترحات التي تؤيد استخدام الدلالة في نظام القواعد أمر يقع خارج هذه الدراسة ولا أرى أية فائدة منه.³

¹ - اللسانيات التوليدية: مصطفى غلفان: عالم الكتب الحديث، اربد، لبنان، 1431هـ/ 2010م، ط1، ص 34.

² - ينظر: المرجع نفسه- ص 34-36/ البنى التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم ص 70- 71.

³ - البنى النحوية: نعم تشومسكي. تر: يؤيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد ماشطة. الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1407هـ-1987م، ط1، ص 129-130.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس اللغوي

تقوم إذن نظرية ما قبل المعيار على مبدأ ضرورة الفصل بين النحو والدلالة وأنه لا طائل من الجمع بينهما، ولأجل الوصول إلى المعنى فالتركيب كفيل بتحقيق ذلك " فمن أجل أن نفهم جملة ما من الضروري أن نعرف الجمل النواة التي اشتقت منها هذه الجملة وبعبارة أدق علينا أن نعرف السلاسل النهائية التي تعتمد عليها الجمل النواة هذه، والقواعد المركبة لكل من هذه المكونات الأولية، وكذلك التاريخ التحويلي للجملة التي نحن بصدد ها وتطويرها من جمل النواة هذه، وهكذا تصبح المسألة العامة لتحليل الفهم في أحد معانيها مسألة شرح كيفية الجملة النواة التي تعتبر العناصر الأساسية للمحتوى الذي تشتق منه جملا أكثر تعقيدا مألوفة.¹

وقد شهدت الفترة الزمنية الممتدة بين النموذج التوليدي الأول (ما قبل المعيار) الذي أطلقه تشومسكي في كتابه البنيات التركيبية 1957 وإصدار كتابه مظهر النظرية التركيبية 1965 تطورات كثيرة ومحاولات لسانية جادة أثرت الساحة اللسانية بآراء وأفكار جديدة أبرزها أطروحة كاتز وفودور Katz and fodor 1963 في إطار ما يعرف في مجال الدلالة بالتحليل المكون Componentiel analysais في أطروحة كاتز وبوسطل KATZ 1964 and BOSTAL التي تحمل عنوان النظرية العامة للوصف اللساني، ليصبح المكون الدلالي مستوى مهما من مستويات التحليل التوليدي.²

إن هذه المبادرات حملت تشومسكي إلى تطوير أفكاره، وتجديدها. إضافة إلى النقد الذي جوبهت به نماذجه في النحو لعدم اهتمامه بالمعنى.³ واقتصره على الدراسة النحوية واعتماده على التركيب لأجل الحصول على المعنى، وقد صرح هو نفسه بالأثر الذي تركته فيه هذه المحاولات الجادة فيقول: " عندما اقترح كاتز وفودور إدخال قواعد التأويل الدلالي

¹ -Chomsky: structurées syntasciques . Trad , de l americain. Paris, 1969,p102 .

² ينظر: اللسانيات التوليدية: ص 109 .

ينظر: النظرية التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم ص 71- 74.

³ مدخل إلى علم اللغة: إبراهيم خليل. دار المسيرة، عمان، ط1، 1430هـ- 2010م.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

في بنية النحو لربط التمثيلات الدلالية بالبنى التركيبية كانا يصدران عن تصور مخالف لما كان لدي إذ اعتبرت النظرية المعيار اقتراحاتها بمثابة ابتكارات، فقواعد كاتز وفودور تعد ذات صبغة مفهومية Intensionnel لم تكن موجودة في البنى التركيبية لصلتها الوثيقة بالتمثيلات الدلالية.¹

ويمكننا أن نلخص المراحل التي مرّت بها النظرية التوليدية في بحثها عن المعنى، وتحديد كيفية الحصول عليه ومكان وجوده بـ:

1- مرحلة العناية بالتركيب 1957م.

2- مرحلة وجوه النظرية النحوية 1965.

3- مرحلة الأعمال التي أنجزها باحثون ذهنيون أمثال كاتز وفودور وكاتز وبوسطل والتي تندرج ضمن علم الدلالة التأويلي (التفسيري) .

إذن فمرحلة الفصل بين النحو الدلالة ماهي إلا خطوة منهجية لأجل إرساء علم اللسان وإعطائه صبغته العلمية والمنهجية التي تمنحه تصنيفا دقيقا بين العلوم إلا أن هذا الفصل لم يكن له ليدوم طويلا لقصوره عن إدراك اللغة، فاللغة أكبر وأعقد بكثير من أن تختزل في المستوى التركيبي، يقول في ذلك مارك ريشل: "إن ميل اللسانيات إلى تأسيس النحو على التحليل التركيبي ميل مسوّغ تسويغا كليا في حال تبين أن هذه المرحلة مرحلة مفيدة لتقدّم اللسانيات، إلا أنه من الواضح أن وضع المظهر الدلالي بين قوسين لا بدّ أن يتم تخطينه إن نحن أردنا الوصول إلى نظرية عامة حول اللغة."² فكل هذه النماذج التي أرادت حصر الدراسة اللغوية في شكلها الصوتي والصرفي والنحوي أو التركيبي وحاولت تهميش المعنى وتجنّبه، فكلها كانت قاصرة عن وصف اللغات وصفا شاملا يحقق لنظرياتها الكفاية المفهومية ولذلك، وبالفعل ظهرت محاولات تنادي بالعناية بالمكون الدلالي في التحليل

¹ -Chomsky: Dialogue avec Milsou Rounat p 146 .

² اكتساب اللغة، ص106.

اللغوى، ولكن انطلاقاً من المكون النحوي ومن أهم هذه المحاولات محاولة كاتز وفودور

4-1- محاولات كاتز وفودور:

منذ نشر كاتز وفودور بحثهما " بنية النظرية الدلالية " 1963 أصبح من المقبول جداً أن يتمثل جزء من الهدف المرجو من وراء وصف المعرفة اللغوية في وصف روابط التناسب mapping بين الشكل السطحي والمعنى¹

صنف كاتز الدلالة إلى صنفين، دلالة معجمية ودلالة بنيوية ويحمل البنية التركيبية النحوية منطلقاً للتأويل الدلالي، ويتحدد معنى الكلمة في التحليل المكوني من خلال ما تحمله من ملامح ومكونات تمييزية فينطلق اللغوي أولاً بتحديد المكون النحوي للكلمة (اسم، فعل، حرف، صفة،.....) ثم تحديد المكون الدلالي من حيث كونها تشير إلى (جماد، إنسان، حيوان، نبات، ذكر، أنثى،.....) ثم ينتقل إلى تحديد مميزات أخرى تحقق الشكل التقابلي بين الكلمات وعليه فإن مكونات المعنى بالإمكان تمثيلها في شكل مفاهيم ومبادئ ذرية. Atomique Concepts.²

والنموذج الأكثر شهرة هو النموذج الذي قدمه كاتز وفودور وبوسطل 1964.

لقد اختار هذان الباحثان كلمة / Bachelor / [أعزب] وحاولا تحديد ما يمكن أن نسميه بـ " الأطياف الدلالية" أو النسق الداخلي لمدلول هذه الكلمة باعتباره سلسلة من الآثار المعنوية انطلاقاً من تحديد العناصر الإختلافية وفق المخطوطة الآتية.³

ولم يسلم هذا النموذج من الانتقادات التي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- سلبيات هذا التحليل تكمن في أن العناصر الإختلافية ليست مكونات دنيا بل

تشكل في ذاتها تعريفات تامة، وهي تعريفات تحتاج هي الأخرى إلى تعريف.

¹ علم الدلالة العرفاني: راي جاكوندوف ص 55

² البنى التصورية واللسانيات المعرفية، ص 72.

³ العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ص 154.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

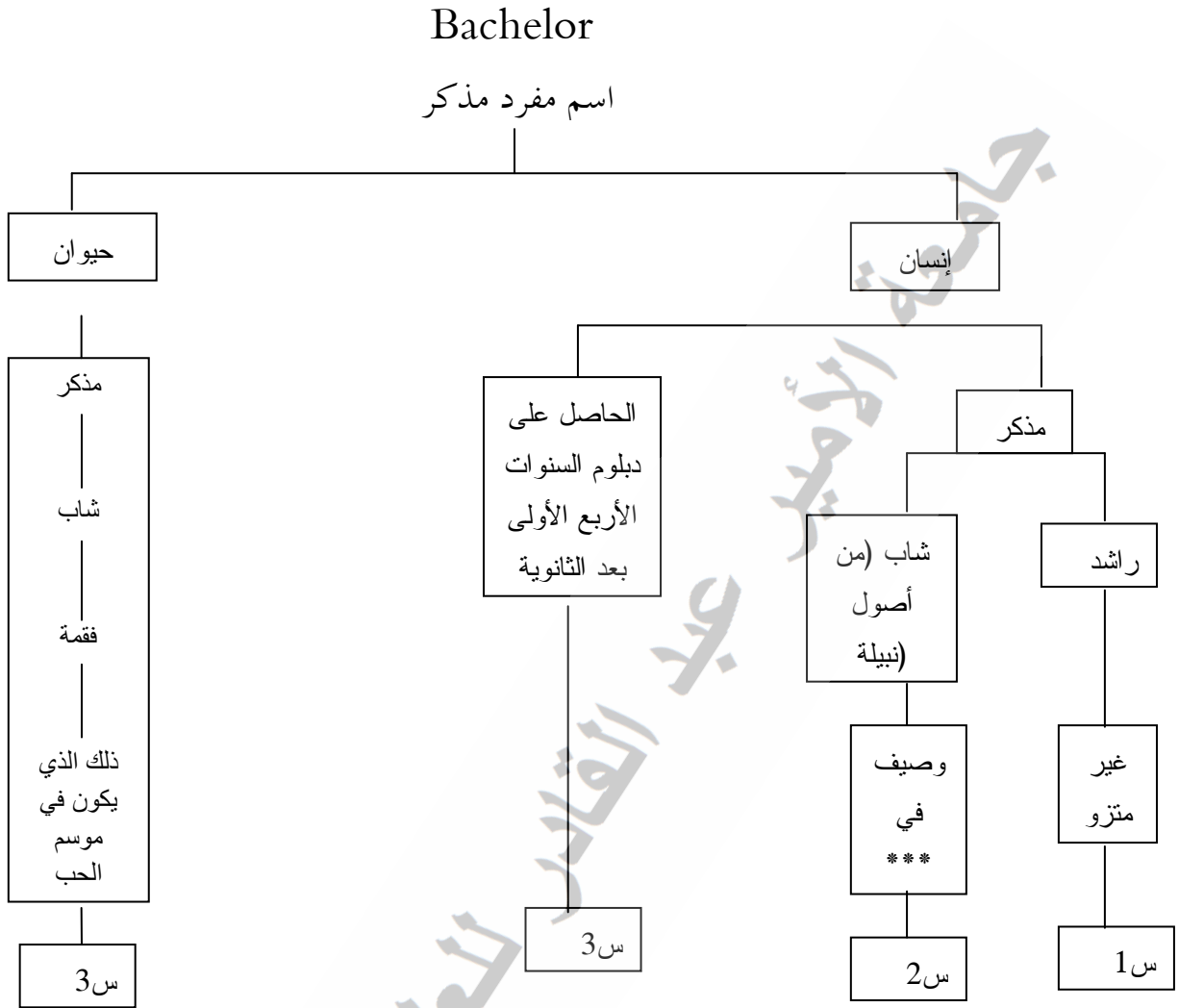
2- يمكن لهذه الطريقة أن تكون مهمة من أجل تحديد الأسس التي تبنى عليها قواميس الوحدات المعجمية إلا أنها لا تستطيع أن تشرح لنا الطريقة التي يتم فصل من خلال نسق دلالي بسيط.

3- بإمكان هذا التحليل تحديد الاستعمالات المختلفة للوحدات المعجمية إلا أنه لا يوضح السياقات والظروف التي يمكن أن تستعمل ضمنها هذه الوحدات.

وعلى الرغم من هذه الانتقادات الموجهة لمقترح كاتز وفودور فإن أهميته تكمن في الانتقال من فكرة حتمية تهميش المعنى في الدرس اللساني والتخلص من آثار البنيوية الأوروبية وخاصة الأمريكية شكلائية التي عرفت بإقصاء شخصياتها للمعنى وهما بلودفيد وهاريس أستاذا تشومسكي.

إن هذا الطرح -استبعاد المعنى- أصبح حملا من الصعب التخلص منه وكانت محاولة كاتز وفودور 1963 بمثابة النقلة النوعية " فكانت أول نظرية في إطار المقاربة التوليدية عاجلت الدلالة في أفق التركيب أي وضعت الدلالة في نظرية تقوم على أساس استقلال التركيب وافتراض وجود مكون دلالي ذي طبيعة تأويلية.¹

¹ - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 200.



4-2- محاولة كاتز وبوسطل 1964:

تطور توظيف المكون الدلالي في النظرية الشاملة للأوصاف اللغوية كاتز وبوسطل 1964م الذي يفرض أن التحولات لا تغير شيئاً في معاني الجمل المحولة حتى عندما يتعلق الأمر بالجمل المركبة وأن مساهمة التحويلات في التأويل الدلالي تقتصر على ربط المؤشرات المركبة أي تآلف بين التأويلات الدلالية للمؤشرات التي تم تأويلها قبل بكيفية محددة.¹

ويعد المكون الدلالي في اقتراح كاتز وفودور وكاتز وبوسطل بمثابة آلية إسقاط يتم

التمييز فيها بين عنصرين:

¹ - اللسانيات التوليدية، 121.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

-القاموس: وهو الذي يستند إلى الوحدات المعجمية قراءات دلالية أي يعطي معنى إلى المفردات المكونة للجملة. " ولكي نحصل على تأويل دلالي يشمل مفردات الجملة، فإنه يتم تحديد جميع المداخل المعجمية التي تحتوي عليها المفردات....فالقاموس يمدنا بالمداخل المعجمية المختلفة للمفردة أي شروحيها المختلفة، ويحتوي المدخل المعجمي على مجموعة من السمات التمييزية وهي:

● السمات التركيبية: وهي التحديد المقولي للمفردة وقد تكون هذه السمات أصلية أو فرعية فالمفردتان "عين" و"عقرب" مثلا: سماتهما الأصلية كزهما سما وسماتهما الفرعية كونهما مفردا، مؤنثا...إلخ

● سمات دلالية: تحدد هذه السمات المحتوى الدلالي للمفردة، وتجتمع في المفردة الواحدة قواسم مشتركة بينها وبين مفردات أخرى وسمات تمييزية تفرقها عنها.

■ السمات الجامعة: سمات تتقاسمها المفردة مع المفردات المخالفة لها، أي تلك التي تقع في نفس الحقل الدلالي.

■ السمات المانعة: سمات تخص المفردة بعينها، وتمييزها عما عداها من المفردات التي تخالفها.

■ قيود الانتقاء: من مميزات هذه القيود أنها تخصّ المحمولات (الفعل ومشتقاته والحروف أي كل ما يفرّع إلى شئ آخر) ومهمة هذه القيود تحديد ما يشترطه المحمول في المفردات التي تساوقه مثل...¹

-قواعد الإسقاط: تمدنا هذه القواعد بالتأويل الدلالي المرتبط بالجملة ككل.²

¹ ينظر: مدخل إلى علم الدلالة الحديث: عبد المجيد جحفة. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص60-64.

² - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 200.

إذن فللحصول على التأويل الدلالي للجملة ما فإن ذلك سيتم على مرحلتين الأولى على مستوى القاموس للحصول على الدلالة المعجمية لكل وحدة داخل الجملة. والثانية كلية يتم عن طريق الربط بين دلالات الوحدات المكونة للجملة. بشرط أن تخضع عملية الضم لقيود ثلاثة وهي: القيد التركيبي والقيد الدلالي وقيود الانتقاء.

4-3- المكون الدلالي من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي:

● **المكون الدلالي في النموذج المعيار:** بعد الخطوات التي خطاها كانز وفودور وبوسطل في إدخال المكون الدلالي وضمّه إلى المكونين التركيبي والمعجمي، أيقن تشومسكي أنّ النظرية التوليدية التحويلية في مرحلة البنى التركيبية 1957م أصبحت قاصرة عن تحقيق الكفاية التفسيرية للظاهرة اللغوية، وأنّ عدّ المكون الدلالي مكون هامشي يمكن الاستغناء عنه يؤدي بنظريته إلى الأفول والزوال، مما دفعه إلى إعادة النظر في مبادئه، وضرورة مراجعة التنظيم الداخلي للنحو وتفعيل العلاقة بين المكون النحوي والمكون المعجمي والمكون الدلالي.

أنتج هذا السياق المعرفي النموذج المعيار 1965 Standard Modele الذي اعتبر المكون الدلالي أحد مستويات البنية العميقة، إلى جانب المكون المعجمي والقواعد المقولّية.

● **علاقة المكون الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية:** كل جملة في إطار نظرية النحو التوليدية التحويلية تضم بنيتين: عميقة وسطحية. وتقوم القواعد التحويلية بالربط بينهما. أي أن القواعد التحويلية تحول التركيب الباطني المجرد إلى تركيب ظاهر محسوس يجسد مبنى الجملة، بتحويلها من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل.

- **البنية العميقة:** هي التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً وبما تشكل من القواعد والقوانين في اكتساب اللغة. إذ تتضمن البنية العميقة النظام الأساس الذي تتولّد منه قوانين بناء الجملة وفق ترتيب صحيح وقواعد نحوية سليمة، وهي أول مرحلة من عملية إنتاج الكلام، بل هي الأساس لبناء الكلام وتوليده. وهي التركيب المستر

الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي للجملة.

تمتاز البنية العميقة بسمة العالمية يقول في ذلك تشومسكي: "إن البنية العميقة التي تحدد المعنى... مشتركة بين كل اللغات، وذلك لأنها ليست سوى انعكاس لأشكال الفكر."

-البنية السطحية: أما البنية السطحية (Surface Structure) فتتمثل في التركيب السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة والمكتوبة. فهي التفسير الصوتي للجملة. وخلافا للبنية العميقة فهي تمتاز بأنها تختلف من لغة إلى أخرى.¹

-القواعد التحويلية: يحتل التحويل مكانة الوسيط بين البنية العميقة والبنية السطحية، وهو مبدأ من المبادئ التي تقوم عليها النظرية التوليدية التحويلية وظيفته الربط بين البنية العميقة بالبنية السطحية.

ومع ذلك بقي التركيب يحتل منزلة المركز في التحليل اللغوي، أما المكون الدلالي فهو تابع له، وتتفرع عن المكون التركيبي- الذي يعد المكون الدلالي منتما إليه -، البنية العميقة التي تتشكل من القواعد المعجمية والقواعد المقولية (المكون الأساس). هذه القواعد التي تتفرع عنها قواعد الإسقاط التي تتشكل في قالب التمثيلات الدلالية والتمثيلات الصوتية، فالقواعد المعجمية تتيح لنا المعنى الأولي للكلمة من خلال سماتها الصوتية والتركيبية والدلالية، أما قواعد الإسقاط فهي القواعد التي يتم بموجبها الربط بين المعاني المعجمية والبنى التركيبية للحصول على معنى الجملة. فيشتق المكون الدلالي للجملة وفق النموذج المعيار من بنيتها العميقة.²

¹ نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم: مختار درقاوي: الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد13، جانفي2015، ص10.

² ينظر: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي- مفاهيم وأمثلة -: مصطفى غلفان. عالم الكتاب الحديث، إربد، 2010، ص 110-122.

• العلاقة بين المكون الدلالي والبنية العميقة:

- كل ما يتعلق بالمعنى يتم على مستوى البنية العميقة، في شكل تمثيلات دلالية.
- المكون الدلالي - إلى جانب المكون الصوتي - يتم تحليلهما في المستوى الثاني من التحليل اللغوي.

- المكون التركيبي مكون توليدي، أما المكون الدلالي مكون تأويلي.

- "التحويلات لا تلعب أي دور في التأويل الدلالي للجملة، ولا يمكنها أن تغير معنى الجملة، بحيث أن كل ما يتعلق بالمعنى يحدد سلفاً في البنية العميقة، وأن كل عنصر له دلالة معينة يجب أن يوجد في الأساس."¹

4-4- اللسانيات العرفية: cognitive linguistics المصطلح والمنهج والإجراءات

• **المصطلح بين مصطلحي المعرفة والعرفان:** يمثل العرفان ذلك الشق الثاني للمعرفة المعقلنة الواعية الناجمة عن انتقال المعارف والمعلومات والعمل على اكتسابها وتطويرها، أما العرفان الطبيعي المترسخ في خصائص الدماغ والمجاز للوعي وللإدراك والصالح موضوعاً للدراسة. إذن فالعرفان ليس مرادفاً للمعرفة ولكنه شامل لها، لا خلط بين العرفان التصوري والعرفان العلمي ولكن المشكلة المصطلحية تظهر في وقوع الالتباس بين المعرفة والعرفان.²

• **الدلالة في اللسانيات العرفانية: استعادة المكانة:** إن إعادة الاعتبار للمعنى والدلالة ووضعهما في المترلة الأولى سيؤدي إلى النظر إلى النحو لا باعتباره مجموعة من الآليات التي تسمح بإنتاج تراكيب سليمة Des Structures Grammaticales، وإنما على أنه قائمة من الأبنية الاصطلاحية التي تسمح بتصنيف المعاني والدلالات، وبذلك سيصبح مجرد دراسة للعلاقات التي تربط بين متتاليات صوتية ودلالات.³

¹ اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص 121.

² مدخل إلى النحو العرفاني: عبد الجبار بن غريبة. كلية الآداب والفنون والإنسانيات. بمنوبة، 2010، ط1، ص8.

³ المرجع نفسه: ص18.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

-مفهومها: هي لسانيات أهم مبادئها نقد اللسانيات الشكلية، والتشكيك في قدرة التحليل الصوري على إدراك طبيعة اللغة ووظيفتها، إذن فهو مصطلح يطلق على مجموعة من التيارات والنظريات يجمعها عامل مشترك وأساسي هو المكون الذهني أو الإدراكي أو العرفني، ولكنها مختلفة في بنائها ومشاعلها وتوجهاتها ومجالات العناية بها، وتنقسم هذه الاتجاهات إلى اتجاهين كبيرين الأثناء العرفنية والنحو التوليدي في نموذج الأدنوي.¹

-اتجاهاتها:

الدلالة التأويلية والدلالة التوليدية: إن مركزية التركيب من عدمها أثارت في النموذج المعيار أثارت العديد من الاختلافات وسط أتباع النظرية اللسانية التوليدية التحويلية، وانبثقت عنها توجهان اثنان الدلالة التأويلية ويمثلها تشومسكي Chomsky وكاتز Katz وجاكوندوف Jackendoff، والدلالة التوليدية ويضم بول بوسطل Postl وشارل فيلمور Charles Fillmore وجون روس John Ross وجورج ماكولي George Mccawley وإيمون باخ Emmon Bach وجورج لاكوف George Lakoff وغيرهم.²

-الدلالة التأويلية: (كاتز 1972) والتي تمثل خلاصة الأعمال التأويلية السابقة، كاتز وفودور 1963م، وكاتز وبوسطل 1964م، والنظرية الشاملة للأوصاف اللغوية وتشومسكي 1965م، حيث " وظيفة المكون الدلالي إسناد التأويل الدلالي الملائم للمتتاليات التي يولدها التركيب من خلال المعلومات المركبية أساسا"³ ويتم هذا التأويل على مستوى البنية العميقة على اعتبار أن المعنى لا يتم تغييره في المرحلة التحويلية الفاصلة بين البنية السطحية والبنية العميقة.⁴ فيقتصر التحليل الدلالي وفق نظرية الدلالة التأويلية على المنحى التأويلي.

¹ ينظر: نظريات لسانية عرفانية، ص 27

² ينظر: اللسانيات التوليدية. ص 123-124

³ مدخل إلى علم الدلالة الحديثة، ص 72.

⁴ ينظر: مدخل إلى علم الدلالة الحديثة، ص 72.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

-النموذج الأدنوي: لا يخفى على الدارسين اللغويين الخطوات الجريئة والنوعية التي يخطوها تشومسكي في رحلة بحثه في اللغة، ومكمن هذه الجرأة في التغييرات التي تطرأ على أفكاره واستغناؤه عن بعضها الذي كان يعدّه مبادئ تأسست على أساسها نظريات سابقة، وبعد النموذج المعيار 1965 والنموذج الذي سبقه 1957م والنظرية الموسعة رست النظرية التوليدية التحويلية على النموذج الأدنوي (برنامج الحد الأدنى Minimalist Program) سعياً وراء تحقيق الكفاية التفسيرية لأن الوجهة العقلية التصورية أصبحت قوة تفسيرية لا يمكن للدراسات اللغوية وحتى جميع العلوم الإنسانية الأخرى تجاوزها. فبرنامج الحد الأدنى " يسعى إلى بلوغ التفسيرية من طريق الأدنوية، بوصفها نهجاً نظرياً يسعى إلى أن يقوم بتغطية أكبر عدد من الوقائع والتجارب عبر استنتاجات منطقية مرتبطة بعدد قليل من الافتراضات والمسلمات.¹

يفترض البرنامج الأدنوي أنّ الملكة اللغوية تتميز بكونها غير حشوية، أنّ مبادئ اللغة تتمتع بقدر كبير من الاقتصاد. فهناك نزوع إلى تفادي التحديد المفرط. لذلك، يشترط البرنامج الأدنوي أن يتضمن التصميم الأمثل للغة ما له ضرورة افتراضية تصورية فقط. وتماشياً مع هذا، أصبح النحو يملك مستويين فقط، الصورة الصوتية والصورة المنطقية، وتمّ الاستغناء عن المستويين الوسيطين الداخليين المعروفين في مقارنة المبادئ والوسائط بالبنية العميقة والبنية السطحية.... يؤوّل الصوت في الصورة الصوتية، ويؤوّل المعنى في الصورة المنطقية...²

-منوال جاكوندوف: عرف جاكوندوف بانتمائه للمدرسة التوليدية التحويلية، حتى بعد انشقاق فريق منهم عن أفكار تشومسكي وتبنيهم للدلالة التوليدية، إلاّ أنّه في بداية الثمانينيات كوّن لنفسه منوالاً فكرياً خاصاً، خرج فيه خروجاً جزئياً عن أفكار تشومسكي،

¹ التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 214.

² اللسانيات التوليدية- من التفسير إلى ما وراء التفسير: نعوم تشومسكي. تر: محمد رحالي. دار الكتاب الجديد،

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

إلا أنه لا يعيش قطيعة معها وفي الوقت نفسه يحمل خصوصية تتمثل في تصوّره الخاص للبعد العرفاني الثقافي عند الإنسان، فهو يفترض أيضا نواة ثقافية اجتماعية شبيهة بـ {ن ك} (النحو الكلبي) تمكن الطفل من عقد العلاقات الاجتماعية واكتساب بعض النماذج الممكنة لها، ويعتبر هذه القدرة الفطرية جزء من استعدادات الدماغ. ويدعم بهذا الرأي موقفه من استقلال البنية التصورية، وصلاحيها مفهوما عاما يستوعب قدرات الفرد العرفانية في مجالات عدّة غير لغوية...¹. هذه الدواعي أخرجت من جاكندوف نظرية عرفانية تهتم بتحليل اللغة على مستوى البنية التصورية ومن زاوية نظر عرفانية، إضافة إلى انتقادها فكرة مركزية التركيب واستبدالها بمبدأ التوليفة ضمن نظرية

الهندسة الثلاثية المتوازية Tripartite Parallel Architecture التي تقوم على لامركزية المكون التركيبي والتوازي بين مكونات النحو، الصوتية والدلالية والتركيبية.

-الدلالة التصورية: تعتبر نسقا تمثيلا يهتم اللغة ويتجاوزها في حدّ ذاتها، وعليه يقوم التفكير والتخطيط وتكوين المقاصد، وفهم الجمل في سياقها، مع ما يرتبط بذلك من اعتبارات تتعلق بالمعلومات الذريعية والمعرفة الموسوعية.² إذن فنظرية الدلالة التصورية تتخطى الجزئيات لتنتقل من الفكر لأنها تنطلق من المبدأ القائل: "إنّ المعنى في اللغات الطبيعية عبارة عن بنيات مرمزة في الذهن البشري."³ ولأن أجهزة الدماغ لا تشتغل في هيئة منفصلة، فهناك تكامل وتفاعل بين كل هذه الأجهزة كالرؤية والسمع واللمس والشم والحركة، و.... واللغة، فهو إذن تفاعل بين المعنى والمعرفة، " وهذا يشي بأنّ البنية الدلالية مصوغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن البشري التجربة، وذلك لأنّ تخصيص العلاقات الدلالية يضطرنا إلى استعمال معرفة تصورية غير لغوية تتطافر فيها المعلومات القادمة من الأجهزة

¹ التمثيل الدلالي للحملة منوال جاكندوف 1983: منية عبيدي. منشورات علامات، مكناس، المغرب، ط1، 2013، ص14.

² النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة - مبادئ وتحليل جديدة - محمد غاليم. دار توبقال، المغرب، ط1، 2007، ص 17.

³ جاكندوف 1987، ص122.

الفصل الثاني.....البعد المعرفي للدرس الدلالي

الأخرى...¹ فنظرية الدلالة التصورية باعتبارها نظرية عرفانية تعنى بتنظيم ظواهر الدلالة اللغوية ووصفها وتفسيرها وربطها بغيرها من الظواهر اللغوية الأخرى والمعرفية غير اللغوية.² فهي إذن تختلف عن النظرية الدلالية عند تشومسكي التي تستمد مادتها من التركيب، " فالنحو التوليدي منذ المظاهر قد قام على أساس افتراض أن المعجم مكون من مكونات النحو، وأن هناك ارتباطا وثيقا بين القواعد المركبية والقواعد المعجمية إلى درجة يمكن معها اعتبار القواعد المقولية تكرارا للمعلومات المطردة في المداخل المعجمية."³ إلا أن المعنى في النظرية التصورية نسق تألوفي مستقل عن البنية التركيبية وأغنى منها إلى حد بعيد، أولياته كيانات تصورية مثل الأفراد والأحداث والمحمولات والمتغيرات والأسوار. وبخلاف علاقات العلو والترتيب الخطي التي نجدها في التركيب فإن البنية الدلالية تقوم على مبادئ تألفية ذاتية كالروابط المنطقية وعلاقات الدلالات بموضوعاتها، والأسوار بالمتغيرات المربوطة، والعلاقات النعتية، وعلاقة الأقوال بالمتضمنات.⁴ بل هي "نسق توليدي مستقل بخصائصه التألفية، ولا يقوم على وحدات تركيبية كالمركبات الاسمية والفعلية، وإنما يمتلك أولياته الدلالية ومبادئه الذاتية الخاصة"⁵ فهي تسعى إلى استعمال القرائن اللغوية لدراسة طبيعة التفكير.

البنية التصورية: هي ليست جزءا من اللغة في حد ذاتها، بل هي البنية التي ترمزها اللغة في صورة قابلة للتواصل."⁶ إذن فالبنية التصورية سابقة ابستمولوجيا على البنية اللغوية.⁷

¹ البنى التصورية واللسانيات المعرفية، ص75

² بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي: محمد غاليم. مقال منشور على الانترنت :

<http://WWW.aljabriabed.net/n96-05gaem.htm>

³ المعجم العربي - نماذج تحليلية-: عبد القادر فاسي الفهري. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 41986، ط1، ص 14.

⁴ بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي: محمد غاليم.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة- مبادئ وتحليل جديدة-: محمد غاليم. دار توبقال، المغرب، 2007، ط1، ص33.

⁷ جاكندوف 2005 ص20 .

-الدلالة التوليدية: انتقدت نظرية الدلالة التوليدية حصر الدلالة في تأويلها على مستوى البنية العميقة، ويمثل هذا النموذج كل من غروبر 1967-1976م وفيلمور 1968م، حيث أعاد النظر في العلاقة بين التركيب والدلالة منشقين بذلك عن مبادئ تشومسكي في افتراض بنيتين البنية العميقة والبنية السطحية، مؤكداً أنه لا حاجة لوسيط بين المعنى والتركيب وأن البنية العميقة هي نفسها التمثيل الدلالي.¹

"وتعتبر الدلالة التوليدية الفصل الذي أقامه النموذج المعيار بين التركيب والدلالة فصلاً اصطناعياً، ولا قيمة له، سواء من الناحية الواقعية (معطيات اللغة ذاتها)، أو من الناحية النظرية الصرف. ففي كل اللغات الطبيعية، لا يوجد أي مستوى تركيبياً مستقلاً بنفسه عن الدلالة. والقواعد التي تحدد ماهو دلالي في جملة معينة هي نفسها القواعد التي تحدد نحوية هذه الجمل من الناحية التركيبية." ² فالمرتبة التي أنيط بها المكون الدلالي في الدلالة التأويلية عدّها الدالايون التوليديون إنقاصاً من قيمته وأنّ العكس هو الذي يقع بالفعل في الواقع اللغوي، فغالبا، بل ودائماً يخضع التركيب للدلالة ويكون تابعا لها.

ولم يجد التركيب عن هذه المتزلة انطلاقا من بدايات النحو التوليدي خاصة بعد ظهور وعي جديد بضرورة مراجعة التنظيم الداخلي للنحو وما يكون من العلاقة بين مختلف مكوناته، المكون المعجمي والمكون التركيبي والمكون الدلالي، وفي هذا السياق المعرفي ظهر في أعمال تشومسكي 1965م النموذج المعيار standard modele الذي اتجه إلى اعتبار المكون الدلالي أحد مستويات البنية العميقة واعتباره لذلك مرتبطاً بالمعجم والقواعد المقولية.³ وصولاً إلى برنامج الحد الأدنى مع تشومسكي، ولم يُعاد النظر في هذه المكانة التي أنيط بها التركيب بين بقية المستويات إلا في إطار اللسانيات العرفية.

¹ وينظر: البنى التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم، ص 83-84.

² اللسانيات التوليدية: مصطفى غلفان. ص 125.

³ المعجم وتمثيل النحو في النظرية التوليدية: سرور الحشيشة. 10-01-2016. 5: 32.

خلاصة الفصل:

إنّ تبني أي منوال من المناويل اللسانية العرفانية لا يعني منح الأفضلية لأحدها دون الآخر، ولكنه اختيار فرضته طبيعة الموضوع، ووجهة اختيارية لمقاربة المدونة - مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير-

والنظريات العلمية ومناهج تطبيقها آليات يستعين بها لفهم ما حولنا، بالنظر إلى الظاهرة من زاوية معينة ورصد النتائج المتوصل إليها وفق ذلك المنظور ومن تلك الزاوية، ويرجع الاختيار لأفضلية النظرية ولكن لما يراه الباحث خادما لبحثه وقادرا على الاطلاع على أكبر مساحة من الظاهرة.

القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التزكير

المبحث الأول: تطور مفهوم الاستعارة من

أرسطو إلى لايفوف

المبحث الثاني: الاستعارة الكبرى في مجالس

التزكير

المبحث الثالث: الحقول الدلالية في مجالس

التزكير وعلاقتها بالمجال الهدف

والمجال المصدر.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

الفصل الثالث: الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير من كلام

الحكيم الخبير

المبحث الأول: تطور مفهوم الاستعارة من أرسطو إلى لايفوف

1- الاستعارة لغة واصطلاحاً

1-1- الدلالة اللغوية:

الاستعارة: جاء في لسان العرب تحت مادة (عور) وَالْعَارِيَّةُ وَالْعَارَةُ: مَا تَدَاوَلُوهُ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ أَعَارَهُ الشَّيْءَ، وَأَعَارَهُ مِنْهُ وَعَاوَرَهُ إِيَّاهُ. وَالْمُعَاوَرَةُ وَالْتَّعَاوُرُ: شِبْهُ الْمُدَاوَلَةِ وَالتَّدَاوُلِ فِي الشَّيْءِ يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:
وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صَاحِبِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْعِعِهَا وَكَرَا

يَعْنِي الزَّنْدَ وَمَا يَسْقُطُ مِنْ نَارِهَا، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْمُظَفَّرِ:

إِذَا رَدَّ الْمُعَاوِرُ مَا اسْتَعَارَا

(...) وَتَعَوَّرَ وَاسْتَعَارَ: طَلَبَ الْعَارِيَّةَ. وَاسْتَعَارَهُ الشَّيْءُ وَاسْتَعَارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهُ إِيَّاهُ (هَذِهِ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ). وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِصَّةِ الْعَجَلِ: مِنْ حُلِيِّ تَعَوَّرَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَيِ اسْتَعَارُوهُ يُقَالُ: تَعَوَّرَ وَاسْتَعَارَ، نَحْوُ تَعَجَّبَ وَاسْتَعْجَبَ.¹

قال الأزهري: وَأَمَّا الْعَارِيَّةُ وَالْإِعَارَةُ وَالِاسْتِعَارَةُ فَإِنَّ قَوْلَ الْعَرَبِ فِيهَا: هُمْ يَتَعَاوَرُونَ الْعَوَارِيَّ وَيَتَعَوَّرُونَهَا، بِالْوَاوِ كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا تَفْرِيقَهُ بَيْنَ مَا يَتَرَدُّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَبَيْنَ مَا يُرَدُّدُ. قَالَ: وَالْعَارِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْعَارَةِ، وَهُوَ اسْمٌ مِنَ الْإِعَارَةِ. تَقُولُ: أَعْرَثُهُ الشَّيْءُ أُعِيرُهُ إِعَارَةً وَعَارَةً، كَمَا قَالُوا: أَطَعْتَهُ إِطَاعَةً وَطَاعَةً وَأَجَبْتُهُ إِجَابَةً وَجَابَةً، قَالَ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ، مِنْهَا الْعَارَةُ وَالِدَّارَةُ وَالطَّاقَةُ وَمَا أَشْبَهَهَا.

¹ لسان العرب، مادة (ع، و، ر)، ص3186.

الفصل الثالث.....(القول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

وجاء في معجم العين تحت جذر عور: "والعاريَّة: ما استعرت من الشيء، سُمِّيَتْ به، لأنها عارٌ على طلبها، يقال هم يتعاورون من جيرانهم الماعونَ والأمتعة. ويقال: العاريَّة من الماوراة والمناوئة. يتعاورون: يأخذون ويُعطون.¹

1-2-اصطلاحا

الاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين...، والاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية، ولعل أبا عمر بن العلاء كان من أقدم الذين ذكروها، فقد ذكر الحاتمي أن ابن العلاء قال: " كانت يدي في يد الفرزدق وأنشدته قول ذي الرمة:

أقامت بي حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجر²

قال: فقال لي: أأرشدك أم أدعك؟ قلت: بل أرشدني. فقال: إن العود لا يزوي أو يجف الثرى، وإنما الشعر: " حتى ذوى العود والثرى".

ثم قال أبو عمر: " ولا أعلم قولاً أحسن من قوله: " وساق الثريا في ملاءته الفجر " فصير للفجر ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار هذه اللفظة وهو من عجيب الاستعار.³

إلا أن هذا التوظيف أقرب إلى المدلول اللغوي منه إلى الاصطلاح، ثم أخذ المصطلح في النضوج من مرحلة إلى أخرى إلى أن استقر وعمم في الاستعمال عند كل اللغويين.

تنوعت نظرة البلاغيين واللغويين للاستعارة، فتنوعت تعريفاتهم لها من مرحلة إلى أخرى، إلى أن اسقرت على مدلول واحد وهو المعمول به الآن.

¹ كتاب العين، مادة (ع، و، ر)

² ديوان ذي الرمة: قدم له وشرحه: أحمد حسن سبيح. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م، ط1، ص102.

³ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب. المجمع العلمي العراقي، 1403هـ-1983م، دط، ص136-

2- الاستعارة في منظور الثقافة اللغوية العربية:

ارتبط الدرس البلاغي عند العرب بفكرة الإعجاز القرآني، فتضافرت الجهود للخوض في هذا العلم والبحث فيه والاستزادة منه هدفهم في ذلك خدمة كتاب الله تعالى، ولأن البحث في هذا العلم ارتبط بالقرآن الكريم كسائر الدراسات اللغوية الأخرى من نحو وصرف وصوت ودلالة يصعب الجزم بوضعه أو نسبه لاسم بعينه خاصة في مراحل الأولى التي تمتاز بالموسوعية والشمولية وغياب فكرة الفصل بين العلوم ومصطلحاتها وأدواتها لأنها تبحث كلها لأجل غاية كبرى وهي فكرة الإعجاز.

وظيفة البلاغة "وصف الطرق الخاصة في استعمال اللغة وتصنيف الأساليب بحسب تمكنها في التعبير عن الغرض تعبيراً يتجاوز الإبلاغ إلى التأثير في المتكلم أو إقناعه بما نقول أو إشراكه فيما نحسّ به وغايتها مدّ المستعمل بما تعتبره أنجع طريقة في بلوغ المقاصد."¹

2-1- تطور مفهوم الاستعارة:

إن المنطلقات الفكرية لأيّ نظرية هي من يوجه حدودها وأبعادها، وإن المنطلق الفكري الذي بعث البلاغة العربية هو فكرة الإعجاز والتحدي القرآني أي هي المفاضلة التي لا وجه للمقارنة فيها بين كلام الله وكلام البشر، هذه المفاضلة التي تعد جوهر الفكر البلاغي العربي صبغت الدرس البلاغي العربي في كل أبحاثه.

انقسم اللغويون قبل نظرية النظم إلى أنصار للفظ وأنصار للمعنى، إلى أن حدث التوليف بينهما على مراحل متتالية إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج والاكتمال.

وهذا عرض موجز لتطور مفهوم الاستعارة في البلاغة العربية:

● **الاستعارة عند الجاحظ (255هـ):** عرف الجاحظ الاستعارة في كتابه البيان والتبيين

قائلاً: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" إذن هي عملية نقل للفظ من

¹ التفكير البلاغي عند العرب: حمادي صمود. منشورات كلية الآداب، منوبة، 1994، ط2 ج1، ص47.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل)

حقل إلى حقل آخر دون أن يحدد العلاقة ولا الغرض من النقل.¹ ف نجد الجاحظ لا يقدم حدودا أو تعريفات للظاهرة البلاغية، بل يعرض نماذج يرى فيها الجودة والجمال والأفضلية على حساب نماذج أخرى، بحكم عدم اكتمال حدود النظرية البلاغية العربية من جهة، واعتماده على الذوق السليم من جهة ثانية في انتقاء النصوص الموسومة بالجمال.

● الاستعارة عند ابن قتيبة (276): " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها، بسبب من الأخرى، أو الجاور لها، أو مشاكل فيقولون للمطر سماء، لأنه من السماء يتزل، قال معاوية بن جعفر بن كلاب معوذ الحكماء: إذا نزل المطر بأرض قوم فأحصبت بلادهم، سرنا ورعينا نباتنا، وقد عبر بكلمة السماء عن المطر فاجتاز بها وضعها الأصلي.²

● الاستعارة عند ابن المعتز (296هـ): قال فيها ابن المعتز: " استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل أم الكتاب، جناح الذل، ومثل قول القائل الفكرة مخ العمل، ففلو كان قال: لب العمل لم يكن بديعا"³

● الاستعارة عند ابن طباطبا (ت322هـ): الذي يعتبر الظواهر البلاغية لباسا براقا نلبسه الكلمات والجمل عن وعي واختيار، ونترعه عنها إن شئنا ذلك، فيقول في بناء القصيدة: " فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة، مخّض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، ثم أعدّ له ما يلبسه إياه، من الألفاظ التي تلاءمت، والقوافي التي تناسبه، الوزن الذي يسلس القول عليه..."⁴ فابن طباطبا في نصه هذا يجعل اختيار اللفظ وبناء التركيب واستدعاء الأساليب تأتي في مرحلة لاحقة عن التفكير.

¹ البيان والتبيين، ج1، ص153.

² الاستعارة نشأها وتطورها: محمد السيد شيخون. دار الهداية للطباعة والنشر، ط2، 1994، ص7.

³ كتاب البديع: عبد الله بن المعتز. تعليق وتقديم: اغناطيوس كراتشوفسكي. دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982، ص2.

⁴ عيار الشعر: ابن طباطبا. تح، زغلول سلام وطه الجاحري. ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1956، ص5.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

• الاستعارة عند قدامة بن جعفر (337هـ): عرفها في كتابه نقد النثر: "هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض، على التوسع والمجاز"¹ يميز في الاستعارة بين المقبول والفاحش المرفوض، وعلته وضوح الفكرة وقربها أما مثال المقبول فاستشهد بقول امرئ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل²
واستشهد للفاحش بقول أوس:
وذات هدم عار نواشرها نضحت بالماء تولبا جدعا
فسمى الولد تولبا باسم ولد الحمار وهو مرفوض فاحش كما أطلق عليه قدامة بن جعفر.

• الاستعارة عند الرماني (384هـ): هي "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"³

• الاستعارة عند أبي الهلال العسكري (395): جاء تعريفه الاستعارة في كتابه الصناعتين أكثر وضوحا وأدق تعريفا وأبين لأشكالها وأغراضها فيقول "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك أن يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه وتأكيد المبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه. وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة"⁴.

وإذا ما قارنا تعريف أبي الهلال العسكري للاستعارة مع تعريفات سابقه، لوجدنا تعريفه يعد محطة جديدة من حيث ذكره للأغراض التي تؤدي بالمتكلم إلى اللجوء للاستعارة.

¹ ينظر الاستعارة نشأتها وتطورها، ص 15.

² ديوان امرئ القيس: ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م، ط 5، ص 117.

³ النكت في إعجاز القرآن: الرماني. تح: محمود خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، القاهرة، دط، 1986 ص 18.

⁴ الصناعتين، أبو الهلال العسكري. ص 295.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

● الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني: أطلق الأصوليون والبلاغيون مصطلح المجاز للدلالة على كل استعمال للفظ في غير ما وضع له أولاً لما بين المعنيين من تعلق، ويقول في ذلك عبد القاهر الجرجاني: "الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده "خرج زيد"، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر: الكناية والاستعارة والتمثيل.... أولاً ترى إذا قلت في المرأة "نؤوم الضحى" فإنك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، على المعنى الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك، كمعرفتك من "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها."¹

ونجد عبد القاهر الجرجاني في فصل البلاغة يفاضل بين الكناية والاستعارة والتمثيل ويفاضل بين توظيفها وعدمه ويجعل المزية في وجودها في الكلام: كقولك: بلغني أنك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى " كان أوقع من صريحه الذي هو قولك: بلغني أنك تتردد في أمرك."²

فبعد القاهر الجرجاني كان ينظر إلى الاستعارة على أنها فعل متكامل مع النص لا انفصال بينهما، يحدثان في زمن واحد، مخالفاً بهذا التوجه من سبقوه، " وهذا ما ميز الجرجاني عن غيره من البلاغيين السابقين بما رآه من أن الاستعارة تنشأ مع النص في زمن واحد، أي أنها تظهر عندما يستدعيها السياق ساعة نشأته. فالاستعارة تنشأ ساعة ينشأ النص فقد أدرك الجرجاني دورها في الخطاب الأدبي، وقدرتها على إنشاء الصور والخيالات، وأدرك أثرها في شد المتقبل إلى النص حتى يشعر بأنه له في إنشائه نصيب."³

¹ دلائل الإعجاز، ص 262.

² المصدر نفسه، ص 70.

³ موقف عبد القاهر الجرجاني من الاستعارة: توفيق حمدي. أعمال ندوة - عبد القاهر الجرجاني - منشورات كلية

الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سفاقس، 1998.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

كما يفاضل بين تعبيرات استعارية وأخرى فيرى منها ماهو أعلى درجة من الآخر وأكثر جمالا وأشدّ بيانا فيقول في الاستعارة: اعلم أنّ من شأن الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد. أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العاميّ المتبدل، كقولنا: " رأيت أسدا، ووردت بحرا، ولقيت بدرا" والخاصيّ النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه أفراد الرجال، كقوله:

وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

أما عن فائدة الاستعارة فقد قال فيها عبد القاهر الجرجاني "فلاستعارة فائدة تتجلى في: أنك ترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية..." فلها إذن غايات تتعلق بالأثر النفسي وغايات منطقية، فالاستعارة توضيح للمعنى وتجسيد للمعنوي في صورة المحسوس، وكذلك هي تحميل للمعنى ووضعها في قالب يخفى على الكثيرين مما يستدعي إعجاب المتلقين به ووقوفهم عنده.

فالاستعارة إذن - عند عبد القاهر الجرجاني- أداة لتصوير العالم كما يراه المتكلم، يضيف عليه من تجاربه وخبراته وما اعتاد عيه في حياته، ولذا يجعل الجماد حيا والأعجم ناطقا، فهي خبرات بشرية يعيد الذهن بناء العالم وفق ما يعرفه.

وقسم عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة وقسم المفيدة منها إلى نوعين: أولهما "أن تنقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه متناولا له تناول الصفة مثلا للموصوف، وذلك كقولك: رأيت أسد وأنت تعني رجلا شجاعا، ورنّت لي ظبية، وأنت تعني امرأة، وأبديت نورا وأنت تعني هدى وبيانا وحجة، وماشاكل ذلك، فالاسم في هذا كله كما تراه متناولا شيئا معلوما يمكن أن ينص عليه، فإنه يقال عني بالاسم وكنتى به عنه، ونقل عن مسماه الأصلي فجعل اسما له على سبيل الاستعارة والمبالغة في الشبيه"¹ وهو ما اصطلاح عليه لاحقا بالاستعارة المكنية.

¹ ينظر: دلائل الإعجاز، ص 435-438.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

أما النوع الثاني أي الاستعارة التصريحية فقال فيها " أن يؤخذ الاسم عن حقيقته، ويوضع موضعا لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم، والذي استعير له، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائبا منابه" ومثاله قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وذلك أنه قد جعل للشمال يدا، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه، ويمكن أن تجري اليد عليه.¹

إن محاولة اللغويين العرب دراسة الأسلوب القرآني واستنباط مواطن الجمال والقوة فيه، وأدوات التأثير والإقناع، أفضت بهم إلى الوصول إلى نظرية بلاغية متكاملة، فكان تصورهم للدرس اللغوي متكاملا خاصة في مرحلة النضج مع عبد القاهر الجرجاني، حيث يوجد في كتاباته ما يبين تقدم الأبحاث اللغوية عموما وما تعلق بالاستعارة خصوصا: " وذلك حين يربطها بالمقام التداولي من جهة، وحين يقوم بتوظيف الحواس والطباع والنظر، والفكر، والتجربة في صناعة القول الاستعاري وتأويله من جهة أخرى، كما نجده في الدراسات الغربية المعاصرة ذلك أن الاستعارة عند العلماء العرب القدماء لم تكن زحرفا أو نقشا تأتي لتزيين الكلام، ولكنها فن لغوي تداولي يعطي للقول قوته الدلالية وإصابته النفسية تأثيرا وانفعالا واستحسانا.² ولم تعرف البلاغة العربية حالة من الركود والتراجع إلا في مرحلة اتسم فيها وضع الأمة الإسلامية كلها بالتراجع إلى الخلف. فبدأت البلاغة بريقا يتوق إليه الشعراء والخطباء للفت الانتباه إلى انتاجاتهم، وإبراز قدراتهم على تطويع اللغة بالتلاعب بألفاظها المسجوعة وعن طريق التربيع والتخميس وإلقاء القصيدة ذات الحروف المعجمة فقط وبناء القصائد عموديا وأفقيا دون أن يختل المعنى، وإهمال المضامين، فجاءت المعاني

¹ دلائل الإعجاز، ص 435-436.

² عندما نتواصل بغير-مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير. أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006، ص 114.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها البلاغية في مجالس التنظير

مبتدلة مكرورة وهشة. بمجرد نزع الأداة البلاغية عن النص الشعري أو النثري يبقى عاريا من أي قيمة، هذا من ناحية الإنتاج الفعلي للغة ومن ناحية الممارسة الواقعية، وقد لحق الركود الفعلي النقد والتنظير، فقولبت البلاغة في تعريفات جامدة، وحدود حدّت من قدرتها الابداعية، وحصرتها في زاوية الحدود والتقسيمات والتفريعات. ونجد ذلك واضحا في تعريفات السكاكي.

• الاستعارة عند السكاكي (626هـ): حدّها أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثبات للمشبه ما يخص المشبه به، كما تقول: في الحمام أسد وأنت تريد به الرجل الشجاع، مدعيا أنه من جنس الأسود لتثبت للرجل الشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بإفراده بالذكر، أو كما تقول: "إن المنية أنشبت أظفارها بفلان وأنت تريد السبع بادعاء السبعية وإنكار أن يكون شيئا غير السبع، فثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة، لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة."¹

ومع السكاكي تحولت البلاغة من الذائقة الفنية إلى الدقة العلمية. فأغرقت في الحدود والتصنيفات والنماذج المقيس عليها.

وبقيت الاستعارة خصوصا وكل الظواهر البلاغية عموما على هذه الحال حتى العصر الحديث، إذ بدا هناك تأثر واضح بإحياء البلاغة الغربية ومحاولة ربطها بما وصل إليه البلاغيون العرب القدماء، والإعلان عن البلاغة الجديدة: بلاغة الحجاج مع بيرلمان وتتيكا، Perlane Et Titika والاستعارة من منظور عرفاني مع لايكوف وجونسون Laykof Et Djonson.

¹ مفتاح العلوم: أبو بكر محمد بن علي السكاكي. ضبطه وكتب حوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ - 1987م، ط2، ص369.

3- الاستعارة عند أرسطو:

لأجل معرفة نظرة أرسطو للاستعارة لابد من الاطلاع على مقارنته لها في كتابي فن الشعر والخطابة، لتطرح فكرة مهمة وهي هل الاستعارة نفسها بين الشعر والنثر؟ يقول أرسطو في فن الشعر: " تكمن الاستعارة في إعطاء اسما يدل على شيء إلى شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل: إما من جنس إلى نوع أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو عن طريق القياس.¹

وترتكز الاستعارة بناء على هذا المفهوم على فكرة النقل والتحويل. وتنقسم إلى أربعة أنواع:²

1. من الجنس إلى النوع: مثل قولنا " هنا تقف سفينتي " فبين الإرساء والوقوف علاقة، والارساء نوع من الوقوف سمح بعملية النقل.

2. من النوع إلى الجنس: ويمثل لها أرسطو " لا ريب أن أوديسيوس قد قام بفعل عشرة آلاف عمل نبيل " فعشرة آلاف جنس من عدد كبير يدل على كثرة الأعمال النبيلة التي قام بها أوديسيوس.

3. من النوع إلى النوع: ومثل لها أرسطو ب " فليستل حياته بسيف من البرنز " وليقطعه بسيف من البرنز "

4. تحويل المعنى عن طريق القياس: وذلك عندما تكون أربعة حدود، بينها ترابط: علاقة الحد الثاني ب الأول أ كعلاقة الرابع د بالثالث ج، فإنه يمكننا أن نستعمل الرابع د. مثل: العشية ب بالنسبة للنهار أ هي كالشيخوخة د بالنسبة للحياة ج، وعلى هذا يمكن أن تسمى العشية ب شيخوخة النهار د+أ وتسمى الشيخوخة د عشية الحياة ب+ج.

¹ فن الشعر: أرسطو. تر: إبراهيم حمادة. مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت، ص186.

² ينظر: المصدر نفسه: 186-187.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنكير

يمكن أن نستنتج - انطلاقاً من هذه الأنواع والنماذج أن مفهوم الاستعارة عند أرسطو

يحيلنا إلى:

- أن الاستعارة تقتصر على الاسم فقط ولا تتعدى الجملة والخطاب.
- أن الاستعارة انزياح عن معان مألوفة، حيث يقوم الانزياح فيها على الحركة والمهاجرة من حقل إلى آخر.
- أن الاستعارة تقوم على فكرة الاستبدال.¹

3-1- بين التشبيه والاستعارة:

يقول أرسطو: " والتشبيه ضرب من المجاز إذ ثم فارق ضئيل جداً، فحين يقول الشاعر عن أخيلوس: " لقد وثب كالأسد" فهاهنا تشبيه، وإذا قيل: أسدا وثب فهذا مجاز، لأنه لما كان كل منهما شجاعاً، فقد نقل المعنى وسمي أخيلوس أسدا"²

ويفاضل أرسطو بين التشبيه والاستعارة ويمنح المزية للاستعارة، وممكن المزية في جمالها وإيجازها فيقول: " إن التشبيه... هو مجاز يختلف بإضافة كلمة، ولذا كان أقل امتاعاً لأنه أطول، إنه لا يقول إن هذا هو ذاك، حتى أن العقل لا يفحص هذا...."

3-2- وظيفة الاستعارة عند أرسطو:

نظرة أرسطو للاستعارة من حيث البنية كانت ذاتها في فن الشعر وفن الخطابة، إلا أنه حدد لها وظيفتين مختلفتين باختلاف النص وهما المحاكاة في الشعر والإقناع في الخطابة.

إن الدعائم الثلاثة لخطابة أرسطو، اللوغوس، والباطوس، والإيطوس، تؤكد أن التأثير بالقول يقوم على ثلاثة أصناف " إثارة الإعجاب، الإخبار والإقناع، التأثير".³

¹ ينظر: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، ص 13-20.

² فن الخطابة: أرسطو. تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، 1986، ط2، ص 204.

³ باتريك شاردو- دومينيك منغوتو: معجم تحليل الخطاب. تر: عبد القادر لمهيري وحمامي صمود. دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 491.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

فالاستعارة عند أرسطو بعد جمع هذه المعطيات، هي أداة يقصد إليها لتحقيق الغاية التأثيرية أو الإقناعية أو كليهما.

4- عودة البلاغة إلى مكانتها في العصر الحديث:

انحصرت البلاغة في زاوية التزيين والتنميق، وحسبت على أنها لباس يمكن إلباسه الكلام لأجل إخراجها في حلة جديدة ولا فرق بين وجوده أو عدمه إلا تلك الحالة الانباهرية التي يمكن أن تلحق بالمتلقي ولكن سرعان ما تصبح شيئا مألوفاً ولا يقف عنده أحد، وأنها من الاختيارات التي يلجأ إليها الشاعر حتى يضيء سمة الانبهار والدهشة على نضه، ولا حاجة لها في الخطابات الأخرى، إذ تعدّ عيباً وتشويهاً لعلميتها أو موضوعيتها.

لقد أصبحت البلاغة - حسب الفيلسوف الألماني والتر جيتز - ملكة العلوم الإنسانية قديماً وحديثاً أو هي إمبراطورية منفتحة على مجموعة من المعارف والتخصصات. وتعد أيضاً نظرية عامة للحجاج والتواصل حسب أوليفيه ريبول وشام بيرلمان.¹ ولها امتدادات واسعة تشكل لها ارتباطاً بمجالات معرفية متعددة وتخصصات كثيرة، فأصبحت البلاغة تحظى بمكانة كبيرة تجعلها عنصراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه في شتى المجالات العلمية أو التربوية أو الدينية أو الفلسفية أو الاجتماعية وفي كل العلوم ذات الطابع النظري أو التطبيقي.

4-1- الاستعارة آلية لتحقيق البعد الحجاجي:

إن الأثر الذي يريد المخاطب الحاقه بالمخاطب هو الإقناع، ويتحرى الأدوات والآليات لتحقيق هذه الغاية، ومن هذه الآليات، الآليات الاستعارية، ويجب العلم أن الاستعارة في الحجاج تختلف نوعاً ما عن الاستعارة فيما سواه "فالآليات الاستعارية في القول الحجاجي لا تقف عند حدود التمثيل أو المشابهة بين فكرتين أو موضوعين، بل قد تحول البناء الحجاجي بكامله إلى بناء استعاري يستدعي فيه المعنى الأول معنى ثانياً، اعتماداً على المقومات الأساسية في العملية الحجاجية (مقام ومستمع ومقتضيات تداولية) التي تشكل إلى جانب

¹ من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة: جيل محمداوي.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

الآليات الأخرى (لسانية منطقية تداولية) هيكل الخطاب الحجاجي...¹

فاعتبار الحجاج قائما على البعد العقلاني، تضيق من مجال الحجاج فالبعد العاطفي والوجداني والتخييلي دور أساسي في عملية الإقناع وقد يكون في سياقات مخصوصة أكثر تأثيرا وأنفذ حجة، وأقدر على استمالة القلوب وتغيير تصوراتنا أو تشبيتها.²

وقد أعاد برلمان وتتيكا إحياء البلاغة الأرسطية في بعدها الإقناعي والذي ينأى بها عن الزخرف والتنميق، في كتابهما الوجيز في الحجاج -البلاغة الجديدة³ فيعتبر الصورة الحجاجية "ذات وجه مغاير، إذا كان استعمالها اعتياديا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض. أما إذا لم يهدف الخطاب إلى طلب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، فإن الصورة ستصبح مجرد محسن بديعي، لا تتعدى أن تكون مصدر إعجاب أو استساغة الخطيب."⁴

ووسع برلمان من دائرة الاستعارة فلم يصرها في الأدب أو الخطابة ولكنها موجهة إلى الجميع، فلا يرى البلاغة مجرد شيء زائد وأقل يقينية، وأنها لا تتوجه إلا إلى السذج والجهلة متوجها بهذا النقد إلى أفلاطون وأرسطو في الوقت نفسه، فلم يعاد البلاغة التي تقوم على الرأي DOXA وتروم تعبئة الجمهور عوض إنتاج المعرفة كما فعل أفلاطون، كما أنه لم يضيق من دائرة البلاغة لكي تصبح أحد أجناس الخطاب الثلاثة:السفسطة، والخطابة، والجدل. بل إن هناك مجالات أخرى كمجال الحجاج الديني وحجاج التربية الأخلاقية أو الفنية، والحجاج الفلسفي والحجاج القانوني، حيث لا يمكن للحجاج إلا أن يكون بلاغيا، إذ لا يمكن للاستدلالات الصالحة في المنطق الصوري أن تطبق في الحالات التي لا تتعلق الأمر

¹ عندما نتواصل نغير، ص121.

² الاستعارات التصويرية وتحليل الخطاب السياسي: محمد الصالح البوعمراني. دار الكنوز للنشر والتوزيع، 2015م، ط1، ص91.

³ مؤلف مشترك بين رجل القانون التشيكي شام برلمان واللسانية البلجيكية أولبرخت تتيكا سنة .

⁴ Chaim perelman: la nouvelle rhetorique. presses universitaires de France ,paris , 1985 ,p229

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها البلاغية في مجالس التنظير

فيها بالأحكام الصورية الخالصة ولا بالقضايا ذات محتوى يمكن الحسم فيه باللجوء إلى التجربة.¹

4-2- الاستعارة عند لايكوف (من منظور البنية التصويرية):

إننا نقف هنا أمام فرضيتين اثنتين:

● الفرضية الأولى: تفكر + قالب تركيبي + مجاز (اختياري)

● الفرضية الثانية: تفكر بالمجاز

من منظور الفرضية الثانية نستبعد المفهوم الشكلي الذي تقوم عليه الفرضية الأولى، فتصبح الاستعارة قائمة على التجربة والتفاعل بين القدرات الذهنية والحسية، "فإن جزءاً هاماً من تجاربنا وسلوكياتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته. وإذا كان الأمر كذلك، فإن نسقنا التصوري يكون مبنياً جزئياً بواسطة الاستعارة وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من حقائق أصيلة، بل تكون هي نفسها حقائق بصدد الفكر البشري والنسق التصوري البشري."² فالاستعارات -خلافاً- لما يعتقد الناس ليست منصبة على الألفاظ بل هي متجددة في الأفكار، ولهذا حضورها دائم ومستمر في حياتنا اليومية البسيطة وحياتنا العملية المعقدة، في خطاباتنا وحواراتنا على تنوعها وتنوع متلقيها "إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس."³ وهذا ما يمنح استعاراتنا صفة التعقيد التي يستحيل معها أن تعالج وفق المقاربات البلاغية المدرسية، لأنها تجاوزت اللفظ لتكون عمليات ذهنية معقدة متصلة بتجاربنا وسلوكياتنا وثقافتنا...

¹ ينظر نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون: عبد العزيز لحويديق. كنوز المعرفة، عمان، 2015م، ط1، ص227-228.

² الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف ومارك جونسون، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009، ط2، ص12.

³ المصدر نفسه، ص21.

الفصل الثالث.....(القول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنظير

إنّ تبني الفرضية الثانية يجعل البحث في مجازات ابن باديس بحثا في تفكيره. فنغوص من خلالها وبها في أفكاره وأهدافه، يمثلها هذه الفرضية الأزهر الزناد بـ "أداة إخراج سينمائي ابتدعه الذهن البشري قبل أن يكتشف الإخوة لومبار التصوير الفوتوغرافي فالتطبيعي سابق على الصناعي في الوجود دائما"¹ والذهن هو مجموعة الوظائف الدماغية المعالجة للمعلومات على صورة طبيعية. هذه المعلومات التي تتمثل في المدخلات اليوية التي يعيشها الإنسان في شكل تجارب حياتية يستخدم فيها كل حواسه، فيخزنها الدماغ مجتمعة لا انفصال بينها ويقوم بمعالجتها لتتجسد في شكل استعاري، فتفكيرنا إذن استعاري، "² لأن الاستعارة ليست مظهرا لغويا صرفا، بل تكون مظهرا ثقافيا عاما تتأثر به اللغة كما تتأثر به سائر المظاهر الأخرى مثل السلوكيات والأنشطة التي نباشرها.

فالاستعارات التي ننطق بها تعكس على نحو شفاف رؤيتنا للعالم، وطريقة تفكيرنا فيه.³ انطلاقا من هذه الفكرة سعت نحو البحث عن فكر ابن باديس بالبحث في استعاراته، "فالاستعارة ليست مجرد زينة أو زخرفة للكلام، كما أنها ليست حكرا على النصوص الأدبية، بل هي أداة أساسية لفهم العالم والتفكير فيه والتحدث عنه..."⁴ لم تعد الاستعارة حكرا على مجالي الأدب والبلاغة بل أصبحت موضوع اهتمام علماء النفس، وعلماء الاجتماع، والانتربولوجيين، والمناطقية، والسينمائيين، والتشكيليين، ومؤرخي الفلسفة والعلوم الدقيقة. ولعل ذلك يرجع إلى كون الاستعارة تعد جزءا من البنية التصورية للإنسان، إذ من خلالها يدرك العالم، ويتفاعل معه.⁵ فالاستعارة في كلامنا فعل غير اختياري نلجأ

¹ فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو: الأزهر الزناد. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الاختلاف، الجزائر، 2010، دط، ص178.

² الاستعارات التي نحيا بها، ص12.

³ الاستعارة في الخطاب: إلينا سمينو. تر: عماد عبد اللطيف، خالد توفيق. المركز القومي للترجمة، 2013، ط1ص11.

⁴ الاستعارة في الخطاب، ص11.

⁵ الاستعارات التي نحيا بها، ص5.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنظير

إليها لنقيس مالا نعرف على ما نعرف، فنلبس المجهول لباس المعلوم، ولكن لكثرة التداول والاستعمال، لا ندرك أننا نوظف المحاز في كلامنا اليومي وفي خطاباتنا الرسمية والتعليمية وليست الاستعارة حكرا على كتابات الشعراء والمبدعين، ولأنها فعل غير واع في كثير من الأحيان فهي أداة تعكس العالم الذي ينتمي إليه المتكلم فهي " الأداة الأساسية التي بها تتمثل المفاهيم المجردة وبها نفكر، وهي لذلك متجذرة في الذهن وما جرياتها في اللغة إلا وجه من وجوه تحققها، فالاستعارة مفهومية بالأساس وليست لغوية. والنظام المفهومي استعاري وغير استعاري، والاستعاري منه متجذر في القسم غير الاستعاري ذلك أننا تتمثل المجردات على أساس المحسوسات.¹

وارتباط البحث الاستعاري عند لايكوف وجونسون -ومن ذهب مذهبهم-، بالخطاب السياسي، لا يعني جعله حكرا عليه، فيقول البوعمراني: "إن الخطاب السياسي خطاب متخن بالاستعارة- أو هو ترسانة استعارية كما وصفه لايكوف - لكن الاستعارة ليست حكرا على الخطاب السياسي فحسب، فالاستعارة حسب العرفانيين هي ليست لباسا نختاره لنحلي به خطاباتنا ولكنه طريقة فهمنا للعالم، هي خلاصة تلك العلاقة الجامعة بين كل المدخلات اليومية الجديدة والقديمة، لذلك فنحن نفكر بها ولا نختارها هي حتمية في كل خطاباتنا مهما تنوعت تصنيفاتها المنهجية، ربما يكمن الاختلاف في مدى جذب الاستعارة لآذان ووعي المتلقي، بين قديمة مستهلكة أصبحت لا يلاحظ عليها أنها استعيرت من حقل إلى آخر أو حسب اصطلاح العرفانيين من مجال مصدر إلى مجال هدف، وبين استعارة تولد فعل الانبهار لدى المتلقي..

وإن التفكير الاستعاري (أو التفكير بواسطة الاستعارة) ليس جيدا ولا سيئا في ذاته، إنه ببساطة شيء مألوف واعتيادي ولا محيد عنه. فالمجردات والأوضاع المعقدة أو الملتبسة تُفهم عادة بواسطة الاستعارة. والحق أن هناك نسقا استعاريا هائلا وغير واع، في الغالب

¹ نظريات لسانية عرفانية: الأزهر الزناد. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الاختلاف، الجزائر، دط، دت،

الفصل الثالث.....(القول الاستعاري وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

نستعمله على نحو آلي و"طائش" لفهم الأشياء المعقدة والمجردة"¹

إنَّ تجربتنا الجسدية والاجتماعية وطريقة استخدامنا لآليات الخيال تبدو، ضمن هذه الرؤية محورية في طريقة بناء المقولات من أجل إنتاج المعنى.² " فمركزية الاستعارة في النظرية الدلالية العرفانية يعود أساسا إلى مركزيتها في إدراك المعنى وفهم الإنسان لنفسه وتمثله الوجود من حوله، وبناء أنساقه الرمزية والدينية والفنية والاجتماعية وغيرها، بل ومركزيتها في التفكير البشري، فهي ليست موضوعا للتفكير فحسب بل هي أدواته وآلته، وهذا ما جعلها تلعب دورا أساسيا في بناء الخطابات الثقافية المختلفة التي ينتجها الإنسان.³ واللغة لا تنفصل عندهم عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة. والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي، يتأثر، بلا شك، بكيفية إدراكها. فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة.

نحن -إذن- نعيش في عالم استعاري، يستعير فيه المتكلم من ميدان يعرفه ويدركه - لأن الإنسان يقيس على ما يعرف- ليحسده في ميدان آخر، أما آلية اكتشاف الميدان المستعار فتكون بتتبع الكلمات لأن المتكلم المتزن له وحدة في تصوره، فالاستعارات أصبحت كاشفا عن البنية التصورية.

إن التخاطب الناجح يتوقف على إدراك معنى الاستعارة وضمانياتها التداولية. ويكون للاستعارة قوة تحريكية عندما يفهم المخاطب المعنى وضمانياته التداولية في إطار المرجعية التي قيل فيها، فيتوقع ويستنتج انتظارات المتكلم.

¹ الاستعارات التي تقتل: جورج لايبكوف. تر: عبد المجيد ححفة وعبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص19.

² إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معربة بإشراف عز الدين

مجدوب. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، 2012، دط، ج1، 317

³ الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ص13.

المبحث الثاني: الاستعارة الكبرى الحياة رحلة في مجالس التنكير

السعي نحو التغيير:

إذا كان التغيير والتقلب من حال إلى حال هو طبيعة بشرية، تحكمها تحولات في الرؤية إلى الأمور والأشياء، إذ تنتج هذه التحولات من تغيير مفاهيم الإنسان للحقيقة والوجود والذات والآخر والعالم والتجربة واللغة والعقل والتمثل....إلخ.

فإذا افترضنا أن تغيير مفهوم الإنسان للعالم ولكل ما يتصل به وما يوجد حوله يتم عبر تغيير مجازاته التي بها يتمثل هذه المفاهيم، فإن ابن باديس نقل رؤيته المغايرة للعلاقات إلى المجتمع عبر المجاز، وإن سلمنا أن رؤيته مغايرة إذن فالبنية التصورية غير مشتركة بينه وبين مجتمعه مما يستبعد تحقق التواصل الإيجابي¹.

قد توفرت ظروف التغيير لابن باديس فسعى لتجسيده في المجتمع الجزائري عن قصد وبوعي انطلاقا من برنامج مسطر لتحويل علاقته والمجتمع بالأشياء المحيطة به هذا التحول يتحقق على مستوى الذهن ليتجسد في الواقع، إذن فالمغايرة بينه وبينهم تتمثل في أسبقية التحول وليس في أنه مغاير لهم، والواقع أفضل دليل على ذلك فالتواصل قد تحقق فعليا وثماره أتت أكلها في الواقع.

لكن عملية التحويل تستلزم مبدعا ولربما يقف القارئ أمام لفظة المبدع ليقول: هل ابن باديس مبدع؟ -الإبداع في الشعر وليس في التفسير-.

إن الإبداع لا يقف عند الشعراء كما أن الاستعارة ليست حكرا لهم، وإذا آمننا بالفرضية القائلة أننا نفكر بالمجاز فابن باديس مثله مثل بقية الشعب الجزائري -وكل إنسان طبعاً- يفكر بالمجاز تفكيراً غير واع وتلقائي وعن غير قصد تتشاكل فيه البنى المختزنة في الدماغ لتبين ما لم نعرف ليصبح معروفاً، ولكن العالم يجد نفسه ضمن عالم من الخصوصية

¹ مجازات بما نرى - كيف نفكر بالمجاز-: أحمد علي الديري. ص33.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

يراعي فيه من يتلقى المعلومات التي يقدمها، ولذلك يزاحم الوعي اللاوعي والقصد غياب المقصدية، فيكون بذلك مبدعا في تحيّر المجالات المصدر الملائمة للمجالات الهدف لأجل تحقيق التحول، إذ "البراءة تكاد تنعدم في اختيار المتكلم للمفردة في خطابه، وتتعدّد هذه القضية أكثر إذا تعلّق الأمر بالنص المكتوب الذي يجبر صاحبه على توخي الدقة والصرامة في اختيار المفردات، إذ تكون هذه الأخيرة مشحونة بدلالات ضمنية يسكت الكاتب عن التصريح بها." ¹ ففي واقع الأمر يوجد دليل واضح على أنّ العلماء يستخدمون الاستعارة بوعي كامل من أجل تطوير أو تنظيم الأفكار بشكل مبتكر ومبدع ². " ويوجد اتفاق بين العلماء والباحثين على إمكانية استخدام الاستعارة كوسيلة تعليمية Educational Tool. فلا شك أنّ قدرة الاستعارة على نقل المعلومة أو الصورة من المجال الأصلي إلى المجال المستهدف يمكن استغلالها لتوضيح بعض المظاهر غير المعتادة للطلاب، عن طريق الحديث عن ظواهر أخرى تعودوا عليها" ³.

إذن، ابن باديس بمدخلاته التي هي بالضرورة تفوق مدخلات الأغلبية من أبناء شعبه إضافة إلى المدخلات المشتركة بينهم تمكّن من تغيير رؤيته للعالم، طبعاً دون إغفال الإمدادات الربانية والفتح الذي يمن الله به على من يشاء من عباده، فقد استخدمه الله ليسعى جاهداً لحمل المجتمع الجزائري إلى التغيير معه، لأن حركة المجتمع نحو التغيير تتجه في اتجاه سلبي وتأخذ منحى سلبياً، فحسد الأهداف وقولها في مصادر معروفة لدى المجتمع من خلال المجاز فاستطاع أن يغير الاتجاه إلى المنحى الإيجابي.

¹ الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب -دراسة تداولية- ص 182.

² المرجع نفسه ص 292.

³ الاستعارة في الخطاب، ص 322.

1- محاولة الكشف عن النظرة الاستعارية الشاملة التي تمثل بنية فكر ابن باديس

للوواقع.

ولتحقيق ذلك سنستند في منهج مقاربتنا إلى الإقرار مبدئياً بأن الاهتمام بالاستعارة هو اهتمام قبل كل شيء بالذات البشرية، فهي تحمل كل ممارساته الاجتماعية والإيديولوجية والثقافية، وتعكس تفكيره وتمنح له نسقا لفهم الأشياء وطريقة اشتغالها ذلك أن الأمر هنا أعمق من أن يقتصر على أنها مجرد زخرف لفظي أو وسيلة مجانية ما دامت الاستعارة لا ترتبط بالجانب اللفظي أو اللغوي فحسب بل تقترن بالذهن وبالعلاقات الفكرية والتخمينية التي يقوم بها كل من المتلقي والمستمع.

1-1- الاستعارة البنيوية:

هي أن يبين تصورا ما استعاريا بواسطة تصور آخر. ومثال ذلك فهم المناظرات بتصور الجدل-حرب، ويعكس هذه الاستعارة في لغتنا اليومية عدد كبير من التعبيرات:¹

✓ لا يمكن أن تدافع عن ادّعاءاتك

✓ لقد هاجم كل نقاط القوة في استدلالاتي

✓ لم أنتصر عليه يوما في الجدل.

وبهذا تكون الاستعارة البنيوية آلية استدلالية نتوسل بها لفهم مجال بمجال آخر أكثر بنية وتجذرا في نسقنا التجريبي الثقافي.²

بعد القراءة المنهجية لتفسير ابن باديس وبعد تتبع توظيفاته الاستعارية، وصلت الدراسة إلى أن الاستعارة الكبرى في تفسيره هي الحياة- رحلة وهذه نماذج توضيحية تبرز ظهور الرحلة وما يتعلق بها في بنيته التصورية.

¹ الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف وجونسون، ص22.

² نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، ص269.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

الحياة رحلة: فهو حين يذكر الحياة بينينها في شكل مسار حرفيا وليس تخيليا أو بلاغيا، فهي تبينت في ذهنه هكذا ويتصورها هكذا، وهناك مجموعة من الحقول الدلالية تسيّر الرحلة تستند إلى خطاطة الطريق:

■ فلا نجاة لهم من المهالك والمعاطب، ولا وصول لهم إلى السعادة في دنياهم وأخراهم، ومغفرة خالقهم ورضوانه، إلا باقتفاء آثاره والسير في سبيله.¹ حضور الصحراء في تصوره للرحلة

■ فمهد لذلك بالآيات الثلاث الأول للترغيب فيه

■ وتردهم الرد الجميل عند السؤال²

■ دوام الغفلة صدأ القلوب وصقالها هو التذكير³

■ والصبر خلق من الأخلاق التي تتربى وتنمو بالمران والدوام⁴

■ لا نجاة لنا من هذا التيه⁵ فكل الرحلات القصصية لا تخلو من التيه والإضاعة

الطريق، ولا بد من توفر يد مساعدة للرجوع إلى الطريق ومتابعة الرحلة من أجل النجاة.

■ وكذلك الإنسان في طريق هذه الحياة محتاج إلى قوة المال.⁶

■ وكلها إن سلكت بعلم وحكمة وإحسان وعدل كانت سبل سلامة ونجاة، وإلا

كانت سبل هلاك، فيحتاج العبد فيها إلى إرشاد وتوفيق من الله.⁷

¹ مجالس التذكير، مج1، ص121.

² المصدر نفسه، مج1، ص227.

³ المصدر نفسه: مج2، ص163.

⁴ المصدر نفسه: مج2، ص121.

⁵ المصدر نفسه، مج2، ص48.

⁶ المصدر نفسه، مج1، ص213.

⁷ المصدر نفسه، مج1، ص114.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

إن استعارة الحياة- رحلة استعارة معممة على الدماغ البشري، هي استعارة تملك قوة حضور في كل خطاباتها متجاوزة الزمن والثقافة والمكان، فهي متجددة في اللاوعي البشري. وتفسيره ملازمة فعل الانطلاق- الوصول لكل تفاصيل حياة الإنسان، فلجأ بسرعة لأقرب ميدان نعرفه وندرك كل تفاصيله نستعيه لنقول فيه مدركاتنا الجديدة.

والرحلة التي نعرفها لا تخلو من الصراعات والحروب، والمشاكل والمطبات وظهور الأعداء، فيستعير للحياة ومشاكلها ألفاظا من حقل الحرب ونتائجها.

الحياة - حرب:

■ رأى بعض الناس المدينة الغربية المسيطرة اليوم على الأرض- وهي مدنية مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان.....¹

■ وقال واصفا الظالم يوم القيامة: "وفي وقت الحسرة والندامة، فلم يجد منهم نصرا ولا معونة...."²

■ وقال متحدثا عن علاقة الملك برعيته ".....لايرعى من العهود في الغالب إلا ما لا يعارض مصلحته، أو تلزمه بمراعاته قوة خصمه."³

■ وليطبق مايسمعه على نفسه، وليجاهد في تنفيذه على ظاهره وباطنه.⁴

■ وناصرنا ينصرك على أعدائك.⁵

■ أهلا للدفاع عن الحق وحزبه.....مدافعة الباطل⁶

¹ مجالس التنزيير ، ج1، ص399.

² المصدر نفسه ، مج2، ص38

³ المصدر نفسه، مج2، ص195

⁴ المصدر نفسه، مج2، ص174

⁵ المصدر نفسه، مج2، ص50.

⁶ المصدر نفسه، مج1، ص346

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

■ أصبح الحق غالبا والباطل مغلوبا.¹

■ قد ضرب الأمن رواقه عليهما.²

■ فلم يجد منهم نصرا ولا معونة³

ولأن الحياة الرحلة فهي تستدعي تحضير الزاد والمؤونة وأدوات الدفاع تحسبا للصراعات والحروب التي يواجهها الإنسان في رحلته.

زاد الرحلة:

الغذاء والدواء:

■ الحكمة هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن، المبني على ذلك العلم.⁴

■ والأعمال المستقيمة والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد.⁵

■ فيغدو لايفرق بين اللب والقشور.⁶

■....وجوهرا طيبا زكيا.⁷

■....والعذاب المنوع الذي ندوقه⁸

■....فحرموا ثمرته.⁹

¹ مجالس التذكير ، مج1، ص349

² المصدر نفسه، مج1، ص357.

³ المصدر نفسه، مج2، ص38

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص137.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص137.

⁶ المصدر نفسه ، مج2، ص33

⁷ المصدر نفسه، مج2، ص34.

⁸ المصدر نفسه، مج2، ص48

⁹ المصدر نفسه، مج1، ص350.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

- فالكتاب والسنة فيهما البيان الكافي الشافي للجدال بالتي هي أحسن، كما فيهما البيان الشافي الكافي للحكمة والموعظة الحسنة.¹
- الإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب.²
- الإيمان هو التصديق الصادق المثمر للأعمال.³
- ثم إن القول إنما هو عنوان ما في الضمير، ولا يكون كريما شريفا إلا إذا كان عنوانا صادقا، حسن مظهره ومخبره، وعذب جناه، وطاب مغرسه، وماثمارة إلا معانيه، وما مغرسه إلا القلب الذي صدر عنه.⁴
- الإقلاع عن الظلم والفساد.⁵
- فليحذر الإنسان من هذين الوصفين الذميين، وليعمل على اجتنبهما واجتثاها من أصلهما.⁶
- فرط قوم فأهملوا الاستشفاء بالذكر المأثور⁷
- نتناول القرآن الكريم دواء من عند ربنا، شفاء لأمراض عقولنا، وأمراض نفوسنا، وأمراض مجتمعتنا...⁸
- وهذا أمر قريب على من قرّبه الله عليه، ميسر على من توكل على الله فيه، وقد بدت

¹ مجالس التذكير ، مج1، ص147

² المصدر نفسه، مج1، ص310.

³ المصدر نفسه، مج1، ص374.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص200.

⁵ المصدر نفسه، مج1، ص309.

⁶ المصدر نفسه، مج1، ص365.

⁷ المصدر نفسه مج1، ص360

⁸ المصدر نفسه، مج1، ص361.

■ وما يزال الإنسان يكتشف منها حقائق مضت عليها أزمان وهو يعدها من المحال، ويجتني منها فوائد ما كانت تخطر له في أحقابه الماضية على بال.²

■ كان يستشهد بالعقل، ويعتضد بالعلم ويستنصر بالوجدان³

■ شرع الله لعباده بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله ما فيه استنارة عقولهم وزكاة نفوسهم واستقامة أعمالهم، وسماه سبيلا ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى. وأضافه إلى نفسه ليعلموا أنه هو وضعه، وأنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه.⁴ إن في هذه الفقرة حوصلة لتصور ابن باديس لرحلة الإنسان بمحطاتها المختلفة، وتبيان لمصدر تصوره وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة.

■ الجمل لا يقطع الطريق ويصل إلى الغاية إلا إذا حافظ صاحبه على ما فيه من قوة فسار به سيرا وسطا.

أما إذا أجهده واستترف قوته فإنه يسقط كليلا محسورا، فلا قطع طريقه ولا وصل متزله، ولا أبقى جملة.

فكذلك الإنسان في طريق هذه الحياة محتاج إلى قوة المال، فإذا أنفقه بحكمة نفع به وانتفع، وبلغ غاية حياته هادئا راضيا، وإذا بسط يده فيه كل البسط أتى عليه فانقطع النفع والانتفاع، ولم يبلغ غاية حياته إلا بأتعاب ومشاق.⁵

¹ مجالس التذكير، مج2، ص48.

² المصدر نفسه، مج2، ص253.

³ المصدر نفسه، مج1، ص124.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص135.

⁵ المصدر نفسه، مج1، ص231.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

نلاحظ من هذه النماذج والعينات المقتبسة من مجالس التذكير مدى الانسجام بين الاستعارات مشكلة صورة متكاملة عن تصور الحياة في ذهنه يعيشها من خلال استعارة الحياة رحلة مليئة بالصراع نحتاج فيها إلى الامدادات الخارجية بشرية أو مادية من أجل الوصول بأمان. " فالإنسان يتوقّع ويفهم ويفسّر ويتخيل ويستبصر ويستنتج ويتأمل عبر المجازات ونسبها. فالمجازات تمنحه القدرة على التصرف والتوسع والتخيل ليشيد صورة مركبة لا مبسطة لما يحدث في واقعه.¹

1-2- الاستعارة الاتجاهية ودلالاتها:

يقصد بها نسق كامل من التصورات المتعاقبة ذات التوجه الفضائي القائمة على تجربة الفرد الفيزيائية والثقافية. فالاستعارة على ضوء هذا النمط تنتظم في إطار توجه فضائي من قبيل: عال، مستفل، داخل، خارج، أمام، وراء، فوق، تحت، عميق، سطحي، مركزي، هامشي. إلا أن هذا التوجه الفضائي الناظم لهذا النوع من الفهم الاستعاري، ينضبط لقواعد تجريبية وثقافية تمنحه الانسجام والقصديّة، وتناهى به عن مجال التنافر والاعتباطية. ولهذا فقولنا السعادة فوق هو الذي يرر قولنا: "أحس أنني في القمة اليوم. وهو الذي يضيف على مبدأ الاستعلاء قيمة السعادة والفرح على سبيل التعميم داخل نسق ثقافي معين لا يتصور فيه أن تكون عبارة من قبيل "ارتفعت معنوياتي" أي حزين"

إن الاستعارات الاتجاهية كهذه ليست اعتباطية، وتوجد مرتكزاتها في تجربتنا الفيزيائية والثقافية. ورغم أن التقابلات الثنائية بين فوق وتحت أو بين داخل وخارج،... لها طبيعة فيزيائية فإن الاستعارات الاتجاهية التي تنبني عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى.²

يقف هذا الاختلاف على ما يحيط بالإنسان من فزيائي-ثقافي، فمثلا ثنائية (تحت-فوق) تحتكم إلى تصور استعاري من تجربتنا الفيزيائية الثقافية وحتى الدينية فكل ما هو خير

¹ مجازات بما نرى -كيف نفكر بالمجاز-؟ علي أحمد الديري، ط 1، 2006، ص8 (تقديم محمد الزهراني)

² الاستعارات التي نحيا بها، ص33

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنكير

وجميل فهو فوق وكل ماهو سيء ومظلم ومخيف تحت. ومن التصورات الاستعارية المرتبطة بالفضية التي أوردها لايكوف وجونسن:¹

• السعادة فوق والشقاء تحت

• الوعي فوق ولاوعي تحت

• الصحة والحياة فوق والمرض والموت تحت

• الهيمنة والقوة فوق الخضوع والضعف تحت

• الأكثر فوق والأقل تحت

• النخبة فوق والأغلبية تحت

• الجيد فوق والرديء تحت

• الفضيلة فوق والرذيلة تحت

• العقلاني فوق والوجداني تحت

"إن جل تصوراتنا الأساسية منظمة تبعا للاستعارة أو مجموعة من الاستعارات ذات التوجه الفزيائي.

إن لكل استعارة فضائية نسقية داخلية، فاستعارة السعادة فوق تحدد نسقا منسجما من الاستعارات، وليس مجموعة من الحالات المعزولة أو الصدفوية. فالنسق سيفقد اتساقه، لو كانت جمل مثل "إنني في القمة " تعني أنا سعيد، في حين تكون جملة من قبيل "ارتفعت معنوياتي" تعني أنا حزين.

وهناك نسقية خارجية شاملة لمختلف استعارات التفضية، وهذه النسقية تحكم الانسجام الحاصل بين الاستعارات، هكذا تعطينا استعارة الجيد فوق توجهها نحو الأعلى

¹ ينظر: الاستعارات التي نخبها، ص32-36

الفصل الثالث.....(القول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

داخل فكرة الرفاه والسعادة، وهذا التوجه ينسجم مع حالات خاصة مثل السعادة فوق، والصحة فوق، والحياة فوق، والنفوذ فوق. كما أن استعارة النخبة فوق تنسجم مع استعارة النفوذ فوق.¹

تظهر الاستعارات الاتجاهية في مجالس التذكير أبعادا فكرية وثقافية انطلاقا من التوجه الفزيائي، فهذه الاستعارات الاتجاهية ليست اعتباطية ولا عفوية ولكنها جزء مما في الدماغ، وتصوير مدخلاتها المتعددة التي لا انفصال بينها.

وهذه نماذج توضح التفضية في مجالس التذكير وخلفياتها الفكرية والدينية:

● السعادة فوق والشقاء تحت:

- فعبادة ربه يكمل فيرقى في مراتب الكمال، ويدنو من الملاء الأعلى....²
- أهل الغرف هم أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة في الجنة بهذا المقدار من البعد.³
- وينحط بأفراده إلى أسفل الدرجات.⁴
- أحوال اهل الحق وما يكونون عليه من تمسك به وقيام فيه، أو إهمال له وعود عنه، فيدال لهم، ويدال عليهم بحسب ذلك.⁵
- لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية.⁶

■ إن الأرواح النورانية الطاهرة السامية لا لذة لها حقيقة في هذا العالم الفاني المادي المنحط، وإنما لذتها الحقيقية في عالمها العالي الأقدس، وفي الرفيق الأعلى الاظهر، وفي معاشره

¹ الاستعارات التي نخبها، ص 37

² مجالس التذكير، مج 2، ص 186.

³ المصدر نفسه، مج 2، ص 178.

⁴ المصدر نفسه، مج 1، ص 218.

⁵ المصدر نفسه، مج 1، ص 350

⁶ المصدر نفسه، مج 1، ص 156

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

أمثالها من النفوس الطيبة الزكية وفي ذلك القدس الأسنى، فهي دائمة الشوق إليه والانجذاب نحوه.¹

■ وكما أن من عدل عن الإسلام ولم يسلك سبيله وقع في ضلال الكفر، كذلك من عدل عن السنة ولم يسلك سبيلها وقع في ضلال الابتداع.²

والملاحظ أن الاستعارة الاتجاهية القائمة على الثنائية: فوق/تحت لا تقوم فقط، بترتيب كلامنا ومنحه المرونة الضرورية، بل تقوم، كذلك بتنظيم أعمالنا ومعتقداتنا: فالموتى مثلا يدفنون تحت ةتصعد أرواحهم فوق. وآدم حين ارتكب المعصية جاءه الأمر الإلهي الصارم بالترول إلى تحت، والأعلام تنكس في النكبات، وترتفع عاليا عند السعادة والنصر... إلخ، لذلك تتعدى الاستعارة اللغة إلى مجال أوسع هو مجال الفكر الذي يتحكم في لغتنا وأعمالنا.³

تظهر صورة القرآن واضحة في جعل السعادة فوق والشقاء تحت، فسعادة المسلم ليست في الدنيا والتي مستقرها الأرض، وسعادته الحقيقية في الجنة ومستقرها العلو والارتقاء.

وحتى السعادة الدنيوية لا تعد سعادة عند المسلم إلا إذا كانت متصلة بالأعلى، وإلا فهي شقاء. وفي هذا اتفاق ضمني بين أغلب الثقافات على وضع الجيد في الأعلى أو في القمة، والسيء في الأسفل.

¹ مجالس التذكير ، مج2، ص222-223.

² المصدر نفسه، مج2، ص39.

³ بنيات المشاهدة في اللغة العربية -مقاربة معرفية: عبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001،

• الداخـل جيد والخارج سيء:

تشير هذه الاستعارة إلى خطاطة الوعاء " الذي يتضمن ثلاثة عناصر تكوينية رئيسية: داخـل وخارج وسطح فاصل. ويستخدم المخطط لصياغة مفاهيم مجموعة كبيرة من الكيانات (مثل أجسادنا)، والنتائج الرئيسة لتطبيقاتها هي عمل تقابل بين ماهو في "الداخـل" وماهو "في الخارج". ولهذا المخطط تطبيقات محددة في الحقل السياسي، حيث يتم إنشاء الجماعات والمؤسسات والدول تحديدا بشكل تقليدي كالأوعية، وبذلك يتناظر الانتماء إلى الجماعة أو مؤسسة أو دولة... مع الكينونة في الداخـل وعدم الانتماء مع الكينونة في الخارج. وهذه النماذج من مجالس التذكير توضح انسجام هذه الخطاطة واطرادها مع أفكار ابن باديس:

■ وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد، وبعد عن الأدب.¹

■ فقد ترى الخير وتدعى إليه فيصرفك عنه.²

■ فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم، والتعمق في البحث.³

من المعروف في الثقافة الإسلامية التي تبين تفكير ابن باديس إضافة إلى الثقافة الجزائرية، أن الداخـل أمان والخارج معرض للمهالك، فالداخـل في الجماعة محمي بها والخارج عنهم ضال، لأن يد الله مع الجماعة، فنجد هذه الاستعارة الاتجاهية متكررة (الداخـل-الخارج) فتجعل من الخروج خروجا عن الحق والرجوع عودة للصواب.

¹ مجالس التذكير، مج1، ص108

² المصدر نفسه، مج2، ص40.

³ المصدر نفسه، مج2، ص20.

● القريب جيد والبعيد سيئ:

■ جلب الخير له ودفع الشر عنه.¹

المرتكزات الفيزيائية لهذه الأبعاد الاتجاهية تبين أن كل جيد هو فوق وكل سيئ هو تحت، كل جيد قريب وكل سيئ هو بعيد، كل جيد هو في الداخل وكل سيئ هو في الخارج. فإن استعارة مثل هي دائمة الشوق إليه والانجذاب نحوه.² هذا الانجذاب نحو الأعلى يعتمد على مرتكز فيزيائي ثقافي، فالجنة في الأعلى والإسراء تكريم وتشريف لرسول الله ﷺ، واليد العليا خير من اليد السفلى، والإمام يقف في علو أعلى من المأمومين في آدائه الخطبة، والوحي يأتي من الأعلى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [حجر 9] هذه المرتكزات وغيرها أدت إلى تحقق هذه الخطاطة الذهنية - فوق أفضل من تحت-

وهذا نص من مقال " الآية الخامسة وهي 19 من سورة النمل ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾، يجمل الاستعارات الاتجاهية ودلالاتها، ويقول: " وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين: اجعلني معهم، وأكمل الصالحين الأنبياء والمرسلون - صلى الله عليهم وسلم أجمعين. -

وتحقيقه: أن الصالحين بما امتازوا به من كمال صاروا كأنهم في حمى خاص بهم لا يدخل عليهم فيه إلا من كان مثلهم، فلهم مقامهم في الرفيع الأعلى، ولهم منازلهم في الجنة، ولهم ذكرهم الطيب عند الله وعند العباد، وهذه المنازل والمقامات لا يدخلها العباد إلا برحمة الله. بتيسير لأسبابها وتفضل عظيم.³

من النموذج نلاحظ أن العباد الصالحين وعاء يرجو الناس دخوله، فلصلاحتهم يتضح

¹ مجالس التذكير، مج2، ص34.

² المصدر نفسه، مج2، ص222-223.

³ المصدر نفسه، مج2، ص219.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنكير

مقامهم وبالتالي الدخول فيهم دخول إلى مقامهم الأعلى، إذن من جديد تظهر استعارة الأحسن - فوق.

1-3- الاستعارات الأنطولوجية (التشخيص):

هي تلك الاستعارات التي نخصص فيها الشيء الفيزيائي كما لو كان شخصا، وهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بالكيانات غير البشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة البشرية.¹ فهي مقولات نؤثث وننظم بها تجربتنا الفيزيائية، ونحدد به مظاهر تجربتنا الشعورية استجابة لحاجات متنوعة ومختلفة. فهذا النمط من الاستعارات، يمنحنا وسائل ننظر بها إلى الأحداث والإحساسات والأنشطة والأفكار... باعتبارها كيانات ومواد.² فالمتكلم يفيء أحيانا إلى التشخيص والتبعيض لإنارة جوانب من التجربة الشعورية أو الفيزيائية، فيسقط خصائص بشرية على كيانات غير بشرية، مثل: "صرعنا التخضم" "خدعتنا أسهم البورصة".

■ فالدعوة بوجهيها أصل قائم دائم.³

■ العبادة الشرعية الإسلامية لا تتجرد من الخوف حتى عبادة أفضل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين.⁴

■ إن المطلع على أحوال الأمم الإسلامية، يعلم أنه قد شعرت بالداء، وأحسّت بالعذاب، وأخذت في العلاج.⁵

لقد عمّ النص بمثل هذه الاستعارات التي يمكن أن لا يلحظها المتلقي للوهلة الأولى،

¹ الاستعارات التي نحيا بها، ص 21.

² دينامية الخيال - مفاهيم وآليات الاشتغال - عبد الباسط لكراري. منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2004، ط 1، ص 410.

³ مجالس التذكير، مج 1، ص 148.

⁴ المصدر نفسه، مج 2، 182.

⁵ المصدر نفسه، مج 1، ص 311.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها البلاغية في مجالس التنكير)

لكثرة استعمالها ودورها في خطابتنا، ولكنها في الحقيقة تشكل خيطا رفيعا يميلنا إلى البنية التصويرية التي تبين تفكير المتكلم، وكيفية تصويره للأمور.

إن استعارة من قبيل - الأمم الإسلامية قد شعرت بالداء- تحمل صورة الأمة في ذهن ابن باديس وكيف يتصورها. إنها بالنسبة له الأمة-إنسان. هذا التصور الذي أسسته مدخلاته الفكرية المؤسسة من كلام الله وهدى نبيه ﷺ، ورسول الله قال " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"¹.

إذن فالأمة في اجتماعها جسد واحد، وقد أصابه المرض هذا الجسد ولا بد له من دواء. إن المدخلات التي تتزاحم في ذهن الرجل تشكل له وعيا مستقلا لاستقلالية مدخلاته وتفردا مقارنة مع مجتمعه، مما وفر له القدرة الإنتاجية اللغوية بصفة تفوق ما وصل إليه أفراد مجتمعه. " ففعل الاستعارة يرتبط بطبيعة تكويننا الثقافي، سواء منها الوراثي أو المكتسب، لذا فلا غرو أن تدخل الاستعارة في بنية تصوراتنا وطرائق تعاملنا مع الآخرين وأساليب ابداعنا وقراءتنا.... ومختلف أنشطتنا."²

■ وقوله " العباداة الشرعية الإسلامية لا تتجرد من الخوف حتى عبادة أفضل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين."³ يلبس فيه العبادة لباس الخوف وينفي تجردها منه. فالعبادة - إنسان متمسك بثوبي الخوف والرجاء، مما يؤكد فكرة أن دماغنا يفكر بطريقة استعارية، يقابل ماهو تجريدي بما هو ملموس من أدوات الخبرة المعتادة، فالدماغ يعي جيدا اللبس والتجرد منه، ولكن العبادة تتسم بالتجريد والسعة ولا يمكن الإمساك بأطرافها، فيعمل الدماغ بطريقة آلية لإلباس المجرد لباس الملموس، "إذن الاستعارة ليس وجهها بلاغيا

¹ تخريج الحديث أخرجه مسلم 49 من حديث أبي سعيد الخدري.

² الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص238.

³ مجالس التذكير، مج2، 182.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

مقصورا على الخيال الشعري والزخارف اللفظية، وإنما هي عنصر يدخل بقوة في أنساق خطاباتنا اليومية، فهي نشاط لغوي بلاغي فكري لا يمكن الاستغناء عنه في أي مجال من مجالات حياتنا".¹

ونقف هنا عند فكرة التعليمية من جهة والإقناع من جهة أخرى، فدور المعلم الأول هو القدرة على التواصل مع المتعلمين وذلك بفتح حوارات تكون بداياتها مشتركة بينهم من جهة ومفهومة ومبسطة من جهة أخرى، حتى يتحقق الإفهام والوصول إلى درجة أبعد تتمثل في الإقناع. ولذلك لا بد من الإنزال المجردات إلى الملموسات والتسلح بها بعدها أداة للحجاج.

¹ الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 238.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنظير

المبحث الثالث: الحقول الدلالية في مجالس التذكير وعلاقتها بالمجال الهدف والمجال المصدر.

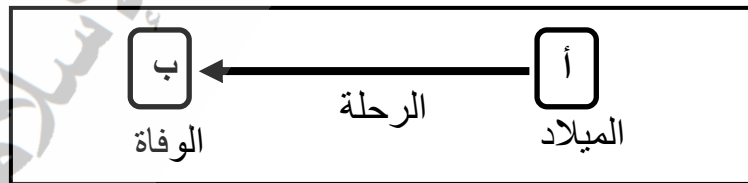
1-مجالات الهدف ومجالات المصدر في مجالس التذكير

إن مجالات الهدف تتناظر على نحو تام مع حقول الخبرة التي تكون مجردة أو معقدة أو غير مألوفة أو ذاتية أو ضعيفة التحديد نسبيا مثل الوقت أو المشاعر أو الحياة أو الموت.

وفي المقابل فإن مجالات المصدر تتناظر على نحو تام مع الخبرات الملموسة والبسيطة والمألوفة والمادية والمحددة بدقة مثل الحركة والظواهر الجسدية والأشياء المادية وهلم جر.¹

وانطلاقا مما سبق يمكننا أن نعرف الاستعارة بأنها عملية ذهنية، تقوم على التقريب بين موضوعين أو وضعين، وذلك بالنظر إلى أحدهما من خلال الآخر.

تقوم استعارات مجالس التذكير حول فكرة واحدة، يمكن تعميمها على جميع عبارات المجال المصدر (الرحلة) والمجال الهدف (الحياة)، فنجد انسجاما وتناسقا بين كل التعبيرات، مشكلة قصة لا تعارض بين حلقاتها.



فالحياة رحلة تنطلق زمنيا يوم ولادة الإنسان من النقطة "أ" ليسير في مسارات متعددة

¹ الاستعارة في الخطاب: ص30.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

للوصول إلى النقطة "ب"، هذه الرحلة فيها مطبات وصعوبات تحيد بالإنسان عن المسار الصحيح، لذلك لا بد له من زاد وغذاء وأسلحة لخوض هذه الرحلة والوصول بسلام.

بالوقوف على البنية التصويرية لفكر ابن باديس وانطلاقاً من استعارته الكبرى التي يسير في فلکها بقية استعاراته، هذه الاستعارة هي الحياة رحلة كما عبر عنها لايكوف وجونسون ولكنها رحلة مزدوجة تنطلق من النقطة "أ" إلى النقطة "ب" في اتجاه أفقي، ثم يتحول المسار إما إلى الأعلى أو الأسفل متوقفاً على نوع المسار الأفقي إن كان مستقيماً أو معوجاً فيمثل المسار العلوي الجنة والمسار السفلي النار.

إذن فالإنسان المسلم كما يتصوره ابن باديس في رحلة طويلة زاده وسلاحه والخريطة التي توجهه هو القرآن الكريم والدعاة الصادقين الذين يوجهوه للفهم الصحيح للقرآن، ليصل سالماً إلى النقطة "ب" وهي الموت ثم يتجه إلى الأعلى أي النعيم. كما هو موضح في هذا المخطط:



ولأن ابن باديس يعيش الواقع بكل تفاصيل هو يدري تمام الدراية أن الإنسان من غير الممكن أن يعيش وفق هذا المسار من الحياة إلى المماتة، وأن الرحلة تتعرض لمطبات وهزات، ولذلك نجد فكرة -الرجوع- في الرحلة والتي يقابلها في المجال الهدف -التوبة-.

هنا تكمن الخصوصية الدينية في تحديد الاستعارات الاتجاهية، فاستعارة الرجوع تعد

استعارة تعبر عن واقع سلبي في عبارات من مثل:

● أعود أدراجي

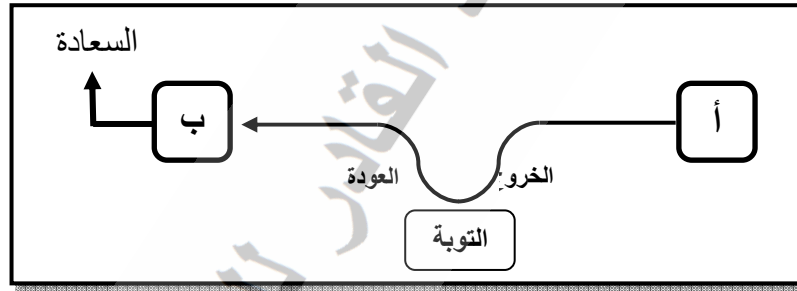
الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

• تراجعت إلى الخلف

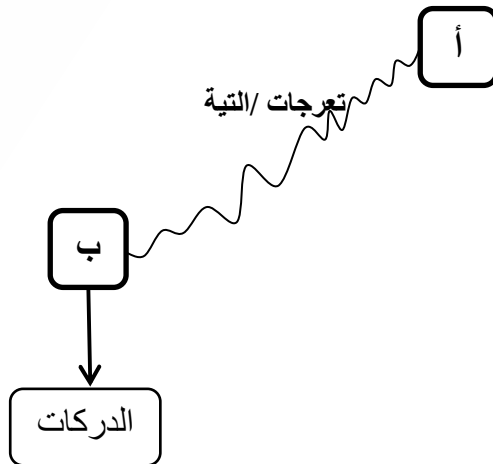
• هو لا يتقدم إلى الأمام.

• نتائجه متراجعة.

هذه العبارات وغيرها تستدعي الرجوع في المجالات السلبية أو السيئة. إلا أن مفهوم الرجوع في الفكر الإسلامي - الذي يعد من أهم المدخلات التجريبية التي تصور العالم في ذهن ابن باديس - يدل على العودة إلى الله، والتي يمكن أن نتصورها على أن الإنسان يسير في رحلته على الطريق الصائب، ثم يزيغ عنه لمدة وحين يتفطن عليه بالعودة إلى الوراء ليسلك الطريق الصحيح من جديد. وهذا مخطط يوضح استعارة الرجوع:



أما الإنسان الذي انطلق من النقطة "أ" واتبع مسارات فيها اعوجاج وحادت عن الطريق المستقيم سيصل حتما إلى النقطة "ب" ثم يتجه إلى الأسفل إلى دركات الجحيم لأنه كان غير مزود بالزاد اللازم الذي يحميه من التيه والضياع. وهذا المخطط يوضح صورته:



الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

ولأن النظرية الاستعارية التصويرية الحديثة، تعتمد ثلاثة مبادئ جوهرية هي:¹

1. التعميم: هو مبدأ يحكم التعدد والتنوع الدلالي والاستدلالي الذي يتيح الاعتماد على تعبيرات المجال المصدر (الرحلة) في توصيف المجال الهدف (الحياة)، فيظهر هناك انسجام في الانتقال من المجال المصدر إلى المجال الهدف ومن المجال الهدف إلى المجال المصدر في شكل انسيابي، يغيب معه الشعور بوجود تنافر بين المجالين، وهذا ما يفضي بنا إلى مبدأ التناظرات بين المجالين.

2. مبدأ التناظرات: حيث يمكننا ان نفهم مجال الحياة من خلال مجال الرحلة ونفهم من خلال هذه التناظرات الصورة الذهنية التي رسمها ابن باديس في ذهنه للحياة وكيف يسقط الواقع المعيش المحسوس على المجرد الذي يصعب الامساك بتفاصيله (الحياة).

وتتمثل هذه التناظرات على النحو الآتي:



3. مبدأ الثبات: يتقاطع مبدأ الثبات مع المبدئين السابقين في دلالاته على الانسجام الذي يتشكل بين المجالين المصدر والهدف، والاستمرارية في اسقاط أحدهما على الآخر، دون

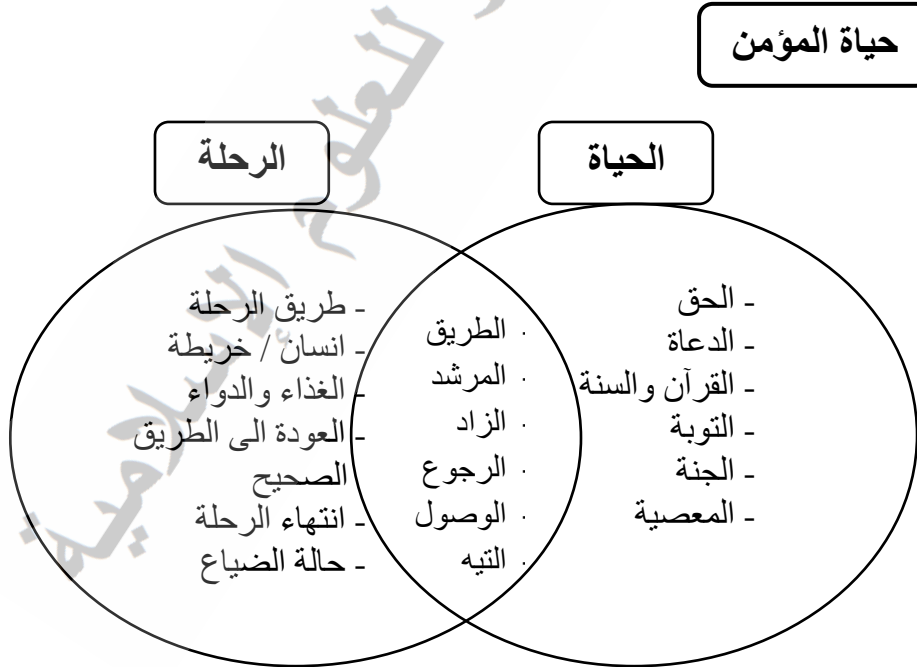
¹ ينظر: دينامية الخيال - مفاهيم وآليات الاشتغال-، 475-478.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها اليرلائية في مجالس التنزيير

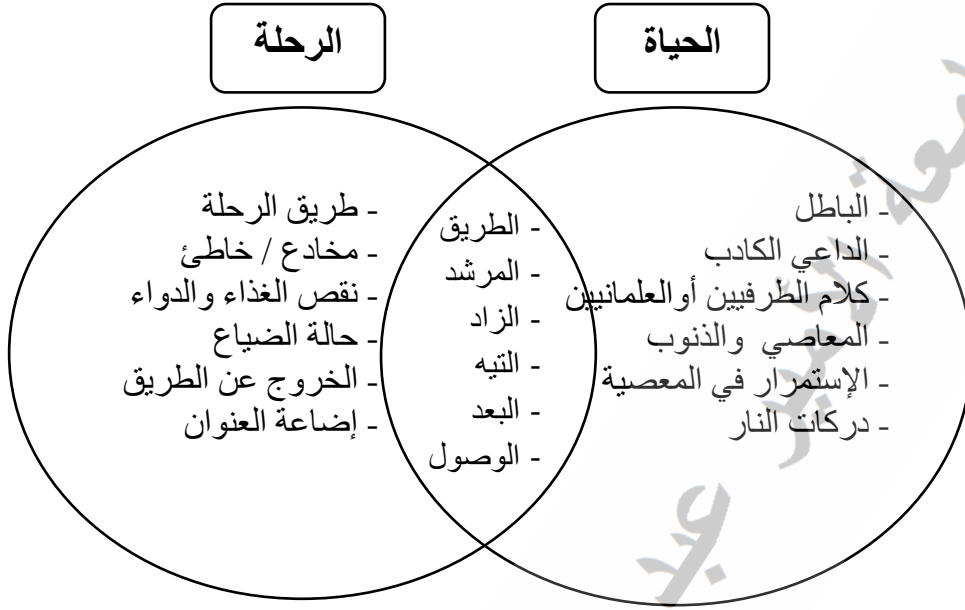
ظهر لأي تنافر بينهما.

يمكننا أن نأمل البنية التصورية لفكر ابن باديس على أنها رحلة تنطلق من الميلاد إلى المائة لتستمر بعدها إلى المصير الأخرى، حيث ينبني الجزء الثاني من الرحلة على الجزء الأول من الرحلة التي تنتهي بالوصول الآمن هي رحلة يهتدي صاحبها بالقرآن الكريم كما يهتدي المسافر بالنور وبالعلم المسبق بطريق رحلته وتحديد غايته، وإن تاه في وسط الطريق وزاغ عن السبيل الصحيح لأبد له من الرجوع حتى ينطلق انطلاقة سليمة وهي التوبة والاستغفار، وإن أصابه مكروه يداوي نفسه بالعلاج الشافي وهو القرآن، حتى يصل في أمان ويصعد في درجات النعيم.

ولأن الطريق في ذهن ابن باديس طريقان، طريق هداية وطريق ضلال، فالخيوط التي تنسج الرحلة جاءت على شاكلة ذلك:

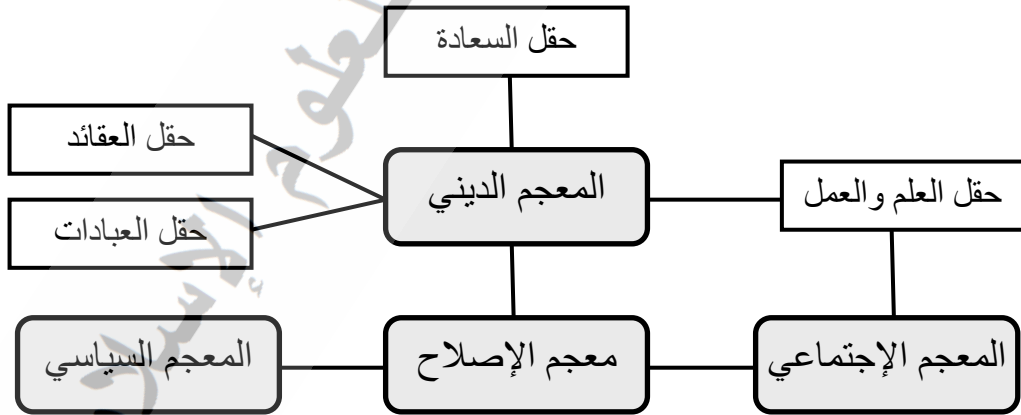


حياة الكافر



وانطلاقاً من هذه الاستعارة يمكننا أن نستنج الحقول الدلالية التي تشكل مجالس

التذكير:



يعد معجم الإصلاح هو المعجم المحرك لفكر ابن باديس، وتنبثق عنه بقية المعاجم

والحقول.

فالإصلاح في فكر ابن باديس لا بد أن يكون إصلاحاً شاملاً يمس كل نواحي الحياة، لأن المحرك الأول للإصلاح هو القرآن والقرآن منهج حياة. وبالتالي هو يستدعي حضور الإنسان، والقرآن، والدعوة، والأمة، والمستعمر بعدها - هذه العناصر - تشكل حلقة الإصلاح..

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

ظهرت هذه العناصر بشكل لافت للانتباه في مجالس التذكير وبنسب كبيرة، مشكلة (المنطلق - الإنسان) و (الهدف - السعادة) و (الطريقة - الدعوة بالقرآن) و (العائق - المستعمر).

صوّر ابن باديس هذه العناصر في صور استعارية تبرز نظرتة لكل منها وتكشف طريقة تفكيره وكيفية تبينها في ذهنه.

- الإيمان بالله
- الإيمان بالملائكة
- الرسل - الكتب
- الجنة - النار
- اليوم الآخر
- القضاء والقدر

حقل العقائد

- حسن المظهر
- العلم - العمل
- المال - القوة
- النظافة - المدنية
- العمران

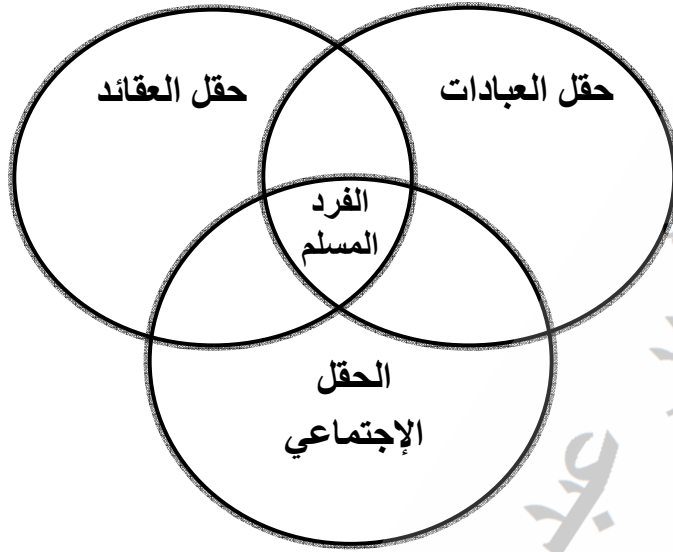
المعجم الإجتماعي

- الشهادتان
- الصلاة
- الزكاة
- الحج
- الطاعة
- الدعاء

حقل العبادات

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

أما الإصلاح في ذهن ابن باديس فهو كل مشترك بين هذه الحقول الثلاث:



صورة الإصلاح في فكر ابن باديس:

تشكل صورة الإصلاح في فكر ابن باديس متشابكة بين ثنائيات متعددة، تتجمع لتظهر صورة من الواقع كما هو، والواقع كما يتصوره ابن باديس بعد تفعيل أسباب الإصلاح.

ثنائية (العلم - السيف)

ثنائية (الظلمات - النور)

ثنائية (الدنيا - الآخرة)

ثنائية (السعادة - الشقاء)

ثنائية (الهدى - الضلال)

هذه الثنائيات الضدية وما شاكلها ترسم صورة للواقع الجزائري، يعاني تحت سيطرة الجهل، ويتطلع إلى صورة أخرى يرسمها في ذهنه مع تحقق ثمار الإصلاح.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنكير

فالإصلاح عند ابن باديس لا يقف عند مستوى واحد وهو المستوى الديني بل يظهر من مجالس التنكير أن المستوى الديني هو مرحلة أولى للوصول إلى إصلاح مستويات أخرى خاصة المستوى الاجتماعي.

وتظهر هذه الحقول في شكل تقابلي مشكلة ثنائيات ضدية، تبرز حالة الانقسام التي يعانيتها المجتمع، وهذا ما يبرر ظهورها بشدة في البنية التصورية لابن باديس:

الخير	الشر
الإيمان	الكفر
السعادة	الشقاء
الصادق	كاذب
النجاح	الفشل
الطريق المستقيم	الطريق الأعوج التعرجات الخروج عن الطريق
الشفاء	المرض
الدواء	الداء
العدل	الظلم
الصلاح	الفساد
الرجوع	الخروج
الهدى	الضلال
أهل السماء	أهل الأرض
القوة	الضعف
الحق	الباطل

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

حقل العبادات هو أقل الحقول دوراناً في مجالس التذكير، - إذا ما اعتبرنا العبادات هي تلك الممارسات الدينية التي أمر بها المسلمون والتي يمكننا أن نجعلها في أركان الإسلام، ومرد ذلك إلى أن عناية ابن باديس منصبه على مقاصد العبادات، لا العبادات في حد ذاتها وهو المطلوب فعلاً من المسلم والرسول ﷺ قال "وما بعثت إلا لأتمم مكارم الأخلاق".

خاصة وأن العبادات هي الهدف الوحيد عند الطرفين، ومستوى التدين عندهم يقف عند الصلاة والصيام والزكاة والحج ولا توجد في فكرهم مرامم أخرى ومقاصد من وراء هذه العبادات.

إذن فمستوى العبادة متحقق مسبقاً، ولكن الهدف هو المقاصد الكبرى التي شرع الله لأجلها العبادات، والتي تعد مغيبة في المجتمع الجزائري عن قصد وبإيعاز من أطراف خادمة للمستعمر ليضمن بقاءه وسيطرته.

فتجاوز العبادة بعدها فعلاً أمر بأدائه المسلم على وجه معين وفي وقت ومكان محددين وعلى طريقة معينة، إلى أهداف تفضي إلى تحقيق جوهر العبادة، مقترنة بإعلاء كلمة الحق، والنهوض بالمجتمع وتحرير الأوطان و.... وهذا ما يعمل المستعمر جاهداً على تفاديه وتجنيد بعض الطرفين لمنع تحقيقه.

أما إذا نظرنا إلى العبادة نظرة أوسع وهي النظرة التي يرى بها ابن باديس العبادة، فيدخل في دائرتها كل علم نافع وكل عمل صالح، مع التأكيد على تحديد نية الخضوع إلى الله تعالى، واللجوء إليه وحده، وتكليل العبادة بالخوف من عذابه ورجاء رحمته وعفوه، فتصبح العبادة وفق هذا المفهوم من أكثر الحقول دوراناً في مجالس التذكير. لحدوث الامتزاج بين المعجم الديني والمعجم الاجتماعي.

فتبرز بوضوح نظرة ابن باديس للعالم وهي الإسلام منهج حياة.

أما المعجم السياسي فيكاد يغيب في المراحل الأولى من مجالس التذكير ولكنه بدأ يظهر تلميحاً وإشارة بعد سنة 1935م، خشية مصادرة المجلة والحول بينه وبين التعليم والنشاط

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

الثقافي والإرشادي.

وأظن أن ابن باديس كان متيقنا أن الوقت لم يحن بعد للمواجهة المباشرة بينه وبين المستعمر، وأن المجتمع الجزائري غير جاهز لخوض هذه التجربة، وهو في حاجة لتطوير الوضعين السابقين- الديني والاجتماعي - لأجل القدرة على النهوض بالوضع السياسي. فيغوص في تفاصيل اجتماعية ذات صلة بترسيخ العقيدة الصحيحة مستوحاة من صميم المجتمع الجزائري مثل قوله:

● انظر إلى هذه الحكمة في هذا الترتيل كيف كان تتريل آياته على حسب الواقع، أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجمع وخطبائها في توبيخهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟ بلى والله بلى والله.¹

● حالة وطننا في الأعم الأغلب في الولايم والمآتم لا تخلو من السرف فيها الذي يؤدي إلى التفتير من بعدها.

● وعلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علق كثير ممن سمعناهم يشكون هذه الحالة آمالهم في معالجتها، خصوصا في المآتم، حقق الله الآمال.

● وثم نوع آخر موجود في غالب القطر ويكثر في بعض الجبال...²

ويظهر المعجم السياسي في ألفاظ مثل:

السيادة- الاستقلال- الاستعمار- الجهاد- القانون- النصر- الاستبداد- الظلم-

العدل-...

¹ مجالس التذكير، مج2، ص58-59.

² المصدر نفسه، مج2، ص129.

2- الصور الاستعارية للعناصر المشاركة في الفعل الإصلاحي:

2-1- صورة الإنسان من خلال استعارات ابن باديس:

الإنسان - آلة: إن الاستعارات التي تكشف عن صورة الإنسان في مجالس التنكير ليس مجرد استعارات وصفية بقدر ما تحيل إلى ما يريده ابن باديس للإنسان أن يكون عليه، إذن فالإنسان آلة هو مبتغى ومطمح يسعى ابن باديس الوصول إليه، في نفسه ومجتمعه وأتمته، والرابط بين المجال الهدف والمجال المصدر هو النشاط والعمل والانتاج وفق دليل عمل موضوع مسبقاً فالآلة تأتي مرفقة بدليل موجه لكيفية عملها الذي صنعت لأجله، وكذلك الإنسان يجب أن يعمل لما خلق له، وهو العبادة وإعمار الأرض بالحق والعدل. ولا يتحقق هذا وتأتي ثماره إلا إذا اتبع الدليل الذي أرسله الله له وهو القرآن.

من العبارات التي توضح هذه الاستعارة:

● شرع الله لعباده بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله مافيه استتارة عقولهم وزكاء نفوسهم واستقامة أعمالهم.

● خلق الإنسان مركباً من روح وبدن، وإنما بقاء بدنه بالغذاء، وإنما كمال روحه بالعمل.

● الإنسان مصدر خير ونفع

● فإن الإنسان مركب من روح وعالم النور، وجسم من عالم المادة المركبة.¹

● وكل ذلك فساد يطرأ عليهما - النفس والفطرة - فيجب إصلاحها بإزالة نقصه، وإبعاد ضرره عنها.

● ولما كان طروء الفساد متكرراً، فالإصلاح بما ذكر يكون دائماً متكرراً.²

¹ مجالس التنكير، مج1، ص359.

² المصدر نفسه، مج1، ص213.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيير

● أما إذا توائى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا في تأديتها إلى بعضهم، فإن الحاجة المشتركة من العلم، والثقافة، وحفظ الصحة والأخلاق وأنواع الصناعة تتعطل وبتعطلها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال.¹

● لأن الغفلة من طبع الإنسان، ودوام الغفلة صدأ القلوب، وصقالها هو التذكير.²

● فلا نجا لهم من المهالك والمعاطب.³

2-2- صورة الأمم من خلال استعارات ابن باديس:

الأمّة - إنسان: يقول ابن باديس في مقاله الطور الأخير لكل أمة وعاقبته: " الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار: طور الشباب، وطور الكهولة وطور الهرم. فيشمل الطور الأول نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة.

ويشمل الطور الثاني ابتداء أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة السلطان، إلى استكمالها قوتها وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك بما كان فيها من مواهب، وما كان لها من استعداد، وما لديها من أسباب..

ويشمل الطور الثالث ابتداءها في التفهقر والضعف والانحلال، إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال. إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال.⁴

■ القرى التي قضى عليها بالهلاك والاستئصال، هذه قد انتهى أمرها بالموت وفات عن العلاج، مثل عاد وثمرود من الأمم البائدة.

¹ مجالس التنزيير، مج1، ص217.

² المصدر نفسه، مج2، ص163.

³ المصدر نفسه، مج1، ص121.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص304.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

وأما الأمم التي قضى عليها بالعذاب الشديد، فهذه لا تزال بقيد الحياة، فتداركها ممكن وعلاجها متيسر، مثل الأمم الإسلامية الحاضرة.¹

2-3- صورة الدعوة في استعارات ابن باديس:

الدعوة - نور

- وكانت دعوته هذه بوجوهها كلها واضحة جلية لا خفاء بها.²
- كان يدعو إلى الله على بينة وحجة يحصل بها الإدراك التام للعقل حتى يصير الأمر المدرك واضحاً لديه كوضوح الأمر المشاهد بالبصر.³
- شرع الله لعباده بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله ما فيه استنارة عقولهم.⁴
- فالحكمة التي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى سبيل ربه بها هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها.⁵

الدعوة - ثمار

- فعلياً أن نلتزمه لأنه هو الذي تبلغ به الموعظة غايتها، وتثمر بإذن الله ثمرتها، وعليها أن نجتنب كل ما خالفه مما يعدم ثمرة الموعظة كتعقيد ألفاظها، أو يقبلها إلى ضد المقصود منها، كذكر الآثار الواهية التي فيها أعظم الجزاء على أقل الأعمال.⁶
- يعد حقل الدعوة حقلاً كثيراً الدوران في مجالس التذكير، لما يرى في ابن باديس من قدرة على تغيير وجه الأمة إلى الأحسن أو الأسوأ، حسب ما يكون عليه الداعي وحسب

¹ مجالس التذكير، مج1، ص309.

² المصدر نفسه، مج1، ص122.

³ المصدر نفسه، مج1، ص123.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص135.

⁵ المصدر نفسه، مج1، ص139-140.

⁶ المصدر نفسه، مج1، ص145.

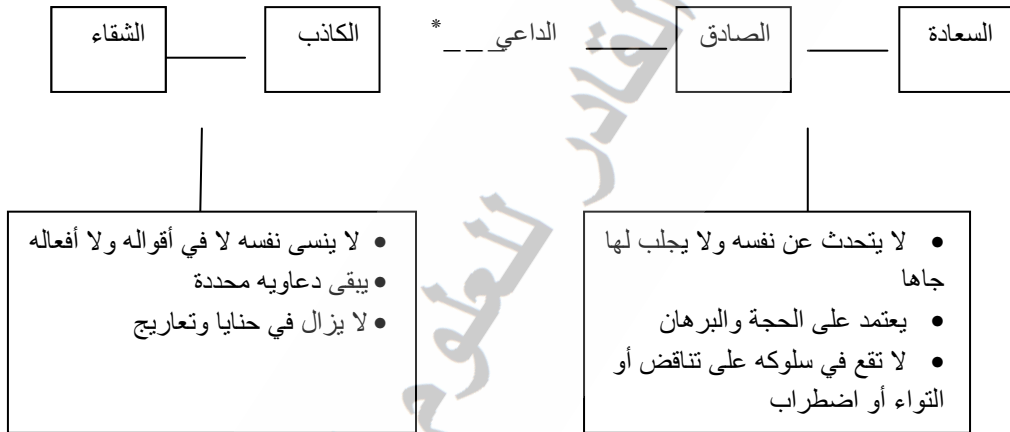
الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

أهدافه وطريقته وقدرته على توجيه العامة.

ولذلك الدعوة الحقيقية التي يدعو إليها ابن باديس كل أطراف المجتمع - فالمجتمع كله مطالب بالدعوة كلٌ حسب تخصصه ومجاله- هي دعوة تمتاز بالوضوح وطريقها مستقيم، تستنير بنور القرآن وتستمد منه مادتها ومنهجها، ولذلك هي نور في فكره.

أما الدعوة ثمار فهي النتيجة التي تؤدي إليها الدعوة نور، فكلما كانت الدعوة على بينة ووضوح تستنير بنور القرآن كانت ثمرة معطاءة، تعود بالفائدة على الفرد ومجتمعه.

وهذا مخطط يبين صورة الدعوة كما يراها ابن باديس انطلاقاً من تفسيره لقوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف108]



تمثل المخطط حرص ابن باديس الشديد على تقديم مقياس لتمييز الداعي الصادق من الكاذب، ويقدم هذا المقياس في شكل صورة تقابلية هي بمثابة قالب نمطي يضع فيه الملتقي الداعي الذي أمامه وينظر إلى النتيجة فإن وافق الجزء الأول من الصورة فهو صادق ويجب اتباعه، وإن وافق الجزء الآخر منها فيصنّفه في فريق الداعي الكاذب وينصرف عنه، ومقياسه هذا مستمد من الآية الكريمة وجهين "إلى الله" و"على بصيرة".

* ربط في الوثيقة بين الداعي والكاذب بخط متقطع لأنه ادعاء وليس حقيقة ولفظة الداعي في الأصل لا تطلق إلا على الداعي الصادق.

2-4-صورة المستعمر في استعارات ابن باديس:

يغيب الذكر الصريح للمستعمر في مجالس التذكير ويرجع ذلك لأسباب مرتبطة بالفترة الزمنية التي صدرت فيها المجلة والظروف السياسية التي تطوق كتاباتهم وتهددهم بمنع النشر والمصادرة مما يدفعه إلى التلميح لا التصريح.

وواضح أن ابن باديس كان يؤسس لمشروع النهضة منصة صلبة ومتمينة وبيئة هادئة ومستقرة تقوم على الاستمرارية فيتجنب الاصطدام بفرنسا لتفادي المضايقات والانقطاع عن الاصدار والابتعاد عن المتلقين والغياب عنهم بوسيلة هي من أهم وسائل الإصلاح والنهضة-الصحافة-.

سيف الجور¹: هي من الصور الاستعارية التي يرى بها ابن باديس المستعمر، على أنه سيف وظيفته الوحيدة هي القطع والبتر في سبيل الظلم وتحقيقا للباطل.

فصورة السيف مستقلة عن صفة الجور هي صفة إيجابية في الثقافة الاسلامية مقرونة بالدفاع عن الحق ونصرة المظلوم، ولذا عززها بصفة الجور لتكون صورة قائمة وبشعة ينفر بها المتلقي من المستعمر، خاصة وأن هناك من ينظر إليه نظرة إعجاب في نمط حياتهم وتحررهم وتقدمهم العلمي والتكنولوجي..

2-5-صورة القرآن في استعارات مجالس التذكير:

-**القرآن فرقان:** الله سماه الفرقان لنعلم أنه فارق بنفسه، ولنعمل بالفرق به، ولا يكمل إيماننا بأنه الفرقان إلا بالعلم والعمل.²

الفرقان هو الفارق بين الحق والباطل، فهذه الاستعارة ليست ناقلة للفكرة ولكنها الفكرة في حد ذاتها. لذا هي مشحونة بدلالات كثيرة، فابن باديس يرى أن الأمة في حاجة

¹ مجالس التذكير، مج2، ص433.

² المصدر نفسه، مج2، ص10.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

لما يفصل فيها بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، وأن الخير الحقيقي والنفع الدائم في القرآن-الفرقان، لا أذكركم الشيوخ التي يتعبدون بها، ولا في المدينة الغربية التي انبهروا بها. فلا بد من العودة والرجوع إلى الحق بالعلم والعمل، ليعود العدل والأمن والسلام للأمم الإسلامية، ويرفع عنها ظلم المستعمر.

-القرآن بساط القدس، القرآن معراج الكمال، القرآن مائدة الإكرام: وهي صور وصف بها ابن باديس القرآن الكريم، قائلاً:

"هذا الرب الكامل المكمل، المنعم المتفضل، القدوس المقدس، هو الذي أنزل هذا الفرقان، فإذا أردت أن ترقى في درجات الكمال، وتظفر بأنواع الإنعام، وتزكي نفسك الزكاء التام، فعليك بهدي هذا الفرقان، فهو بساط القدس ومعراج الكمال ومائدة الإكرام."¹

من هذه الاستعارات التي تصور بها ابن باديس القرآن، نفهم أن القرآن في تصوره هو كل ما يحتاجه الإنسان، فهو الأساس والقاعدة المتينة والسليمة التي تؤسس لارتقائه في مراتب الكمال، وهو قوته وزاده الكريم الذي يمنحه القوة والأمان.

هذه الصور تكشف عن فكرة القرآن هو الحل التي يتشبع بها الفكر الباديسي والفكر الاصلاحى عموماً.

القرآن بحر:

■ فعلياً - إذا - أن يكون أول فزعنا في الفرق والفصل إليه، وأن يكون أول جهدنا في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه مستعينين بالسنة القولية والعملية على استخراج لآليه.²

فالبخر نعمة من نعم الله على عباده كذلك هو القرآن وزيادة، والبحر دائم العطاء،

¹ مجالس التذكير، مج2، ص9.

² المصدر نفسه، مج2، ص10

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

متجدد المنح والمزايا، كما أن القرآن عطاياه لا متناهية، مصلحة لكل زمان ومكان. والبحر راحة للناظر ووجهة للمتأمل، والقرآن سبيل كل محتار ومتألم وسائل للخير، وطالب علاج. وكنوز البحر متنوعة متجددة من مأكّل وعلاج وملبس وجواهر وكذلك كنوز القرآن لا تنتهي، فالقرآن حياة سعيدة كريمة في الدارين.

العبادة-تجارة

- قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم.¹
- وتعلن للناس أنّ عبادتهم هي الشيء الوحيد الذي يكون لهم به قدر وقيمة عند ربهم.²
- وبدونها (عبادة الله) لا يكون لهم وزن عند خالقهم.³
- وكم منهم من سعى واجتهد وانتهى بالخيبة والحرمان، فعاد - بعد نصب - ولا ثمرة حصلها عاجلا، ولا ثوبا ادّخره آجلا. وذلك هو الخسران المبين.
- فكل منفعة تجلبها عبادة أو مضرة تدفعها، فملاحظتها عند قصد العبادة لا تنافي الإخلاص ولا تنقص من أجر العامل، وهي من الثواب المرتب على العمل.⁴
- على المرء أن يتهم نفسه في كل ما تدعوه إليه، وأن يزن جميع أعماله بميزان الشرع الدقيق، خصوصا ما تشتد رغبته فيه ويعظم حسنه في عينه.⁵
- إن مفهوم التجارة حاضر في الفكر الاسلامي على أنه مجال مصدر يبين المجال الهدف -العلاقة مع الله- فالتاجر يجتهد ويكد ويعمل بجد ونشاط باختيار أفضل السلع ويحافظ

¹ مجالس التذكير، مج2، ص181.

² المصدر نفسه، مج2، ص181.

³ المصدر نفسه، مج2، ص181.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص170.

⁵ المصدر نفسه، مج2، ص242.

الفصل الثالث.....(الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

عليها ويخزنها بطريقة جيدة حتى يحميها من التلف، ويبيعها بعد عرضها العرض الحسن، ليكسب من ورائها المال الوفير. كذلك المسلم يبيع راحته ومتعته الدنوية ليكسب نعيم الآخرة.

هذه الاستعارة المفهومية تظهر في كلمات من قبيل (القيمة -الوزن- الأذخار- الخسارة- الربح- التحصيل-الأجر- مصادرنا- مواردنا) .

3-حضور القصة القرآنية لإعادة تشكيل الذهن الجزائري:

لجأ ابن باديس إلى القصة القرآنية في سلسلة من المقالات، يأخذ منها العبرة ويرصد من جزئياتها اسقاطات على الواقع، ففتح تصورات جديدة للمجتمع الجزائري، غائبة في الوضع الراهن على كل الساحة العربية والدول الإسلامية، عن طريق القصة القرآنية وما تحويه من مشاهد تصويرية حية، إذ تعدّ القصة من وسائل القرآن التي يسعى من خلالها إلى التأثير الوجداني والإقناع العقلي، ولأنّ الله تعالى أعلم بتنوع طبائع خلقه ونفسياتهم، فتنوعت لذلك أشكال التعبير في كتابه العزيز واحتلت القصة القرآنية مساحة واسعة منه، لأنها تمثل التطبيق للجانب النظري من القرآن الكريم فكما أراد الله تعالى منّا العلم بالمنهج يطلب منّا أن نطبق هذا المنهج ونوظفه في حياتنا.¹ وإن كثيرا من الناس يتأثرون بالواقع العملي أكثر من الأحكام والتوجيهات المباشرة. فامتاز القرآن الكريم بجعله الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية.²

ومن هذه القصص قصة سيدنا سليمان والهدد وقصته وبلقيس، وقصته والنمل.

واختار ابن باديس هذه القصة دون سواها من القصص القرآني، وقصة سيدنا سليمان عليه السلام دون غيره من الأنبياء ليس اعتباطيا، ويتبين ذلك من التطبيقات العملية التي

¹ - قصص الأنبياء: محمد متولي الشعراوي، جمع المادة العلمية، منشأوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها: مركز

التراث لخدمة الكتاب والسنة، م ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص42

² - التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، دط، دت، ص 143.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التنزيل

خرج بها من القصة والتوجيهات التي يحاول تمريرها للمتلقي في قالب القصة القرآنية.

● التطبيقات العملية من قصة سليمان عليه السلام:

إن زهد الجزائريين في الحياة وعودهم عن أخذ الأسباب بحجة أن المسلم ضعيف وفقير ومسال� وخاضع للأمر المفروض عليه، كل هذه المعطيات السلبية التي سيطرت على العقل الجزائري بعد سنوات من الفهم الخاطئ لكتاب الله عز وجل والغفلة عن مقاصد الشريعة، ستجعله يشعر بحالة من الصدمة وهي أنه لا تعارض بين الغنى والقوة والإيمان الصادق بالله والخضوع لأمره. ولا أدلّ على ذلك أفضل من نبي ملك. ويبين ابن باديس أن العظة المستقاة من الآية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل 16]، هي ترغيب لنا في طلب العلم والسعي في تحصيل كل ما بنا حاجة إليه من أمور الدنيا، وتشويقا لنا إلى ما في هذا الكون من عالم الجماد وعالم الأحياء، وبعثا لهممنا على التحلي بأسباب العظمة من العلم والقوة، وحثا لنا على تشييد الملك العظيم الفخم على سنن ملك النبوة.¹ فعناية ابن باديس باختيار القصة التي تمثل دواء للأدواء التي مست المجتمع الجزائري، فكثرت الإسقاطات وتنوعت العبر والفوائد التي يرسلها في شكل تطبيقات عملية للمتلقين، ومن هذه العبر:

● "الحق فوق كل أحد.

● كل واحد في قومه أو في جماعته هو المسؤول عنهم من ناحيته مما يقوم به من عمل، حسب كفاءته واستطاعته.

● إخلال أي أحد بمركزه ولو كان أصغر المراكز مؤدّ إلى الضرر العام.

● ثبات كل واحد في مركزه وقيامه بجراسته هو مظهر النظام والتضامن، وهما أساس

القوة.²

¹ مجالس التذكير، مج2، ص210.

² المصدر نفسه، مج2، ص231.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

● من حق الرعية على راعيها أن يتفقدوها، ويتعرّف أحوالها، إذ هو مسؤول عن الجليل والدقيق منها.¹

● "عاطفة الجنسية غريزة طبيعية، فهذه النملة لم تهتم بنفسها فتتحو بمفردها ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تنج معهم، فأندرتهم في أشدّ ساعات الخطر أبلغ الإنذار، ولم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الدايم أن تذكر عذر سليمان وجنده.

فهذا يعلمنا أن لا حياة للشخص إلا بحياة قومه، ولا نجاة له إلا بنجاتهم، وأن لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم، ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه، وأن لا يكون اهتمامه بهم دون اهتمامه بها."²

وقد تنوعت الفوائد المستقاة من القصة بين ما يترتب على الراعي والرعية في علاقتهما مع بعضهما البعض وفي علاقتهما بالوطن، مما يؤكد أن اختيار هذه القصة بالتحديد هو تصور ابن باديس صورة المجتمع الجزائري بكل ما فيها من نقائص وسلبيات، وتزليل القصة وعبرها على هذا الواقع، متوسما التغيير، والكثير من الناس من يقتنع بالواقع العملي اقتناعا أكثر منه بالإرشادات والتوجيهات المباشرة.

وتفتح القصة أمام المتلقي آفاقا أوسع، وتصويرا أبعد للواقع يتمثل فيه الماضي والحاضر معا لبناء المستقبل. وتزداد يقينية القصة حين تتصف بأنها القصة القرآنية، فتفسيرها - في مجالس التذكير- فتح صورا جديدة في التفكير ليسقط تصرفات الفرد وقيسها على الحيوانات - الهدهد والنملة- ويعظم صنيعهما في خدمة مجتمعهما فيتخذ المتلقي العبرة برجوعه إلى تصرفاته ويراقبها ويستحي من فعله إن كان دون فعل الهدهد والنمل.

¹ مجالس التذكير، مج2، ص225.

² المصدر نفسه، مج2، ص216-217.

الفصل الثالث.....الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير

كما ربط بين القوة والعلم، فالعلم قوة في ذاته تبني به الأمم وتسود به الممالك، وقلل من قيمة السيف أمام العلم، تترجلاً لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل 15)

"فأما الممالك التي تبني على السيف بالسيف تهدم، وما يشاد على القوة بالقوة يؤخذ. وإنما أعلى الممالك وأثبتها ما بني على العلم وحمي بالسيف، وإنما يبلغ السيف وطره ويؤثر أثره إذا كان العلم من ورائه."¹

نشرت هذه المقالات في سنة 1939 من شهر مارس إلى غاية شهر أوت، فتعد بذلك من أواخر إصدارات ابن باديس ومنشوراته التي تعبر عن فكره.

وفي هذه السلسلة تلميح يقترب من التصريح بالدعوة إلى الرفض: رفض الظلم، ورفض الخنوع، رفض التفرقة، رفض الجهل، رفض السيطرة....

والدعوة إلى الاقتداء بأنبياء الله - داوود وسليمان - في علمهم وقوتهم وملكهم وإيمانهم. مقدما صورة للحكم والملك مغايرة تماما لتلك التي تمثلها الدول المسيطرة في العصر الحديث حتى تجسد في عقول الناس أن القوة ظلم، وأن الحاكم متجبر، وأن بناء الأمم القوية لا يكون إلا بالسطو على حقوق الضعفاء.

وهو يدعو المجتمع دعوة ضمنية إلى التسلح بالعلم لبناء الدولة القوية ثم حمايتها بالسيف لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة والقوة الحقيقية هي العلم.

¹ مجالس التذكير، مج 2، ص 201-202.

خلاصة الفصل:

يمكننا أن نحمل البنية التصورية لفكر ابن باديس على أنها رحلة تنطلق من الميلاد إلى المائة لتستمر بعدها إلى المصير الأخروي، حيث ينبي الجزء الثاني من الرحلة على الجزء الأول منها

الرحلة التي تنتهي بالوصول الآمن هي رحلة يهتدي صاحبها بالقرآن الكريم كما يهتدي المسافر بالنور وبالعلم المسبق بطريق رحلته وتحديد غايته، وإن تاه في وسط الطريق وزاغ عن السبيل الصحيح لابد له من الرجوع حتى ينطلق انطلاقة سليمة وهي التوبة والاستغفار، وإن أصابه مكروه يداوي نفسه بالعلاج الشافي وهو القرآن، حتى يصل في أمان ويصعد في درجات النعيم.

الفصل الرابع

الحقول النحوية وولاتها في

مجالس التزكير

المبحث الأول: الحقول الصرفية والمسورات

النحوية

المبحث الثاني: البعر الحجاجي في مجالس التزكير

المبحث الثالث: استثمار المحسنات البريعة

لتحقيق الأبعاد الفكرية

الفصل الرابع: الحقول النحوية ودلالاتها في مجالس التذكير

المبحث الأول: الحقول الصرفية والمسورات النحوية:

1- النحو والدلالة

لا يمكن فصل علم الدلالة عن علوم اللغة الأخرى، ولا يمكن لبقية العلوم اللغوية الاكتفاء بما وصلت إليه من نتائج دون الوصول إلى الدلالة لأنها غاية المتكلم والمتلقي معا، فينطلق اللغوي في دراسته للغة من مستويات (صوتية-صرفية-تركيبية-دلالية) متصلة ببعضها البعض فينطلق كل واحد منها أين انتهى إليه المستوى السابق له، حتى يبلغ غايته من الدراسة اللغوية وهي فهم المعنى، يقول في ذلك إبراهيم أنيس: "الدراسة الدلالية هي قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي إذ الغاية من اللغة هي الاتصال والتفاهم ودون دراسة المعنى يصبح التحليل اللغوي لغوا لا طائل من ورائه"¹ فتعدّ بذلك هذه العلوم علوم آلة تخدم غاية أكبر وهي الدلالة.

• الدراسة النحوية في اعتمادها على الجملة بنية أساسية للدراسة قاصرة عن الغوص في تفاصيل النظم، فالإقتصار على نمطية القاعدة في أيّ دراسة سيؤدي بها إلى الجمود، وتجاوزها إلى الدراسة البلاغية التي تراعي السياق المقالي والسياق المقامي وكل ملاسبات الخطاب المتعلقة بالمتكلم والمتلقي، سيفتح أمام الدارس آفاقا مهمة، ما كانت لتكشف عنها الدراسة النحوية منفردة.

• لا بدّ من إعادة الجمع بين النحو والبلاغة وإرجاع التحليل اللغوي إلى عهده الأوّل، وهي الغاية التي سعت إلى تحقيقها هذه الدراسة، لأنّ الغاية الكبرى للنحو هي الوقوف على المعنى، والبلاغة تتخير أجود التراكيب الصحيحة مراعاة للقرائن النصيّة وقرائن خارج النص. لكل نص نظام مفهومي يضم مجموعة من الحقول الدلالية التي تربط بينها علاقات

¹ - دلالة الألفاظ، ص39.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التنوير

متنوعة، والحقول الدلالي هو مجموعة من المفاهيم تنبني على علائق لسانية مشتركة¹، وعرفت الحقول الدلالية عند علماء اللغة: "أما تصنيف للألفاظ المستعملة في نص من النصوص أو لغة من اللغات ترتبط فيما بينها برابط دلالي معين². فالمعاني لا توجد منعزلة في الذهن بل لا بد لفهمها من ربط كل معنى منها بمعنى آخر³ وعرفه أولمان: "بأنه قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عنه مجال معين من الخبرة."⁴ إذن فالحقول الدلالي يمثل جزءا من المعجم ومجموع الحقول الدلالية يشكل المعجم اللغوي لنص ما والمعجم في حد ذاته يتحول إلى حقل بالنظر إلى معجم اللغة ككل، "فالمعجم ليس مجرد خزان ولا مجرد قائمة من الوحدات وإنما هو آلية أو بنية تشتغل فيه بنية من البنى ليست منها فتتحقق فيها. هي البنية الصرفية بآلية الاشتقاق فيها وهي البنية الإعرابية بآلية التعليق فيها وهي البنية التي يكون بها حدوث القوق واندراجه في المقام. فالوحدة المعجمية لا وجود لها إلا من حيث ما تكتسبه من البنية الصرفية (الصيغة) وما تكتسبه من البنية الإعرابية (التركيبية) فالمعجم موجود معدوم أو قل معدوم موجود لأنه يمثل النسيج الرابط بين النظم اللغوية المختلفة..."⁵

ولذلك فالمعجم جامد يجرکه الاستعمال حين تتفاعل العناصر اللغوية من صوت وصرف وتركيب ودلالة، ويمكننا تمثيل اللغة على النحو الآتي:

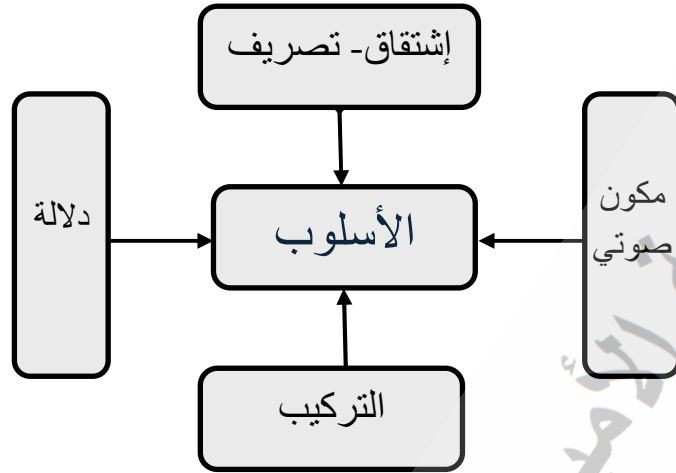
¹ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: نور الهدى لوشن. المكتبة الجامعية الأزارطية، الإسكندرية، دط، دت، ص 372.

² الكلمة دراسة لغوية ومعجمية: حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط2، 1996. ص 192.

³ الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية: عقيد خالد حمودي العزاوي- عماد بن خليفة الدايني البعقوي. دار العصماء، سوريا، 1435هـ-2014م، ص132.

⁴ علم الدلالة، ص79.

⁵ فصول في الدلالة. ص76.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- الحقول الصرفية ودلالاتها:

إن الترابط الذي نجده متكررا بين مصطلحات علم الدلالة يؤكد لنا أن هذا العلم متين في علاقاته الداخلية المبنية على بنية اللغة المتكاملة من صوت وصرف ونحو وبلاغة ولغة، والتشابه في أنواع الدلالات يؤكد أيضا الدور الذي تلعبه تلك المصطلحات التي بني عليها علم الدلالة، لهذا نجد أنواع الحقول الدلالية هي نفسها في أنواع الدلالة: الحقول الدلالية الصرفية، الحقول الدلالية النحوية، الحقول المترادفة والمتضادة، حقول التوارد...¹

فهي تضم الأوزان الصرفية تحت وزن واحد رئيس مثل علم هو فعل ماض رأس الحقل الدلالي الذي يضم مشتقات تلك الكلمة أو الفعل مثل يعلم، وأعلم، وعالم، ومعلم، ومعلوم، وعلام، وعليم، وعلامة... إلخ من الأوزان الاشتقاقية لهذه الكلمة، لذلك لها تسمية أخرى والحقول الاشتقاقية أو الأوزان الاشتقاقية.²

2-1-صيغة التفضيل:

● يلاحظ قارئ النص ومن الوهلة الأولى بروز صيغة التفضيل "أفعل" وهي صفة تؤخذ من الفعل لتدلّ على أنّ شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها³. ولاسم التفضيل أربع حالات⁴ والحالة الوحيدة الواردة في النص هي إضافته إلى معرفة مثل قوله:

● "خلق الله محمدا ﷺ أكمل الناس"⁵،

¹ مصطلحات الدلالة العربية- دراسة في ضوء علم اللغة الحديث-: جاسم محمد عبد العبود. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، 223.

² المرجع نفسه، ص223.

³ جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني. المكتبة العصرية، بيروت، 1425 هـ، 2004 م، ج1، ص143.

⁴ تجرده من "أل" والإضافة، اقترانه بـ"أل"، إضافته إلى نكرة، إضافته إلى معرفة. ينظر المرجع نفسه، ج1، ص145-146.

⁵ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير مج1، ص121.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

● ومثل قوله: "ولكن أكثر المعترفين بوجوده قد نسبوا إليه ما لا يجوز عليه"¹.

● وكقوله: "وإذا كان هذا المقام ثابتا لكل مسلم ومسلمة، وحقاً القيام به - بقدر الاستطاعة- على كل مسلم ومسلمة- فأهل العلم به أولى وهو عليهم أحق، وهم المسؤولون عنه قبل جميع الناس."²

● وكقوله: "ولأن الشرك هو أشر الضلال وأقبحه"³.

تدل هذه الصيغة على أن المفضل يفوق المفضل منه بشيء كبير لدرجة إلغاء المقارنة بينهما، فحين يقول محمد أكمل الناس فكأنه يقول محمد أكمل من كل الناس فهو حكم مطلق، دال على الوصف الثابت للموصوف، ولا وجود لوجه مفاضلة بينه وبين غيره في هذه الصفة.

هذه الأحكام الصادرة من المتكلم توحى بالثقة الكبيرة التي ينطلق منها وأنه متأكد من معلوماته وله دليل قوي عليها، كيف لا، وقد استمدتها من القرآن الكريم والسنة النبوية هذه الثقة الكبيرة أكسبته جرأة في تصنيف مراتب الأمور ونسبة الأفضلية لإحداها دون الأخرى.

وتوحى صيغة التفضيل إلى تطلع ابن باديس إلى الأفضل، ودفع المجتمع إلى مستوى تطلعاته عن طريق الترغيب، لأن النفس البشرية مجبولة على حب الأفضل.

كما تبرز هذه الصيغة ثقة المتكلم بنفسه فهي تعد عاملا نفسيا مهما يستخدمه للتأثير في المتلقين يؤهله إلى قيادتهم إلى السبيل الذي يرى فيه السعادة والنجاة.

ويمكننا أن نصنف صيغ التفضيل التي جاءت في مجالس التذكير إلى صنفين، إيجابي وسلبي، فنجد حضور الصيغة وضدها، مما يدل على حضور الصورتين في الواقع وعمله

¹ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير مج1، ص128

² المصدر نفسه، مج1، 126.

³ المصدر نفسه، مج1، ص 12

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

جاهدا على محاربة السلي منها بإظهار الإيجابي وتشجيعه، وهذا جدول يجمع صيغ التفضيل الواردة في مجالس التذكير:

صيغ التفضيل السلي	صيغ التفضيل الإيجابي
أسوأ	الأفضل
أظلم	الاكمل
أضر	الأنفع
أسفل	الأعلى
أشر	الأمثل
أقل	أكثر
أمر	الأحسن
	الأعظم
	أولى
	أحق
	أعلم
	أقوم
	الأجل
	أشرف
	أحق
	أبلغ
	أشد
	أبين
	أتم
	أعم

2-2-صيغ المبالغة:

هي أسماء مشتقة للدلالة على المبالغة في الوصف وبيان الزيادة فيه، ولم يذكر القدماء حدا لصيغة المبالغة بل أخوا إلى ذلك كقول المبرد: "اعلم أن الاسم على فعل فاعل، نحو قولك ضرب ضارب، فإن أردت أن تكثر الفعل فلتكثير أبنية من ذلك فعّال تقول رجل قتال إذا كان يكثر القتل، فأما قاتل فيكون للكثير والقليل لأنه أصل"¹

ووردت صيغ المبالغة في مجالس التذكير للدلالة على حقول دلالية متنوعة:

● ما تعلق بأسماء الله الحسنى: الرحمن، الرحيم، العليم، القدوس، العزيز، القهار، علام الغيوب...

● ما تعلق بالرسول ﷺ: صبارا شكورا.

● ما تعلق بالمسلمين جميعا: الرجاعين في قوله "جعلنا الله من المتبعين لرضوانه، الرجاعين لكتابه وسنة رسوله، الفائزين منها بالهداية..."²

هذه هي السمات التي يجب ان يتصف بها المسلم اقتداء برسول الله ﷺ "الصبر على البلاء، الشكر على النعم، والتوبة بالرجوع إلى الله تعالى.

وهذا هو حال المسلم على الدوام يكون بين هذه الأوضاع الصبر والشكر والذنب والعودة من الذنب.

¹ المقتضب، ج2، ص113.

² مجالس التذكير، مج1، ص117.

3-المسورات النحوية في مجالس التذكير وأبعادها الدلالية:

3-1-الضمائر:

لغة: تقول العرب ضمير الفرس وغيره ضمورا، وذلك من خفة اللحم.¹
الضمير هو ما كني به عن متكلم أو مخاطب أو غائب.² والضمير الذي يغلب على النص هو ضمير الغائب لأنه الأنسب لتحرير المقال، ولكن هذا لا ينفي توظيفه لضمائر آخر يقتضيها السياق، أو يلجأ إليها سعيا لتحقيق غايات نفسي وأغراض بلاغية.

• **توظيف ضمير جماعة المتكلمين:** اعتمد ابن باديس اعتمادا شبه كلي ضمير جماعة المتكلمين، في الخطابات المباشرة، فلا يختار ابن باديس غيره في مسألة التحذير والتوجيه، وما تعلق بالأوامر والنواهي، ومرد ذلك إلى مراعاته نفسية المتلقين فلا يرو في أنفسهم درجة أدنى منه فيتراجعوا عن النهوض إلى العمل، فيروا أنفسهم هم وإمامهم في زمرة واحدة عليه ما عليهم وله ما لهم، يصيب ويخطئ مثلهم فيحذر نفسه وإياهم.

وفي استعمال ضمير جماعة المخاطبين في التحذير خصوصا رسالة ضمنية من ابن باديس للمتلقين عموما: "أنه ليس شيئا كما عهد الجزائريون شيوخهم الطرقيين الذين نصبوا أنفسهم أربابا على مرديهم، بل هو داع إلى الله مثله مثلهم كل بطريقته وكل لما سخره الله له.

فجعل نفسه واحدا منهم في سياق دعوي كهذا وحملهم على مشاركته للمضي قدما، فيه رفع للإحراج عنهم والحجل، ويمنحهم الثقة في النفس للتغيير نكيف لا وابن باديس واحد منهم، وأن التقصير سمة إنسانية يسعى الإنسان إلى الابتعاد عنها.

وإن الخطاب باستعمال ضمير المخاطبين يراعي -كذلك- بعض النفسيات التي تأخذها العزة بالكفر فيتمادى في فعله تحديا للمخاطب الذي هو من وجهة نظره أنه قد حطّ من قيمته. ويراعي نفسيات أخرى تتسم بالحمول والخذلان، إن ذمها بصفات فيها سيقعد عن

¹ مقاييس اللغة، 3، ص371، مادة (ض م ر)

² حدود النحو: الفكهازي. تح: عبد اللطيف محمد العبد. منشورات المكتبة العصرية، لبنان، 1979م، دط، ص13.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

العمل ولا يقدم خطوة نحو التغيير متراجعا إلى الخلف يائسا من نفسه.

فاختيار ابن باديس لضمير "نحن" كان اختيارا موفقا واختيار العارف بحال المخاطبين، الساعي نحو التأثير الإيجابي فيهم، ليس فقط بالتوجيهات والأوامر والنواهي، ولكنه يتحرى الأساليب المناسبة والألفاظ الملائمة والتطبيق العملي على الواقع المعيش.

ومن النماذج الدالة على لجوئه إلى ضمير جماعة المتكلمين قوله:

● "هدتنا الآية الكريمة إلى أسلوب الدعوة وهو الحكمة.

● فعلينا أن نلتزمها جهدنا حيثما دعونا، ونقتدي بأساليب القرآن والسنة

● وها نحن قد بلغ الحال بنا إلى ما بلغ إليه من الجهل بحقائق الدين...¹ في إشارة منه إلى حال المخاطبين الذين جعل نفسه واحدا منه وخاطبهم بصيغة جماعة المتكلمين "نحن" وليس بصيغة المخاطبين "أنتم" مع أنه لا ينتمي إلى فريق الجاهلين بحقائق الدين، على العكس فهو واحد من الدعاة لإدراك هذه الحقائق ونشرها ودعوة الناس إلى العلم والعمل بها، ومع ذلك كله فإنه عدّ نفسه واحدا منهم لان في ذلك تقريب بينه وبين المتلقين ويضفي عليهم عنصر المشاركة لمقاومة هذه الحال والتحرر إلى حال أخرى أفضل.

■ "فلنحذر من أن يطغى علينا خلق المدافعة والمغالبة فنذهب في الجدل شر مذاهبه وتصير الخصومة لنا خلقا، ومن صارت الخصومة له خلقا، فأصبح يندفع معها في كل شيء ولأدنى شيء لا يبالي بحق ولا باطل."²

■ ولما كان هو عليه الصلاة والسلام قدوتنا، فنحن مخاطبون بأن نكون مثله في عموم رحمته وشفقته وعدله وبره وإحسانه، نفعل الخير عاما، كما تعم خيرات الله تعالى العباد، نفعله لأنه خير نستطعم لذته، غير منتظرين جزاءه إلا من الله.³

¹ مجالس التذكير، مج1، ص140.

² المصدر نفسه، مج1، ص149.

³ المصدر نفسه، مج1، ص177.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

■ نهينا عن أن نتبع ما ليس لنا به علم، فالذي نتبعه هو ما لنا به علم، أي لنا علم يقتضي اتباعه.

■ استعمال ضمير المخاطب المفرد: يكاد يغيب ظهور ضمير المخاطب المفرد في مجالس التذكير، وينوب عنه ضمير جماعة المتكلمين في حالة الأمر، باستعمال صيغة الفعل المضارع المقترى بلام الأمر.

ومن نماذجه في سياق الأمر قوله:

- واحذر أن تعتمد على شيء غير عبادته.
- واحذر أن تتوجه بشيء من عبادتك لغيره.
- ومن عبادتك - بل هو مخ عبادتك - دعاؤك وسؤالك واستغاثتك، فإياك إياك أن تتوجه بشيء منه لغيره.
- فكن دائما عبدا لله، وكن دائما عبدا له، فذلك حقه عليك، وذلك السبب الوحيد الذي ينجحك ويعليك.¹
- انظر إلى هذه الحكمة في هذا الترتيل كيف كان تنزيل آياته على حسب الواقع، أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجمع وخطبائها في توحيهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟ بلى والله بلى والله.²
- فأقبل يا أخي على القرآن: على استماعه وعلى تفهمه، والزم ذلك حتى يصير عادة لك ومملكة فيك تر من فضل الله وإقباله عليك ما يدنيك - إن شاء الله - ويعليك ويعود بالخير الجزيل عليك.³

¹ مجالس التذكير، مج 1، 186-187.

² المصدر نفسه، مج 2، ص 58-59.

³ المصدر نفسه، مج 2، ص 165.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

يبدو واضحا عناية ابن باديس في اختياره للقلب الذي يمرر فيه أفكاره، مراعيًا نفسيات المتلقين، واستعداداتهم للتلقي والاقناع والتطبيق، بعد ملاحظة الاطراد في تعامله مع الضمائر بين جماعة المتكلمين والمخاطب المفرد، إذ يطرد في مجالس التذكير، عدوله عن توجيه الأمر إلى المخاطب المفرد، وينوب عنه النمط لام الأمر + فعل مضارع + ضمير جماعة المتكلمين

-فكما تمت الإشارة آنفا- أن النفس البشرية تأبى الأوامر المباشرة، وتستجيب أكثر لما تحسه اختياريًا لا إجباريًا، وما جاء في النماذج ذات النمط فعل أمر + ضمير المخاطب المفرد

يتفرع إلى صنفين أولهما ما جاء في باب تصحيح العقيدة وهو ما لا خيار للمتلقي في قبوله أو رفضه، فهو أساس الدين، ومادام المتلقي المعني بخطاب ابن باديس من المسلمين فعليه أن يدرك عظم الأمر ومكانته، وأن يحس شخصيًا أن الخطاب موجه له بعينه وعليه بالامتثال له. أما الصنف الثاني فالأمر فيه تعليمي يطالب من خلاله المخاطب بتطوير وضعه الديني، والنهوض عن الخمول الذي كان يعانيه المجتمع الجزائري، انظر، اقبل هي أفعال قعد عنها المجتمع واستسلم للتبعية المطلقة للشيوخ وطقوسهم أو للمستعمر الأروبي ومدنيته، فجاءت الأوامر فردية ليبين أنها فرض عين لا فرض كفاية وكل واحد مكلف بهذه الواجبات الدينية من اعمال للفكر والتبصر في أمور الدنيا والاقبال على القرين الكريم وجعله منهج حياة.

3-2- أسماء الإشارة:

لغة: الإشارة هو مصدر الفعل أشار، وله عدة معان، إذ يقال: "أشار الرجل يشير إشارة: إذا أوماً بيده، وأشار عليه بالرأي، وأشار يشير إذا ما وجّه الرأي، وأشار النار دفعها..."¹

¹ لسان العرب، مادة (ش ور)

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

- اصطلاحاً: عرفه الفكهاني بأنه "اسم مظهر دلّ بإيماء على حاضر أو متزل متزلته".¹
- "وهو مادّل على معين بواسطة إشارة حسية باليد ونحوها، إن كان المشار إليه حاضراً، أو إشارة معنوية إذا كان المشار إليه معنى أو ذاتا غير حاضرة".²
- فاستعمال اسم الاشارة يستدعي الحضور الفعلي، أما استعماله للاشارة إلى الغائب، ففيه دلالات وتأويلات تتضح من السياق. وهذا من قبيل قول ابن باديس.
- هذا نبينا ﷺ نور وبيان، وهذا كتاب نور وبيان.³
- وقد منّ الله على بفضلته على عباده بهذا النبي الكريم والكتاب العظيم.⁴
- وأشار إلى حال خطبة الجمعة في زمانها وانتقد للطريقة السطحية التي تسجع به قائلًا: "هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم شعائر الإسلام....."⁵
- وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخذُولًا﴾ [الإسراء:22] هذا هو أساس الدين كله، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تتقبل الأعمال إلا به.⁶

■ وتحدث ابن باديس في المقال المعنون بـ "من وعد الله للصالحين" بشدة عن المفسرين الذين أخرجوا لفظ المصلحون في الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:105]، عن مدلوله الصحيح إلى مدلول يتنافى ومقاصد الشريعة ويتنافى مع السياق فجعلوا من لفظة الصالحون تعني الصالحين لعمارة الأرض مهما كانت معتقداتهم وأفعالهم، فبعد أن عدّ المهالك التي أوقعتها المدنية الغربية

¹ شرح الحدود النحوية، ص 117.

² جامع الدروس العربية: ص 95.

³ مجالس التذكير، مج 1، ص 111.

⁴ المصدر نفسه، مج 1، ص 114.

⁵ المصدر نفسه، مج 1، ص 145.

⁶ المصدر نفسه، مج 1، ص 183.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

بقوله " كأن عمارة الأرض هي كل شيء ولو ضلت العقائد، وفسدت الأخلاق، واعوجت الأعمال، وساءت الأحوال، وعُذبت الإنسانية بالأزمات الخائفة، وروّعت بالفتن والحروب المخربة الجارفة.¹ توجه إلى المتلقين في خطاب مباشر أقرب منه إلى الكتابة النصية موظفا اسم الإشارة "هذه" مستهجننا المدنية الغربية من جهة ومستنقضا من صنيع من فسر الآية على هذا الوجه والعدل والرحمة والإحسان. وإصلاح الإنسان ليصلح العمران.² قائلا: " هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكو منها أبناء هذه المدنية المادية التي عمرت الأرض وأفسدت الإنسان، ثم يريد هذا المحرف أن يطبق عليها آية القرآن: كتاب الحق في فقرة يغلب عليها طابع الحدة ويظهر فيها ابن باديس بصورة الرجل الغيور على دينه وحريص على تنقيته مما يشوبه من تأويلات لا يترتب عنها إلا تراجع المجتمع وتدهور أوضاعه، وتخاذله عن العمارة الحقيقية للأرض التي تنبئ على عبادة الله.

■ تصبح الفكرة وكأنها صورة واضحة جليلة أمامه وينقل ذلك بالتبعية للمتلقين، فهو استحضار للغائب حتى يصبح وكأنه شاهد للعيان، وإن اسم الإشارة من أعلى مراتب المعارف لدلالة اسم الإشارة على المشاهدة العينية، فتصبح المجردات أو الغائب زمينا يشار إليهم كما يشار للشاهدات. فتحدث الاستزادة من العلم ويسهل التحصيل إذن فهي من الأدوات التعليمية التي يلجأ إليها المعلم لنقل طلبته من الغائب إلى الحاضر، فالقيمة البلاغية لتوظيف أسماء الإشارة في مثل هذه السياقات معلومة عند ابن باديس وقد تطرق إلى ذلك في معرض تفسيره للآية 108 من سورة يوسف فيقول: " فلهذا أمر الله نبيه ﷺ أن يبين سبيله بيانا عاما للناس لتتضح المحجة للمهتدين، وتقوم المحجة على المهالكين، أمره أن يبينها البيان الذي يصيرها مشاهدة بالعيان، ويشار إليها كما يشار إلى سائر المشاهدات، فقال له: {قل هذه سبيلي} "³

¹ مجالس التذكير ، مج1، ص400

² المصدر نفسه، مج1، ص400

³ المصدر نفسه، مج1، ص121.

3-3- استعمالات "لو" ودلالاتها:

كثير ظهور "لو" في مجالس التذكير ومع أن دلالاتها متنوعة إلا أن ظهورها اقتصر على دلالة، ومن نماذج توظيفها قوله:

● فإذا سخط النفوس بإيتاء حق القريب، ومرنت عليه، اعتادت الإيتاء وصار من ملكاتها، فسهل عليها إيتاء كل حق ولو كان لأبعد الناس.¹

● اقتصر إذن توظيف ابن باديس " لو " على الدلالة على التقليل، وارتبط مدلولها بقضايا تتعلق بالعتيدة، لبيان للمتلقي أن العتيدة يجب أن تكون نقية كما جاء بها سيدنا محمد ﷺ، وأن أي خلل يشوبها من نقص أو زيادة، هو ضرب كلي للعتيدة.

● فالأداة " لو " حملت وظيفة التحذير من إدخال في العتيدة ما ليس منها ولو كان قليلا، مما يبرز حرصه الكبير على تطهير العتيدة مما شابها من تحريف إفراطا أو تفريطا.

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 218.

المبحث الثاني: البعد الحجاجي في مجالس التذكير

فالدلالة التركيبية هي الدلالة المتعلقة ببنية الجملة، والقرائن النحوية هي الوسائل المساهمة في الكشف عن المعنى التركيبي أي تنتج عن طريق النظم بضم وحدات التركيب بعضها إلى بعض في سياق لغوي وحالي معين.

1- الجملة:

لغة: جاء في لسان العرب: " والجملة واحدة الجمل، وجماعة الشيء وأجمل الشيء جمعه بعد تفرقه، وأجمل له الحساب كذلك والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره يقال أجملت له الحساب والكلام، وقد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة.¹

اصطلاحاً: عرفها الشريف الجرجاني (ت816هـ): الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد، كقولك: زيد قائم، أو لم يفد كقولك: إن يكرمي، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً.²

واختلف النحاة القدماء في تعريفهم الجملة والكلام، بين جعلهما مترادفين أم لا، محتكمين في ذلك إلى العلاقة الإسنادية من جهة وإلى الحكم على المنطوق بالإفادة من عدمه. أما المحدثون فقد عرفها مهدي الخزومي: " أنها الصورة اللفظية للفكرة"³ فهي الوعاء الحامل للأفكار من ذهن المتكلم إلى سمع المتلقي. " وهي تتألف من من المسند إليه والمسند والرابط بينهما وهو الإسناد."⁴ واشترط تمام حسان في الجملة تحقق الفائدة إذ يقول " والجملة كلام والكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، أي المفيد بحكم أصل وضعه، لأن

¹ لسان العرب: مادة (ج م ل)

² التعريفات: الشريف الجرجاني. ضبطه وصححه مجموعة من العلماء. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ط1، ج1، ص78.

³ في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي الخزومي. المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1964، ط1، ص80.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص28.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذير

الأصل في الكلام أن يكون لفائدة"¹.

● **الجمل الفعلية والاسمية:** قسم النحاة الجملة إلى اسمية وفعلية ولكل من هاتين الجملتين ركنان أساسيان:

المسند إليه: وهو المبتدأ الذي له خبر أو الفاعل أو نائبه.

المسند: وهو المبتدأ الذي له فاعل أو نائب فاعل يسد مسد الخبر، أو الخبر في الجملة الاسمية أو الفعل في الجملة الفعلية.

بالنظر إلى تمييز القدماء بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية نجد أنهم احتكموا إلى مرتبة المسند والمسند إليه فجملة من قبيل طلع البدر والبدر طلع جملتان، أولهما فعلية لابتدائها بالفعل والثانية اسمية لابتدائها باسم. وقدم فضل حسن عباس تمييزاً بين الجملتين يتوافق مع ما ذهب القدماء قائلًا:

"الجملة الاسمية إذا كان الخبر فيها اسماً مفرداً، مثل الضوء ساطع أو جملة اسمية مثل الله فضله عظيم فهي تفيد الثوب، وربما تفيد الدوام بالقرائن.

وإذا كان الخبر فيها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد.

أما الجملة الفعلية فإنها تفيد الحدوث: يجئ الشتاء، يفوز المجتهد، يكافأ المتفوقون، وقد تفيد الاستمرار بالقرائن: يهنأ الموظف ما ظلّ بعيداً عن الرشوة."²

وهو ما رفضه المحدثون واعتبروه فصلاً لفظياً صناعياً تعسفياً. لا يراعي الجانب الدلالي.

فقدم المحدثون البديل الذي رأوا فيه القدرة على التمييز المعنوي بين الجملتين الاسمية والفعلية. ومن هذه البدائل ما قدمه مهدي المخزومي " الجملة الفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدد، أو التي يتصف فيها المسند إليه اتصافاً متجدداً أي هي التي يكون فيها

¹ الأصول دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000، دط، 130.

² البلاغة فنونها وأفانها- علم المعاني- فضل حسن عباس. دار النفائس، الأردن، ط12، 2009، ص94.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية ودلالاتها في مجالس التذكير

المسند فعلا لأن الدلالة على التجدد دوما تستمد من الأفعال وحدها.

أما الجملة الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت... أي التي يكون فيها المسند اسما.¹

1-1- الجمل الفعلية والاسمية في مجالس التذكير ودلالاتها: عماد بناء النصوص هو

المسند والمسند إليه، ولذا سماهما القدماء عمدة، فلا غنى عنهما، فتنوع الجمل في النص بين الاسمية والفعلية حسب ما يريده المتكلم وما يقتضيه الخطاب.

ووظف ابن باديس الجمل الفعلية والاسمية في مجالس التذكير بنسب متفاوتة يتناسب والغرض المرجو من الجملة، وهذا عرض لبعض منها:

■ كل الناس في هذه الحياة حارث وهمام: عامل ومريد، فسفيه ورشيد، وشقي وسعيد.²

هذه الجمل الاسمية المتوالية تلخص صورة الناس في هذه الدنيا، حسب ما يراه ابن باديس، وأن الجملة الاسمية تدل على الثبات، جاءت مناسبة للفكرة التي في ذهنه، وهي ثبات الناس على هذه الأحوال دون غيرها.

أما حين ذكر التنوع بين هؤلاء حسب اختياراتهم وإرادتهم اختار الجمل الفعلية " منهم من يريد بأعماله هذه الدار العاجلة والحياة الدنيا، عليها قصر همه، وعلى حظوظها عقد ضميره، جعلها وجهة قصده، ونصبها غاية سعيه، لا يرجو وراءها ثوابا، ولا يخاف عقابا، فهو مقبل عليها بقلبه وقالبه، معرض عن غيرها بكليته، فلا يجيب داعي الله بترغيب ولا ترهيب، ولا يتقيد في سلوكه بشرائع العدل والاحسان.³

¹ في النحو العربي - نقد وتوجيه -: مهدي المخزومي. ص 41-42.

² مجالس التذكير، مج 1، ص 160.

³ المصدر نفسه، مج 1، ص 160.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية ودلالاتها في مجالس التذكير

- الجملة الاسمية والقواعد الثابتة: عدم اقتران الجملة الاسمية بالزمن منحها صفة الثبوت، والثبوت أنسب للقواعد، لأن القاعدة ثابتة في مضمونها فحري بها أن يختار لها القالب الدال على ذلك. وهذه نماذج لبعض الجمل الاسمية التي تشكل قواعد عامة:
 - من الدين الاقتداء بأهل العلم والعلم والاستقامة في الهدى والسمت.¹
 - ومن طبيعة ملك النبوة التزام الحق ونصرته حيثما كان، بإقامة ميزان العدل، في القول والحكم والشهادة بين الناس أجمعين، المعادين والموالين.²
 - في الكتاب والسنة البيان الكافي الشافي للجدال بالتي هي أحسن كما فيهما البيان الكافي الشافي للحكمة والموعظة الحسنة.³
 - الوحي هو المرجع الوحيد لبيان دين الله.⁴
 - الباطن أساس الظاهر.⁵
- فمثل هذه الجمل الاسمية الدالة على الثبوت إذ هي تأخذ حكم القواعد العامة الثابتة، التي لا تتغير، خاصة وأنه مسها تقديم المسند الاسمي على المسند إليه، فأصبح مقصورا عليه، لزيادة التأكيد.
- ومثل هذه العبارات متكررة في مجالس التذكير، مما يشير إلى الثوابت التي يقوم عليها هذا النص المستقى من كتاب الله عز وجل، لتكون قاعدة متينة يطل منها الإنسان على العالم الدنيوي والأخروي.
- إن صفة الثبوت تحمل من الدلالات ما يفتح الآمال أمام المجتمع الجزائري، الذي يعيش

¹ مجالس التذكير، ج 1، ص 172.

² المصدر نفسه، مج 2، ص 192.

³ المصدر نفسه، مج 1، ص 147.

⁴ المصدر نفسه، مج 1، ص 283.

⁵ المصدر نفسه، مج 1، ص 368.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

حالة من اللاتوازن والتأرجح بين الخضوع والاستسلام أو المقاومة، بين الانسلاخ من الأصول الجزائرية والاكْتساء بالثوب الفرنسي، هذا الثبوت يعد مصدر ثقة، ومصدر إلهام للحيارى بين هذا وذاك.

في مثل هذه الاختيارات تظهر صرامة ابن باديس في توظيفه للغة العربية وحرصه على استغلال عبقرية هذه اللغة في تنوع الدلالات بل وتوليدها.

• التنوع بين الجمل الاسمية والفعلية:

■ المقصود الأساسي من الآيات هو تحذير الخلق من الهلاك، وترغيبهم في النجاة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالفرار إلى الله. فمهد لذلك بالآيات الثلاث الأولى للترغيب فيه، وختم بالخامسة لبيان الفرار الصحيح المنجي عند الله.¹

■ وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:20]: إن هذه الموجودات كلها، علويها وسفليها، مشمولة برحمة الله، مغمورة بنعمته. وأول تلك النعم هو وجودها، وذلك الوجود من مقتضى مقتضى الرحمة. ثم تتنوع تلك النعم الرحمانية بتنوع أجناس الموجودات وأنواعها وأصنافها وأفرادها، وتتفاوت أيضا حسب ذلك. وينال كل حظه منها بتقدير الحكيم العليم.²

حين تحدث ابن باديس عن الموجودات وعن النعم اختار لها قالب الجمل الاسمية، لدلالاتها على الثبوت والدوام، وحين تحدث عن تنوع الموجودات واختلافها وضعها في قالب الجملة الفعلية لدلالاتها على التجدد.

■ الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار: طور الشباب، وطور الكهولة وطور الهرم.

فيشمل الطور الأول نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها مستعدة للكفاح والتقدم في

ميدان الحياة.

¹ مجالس التذكير ، مج2، ص311

² المصدر نفسه ، مج1، ص174.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

ويشمل الطور الثاني ابتداء أخذها في التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة السلطان، إلى استكمالها قوتها وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك بما كان فيها من مواهب، وما كان لها من استعداد، وما لديها من أسباب..

ويشمل الطور الثالث ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال، إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال. إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال.¹

في هذه الصورة التي بنين من خلالها ابن باديس الأمم نجد توظيفاً راقياً وانسجاماً للقوالب اللغوية مع الأفكار. ابتدأت الفكرة بجملة فعلية - الأمم تمر - فحدث المرور يدل على الحركية، ولأن الأمم في تطور فهذا يستدعي الفعل لا الاسم الدال على الثبات. والمسند " تمر " فعل مضارع والمضارع يدل على التجدد والاستمرار.

ثم تتوالى التصنيفات والتشبيهات في شكل تقابلي بين الإنسان والأمم، فجاءت الجمل خالية من الأفعال - إذا ما استثنينى العبارات الدالة على التقسيم من قبيل ويشمل الطور.. والمصدر المؤول في قوله: أن يبلغه وأن يحل

تتوالى في المصادر (نشأتها-استجماعها- التقدم-أخذها- الاضمحلال- الانتشار- استكمال- استعداد-ابتداءها- التقهقر-الضعف- الانحلال -انقراضها- اندراسها.

فالمصادر أحداث غير مقترنة بزمن، والحدث حركة دالة على التطور، هذا التطور ارتبط بحياة الأمم من الميلاد إلى الشيخوخة، وعدم اقترانها بالزمن دال على ثبات الحدث، بتكراره مع كل الأمم وفي كل زمن، فتسحب الدلالة الثابتة على كل الأزمنة.

● الجمل الاسمية والفعلية في عناوين مجالس التذكير: اختيار العنوان مهمة صعبة يقف أمامها الكاتب مطولاً، حتى ينتقي من الألفاظ ما يلائم معانيه ويلائم تطلعات المتلقين، وقد

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 304.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

تم التفصيل مسبقا - في الفصل الأول- في العنوان وطريقة اختيار العنوان.

أما فيما يتعلق بالاسمية والفعلية في عناوين مجالس التذكير فوجدتها وضعت - أغلبها- في قالب الجملة الاسمية. وصيغت على شكل ثنائية المسند والمسند إليه الاسميين. وفي ذلك إشارة ضمنية لحالة الثبوت.

فالدعوة التي جاء بها ابن باديس هي دعوة ثابتة على الحق، وثابتة المبادئ والأصول.

فإن عنوان "القرآن شفاء للنفوس" يدلّ على ثبوتية الشفاء للقرآن في كل زمان ومكان وحال، بخلاف لو كان العنوان "القرآن يشفي النفوس" لدلت على التجدد ولارتبطت بزمن دون آخر، والقصد يبتفق مع المعنى الأول أكثر من اتفاه مع المعنى الثاني.

أما عنوان "القرآن يصف عباد الرحمن" هو العنوان الوحيد الذي جاء في قالب الجملة الفعلية، والجملة الفعلية - كما ذكر آنفا- تدل على الحدوث، ودلالاتها في العنوان تتجاوز الحدوث إلى التجدد والاستمرارية، فالفعل المضارع "يصف" يدل على الزمن الحاضر والقرآن دائم الحضور لا يزول إلى أن يرث الله الدنيا وما عليها، إذن فقد جمع العنوان بين دلالاتي الثبوت للقرآن ولعباد الرحمن واستمرارية وجودهم من جهة وتجدد قراءات القرآن وانفتاح عطاءاته عبر الزمن، ففي كل زمن يتجدد تتريل الآيات على الواقع، فتنتفح رؤى جديدة من القرآن الكريم يفتح بها الله على الخاصة من عباده الصالحين.

1-2-الجملة الشرطية: ورد في معجم المصطلحات النحوية والصرفية أنّ الشرط

معنى: "تعليق شيء بشيء، حيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وهو أسلوب له مكوناته وأركانها وهي: الأداة وفعالان، وحصول الثاني منهما مترتب على حصول الأول، فهو جوابه وجزاؤه."¹

لم يظهر مصطلح الجملة الشرطية بصريح اللفظ عند سيويو إمام المدرسة البصرية ولا

¹ معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي. مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت، ص114.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

عند الفراء 208 هـ . " ولعل الفضل يعود للزمخشري في ابتكار هذا المصطلح والاقرار ضمناً باستقلالية هذه الجملة عن الجملتين الاسمية والفعلية¹، ومن المتأخرين الذين استعملوا هذا المصطلح أبو حيان الأندلسي النحوي فقال "لو قيل ربط الجملة الشرطية بالمضارع له طرفان أحدهما بجزمه والآخر بالفاء برفعه لكان قولاً... وعرفها النحاة بأنها "الجملة المصدرية بأداة شرط" ، فنحو: العدد إما زوج أو فرد ليس بجملة شرطية عندهم.. والقول بأن الجملة الشرطية هي التي تبدأ بأداة الشرط، مثلها في ذلك مثل الجملة الاسمية التي تبدأ باسم الجملة والفعلية التي تبدأ بالفعل.

تظهر قيمة الأسلوب الشرطي في الاستعمال لما تحمله من ترابط مستمر بين طرفي الجملة، فلا تستقل إحداها عن الأخرى إيجاباً أو سلباً، وغالباً ما يظهر أسلوب الشرط في الخطابات التوجيهية الدينية أو التعليمية التي تضع المخاطب في موضع الاختيار مع تبيان تعلق النتيجة بتوفير الأسباب.

والأسلوب الشرطي في الاستعمال نوعان:

✓ شرط باستعمال الأداة الجازمة أو استعمال الأداة غير الجازمة.

✓ شرط يفهم من السياق والقرائن الحالية.

نماذج عن توظيف الجمل الشرطية في مجالس التذكير:

■ لولا دعاؤكم ما عبأ بكم.²

■ الإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا

عن أسباب العذاب.³

■ فإذا فعلوا هذا وصمدوا إليه وجاهدوا أنفسهم في حملها عليه، كانوا شاكرين

¹ التراكيب الاسنادية: علي أبو المكارم. مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2007، ص141.

² مجالس التذكير، مج2، ص182

³ المصدر نفسه، مج1، ص310.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

مشكورين على تفاوهم في منازل العاملين عند رب العالمين.¹

■ فإذا سخت النفوس بإيتاء حق القريب، ومرنت عليه، اعتادت الإيتاء وصار من ملكاتها، فسهل عليها إيتاء كل حق ولو كان لأبعد الناس.²

1-3- الجمل الاعتراضية:

الاعتراض لغة: "المنع يقال: اعترض الشيء، صار عارضا كالخشب المعترضة في النهر، يقال: اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه."³

الاعتراض هو الاتيان بجملته أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصالا معنى لنكتة غير دفع الإيهام كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل 57] فقوله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ اعتراض لتزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها...³

يوظف ابن باديس الجمل الاعتراضية في مجالسه بطريقة مستفيضة، مشكلة ظاهرة بارزة في النص، لا تكاد تخلو الصفحة الواحدة من الاعتراض أكثر من مرة. " فمن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتامه، كلام لا يكون إلا مفيدا.

وهذه الظاهرة تغيب في خطابه " وذلك لما يلابس هذا الجنس الأدبي من حيثيات الإلقاء والإصغاء، مما يجعل الخطيب يحرص على توصيل أفكاره إلى جمهوره بطريقة يتحاشى فيها - قدر الإمكان - خاصية الاعتراض ليوفر التسلسل لأفكاره ويضمن التواصل السليم بينه وبين المتلقين فيساعدهم ذلك على حسن المتابعة وحسن الاستيعاب.⁴

وتوظيف الجمل الاعتراضية لم يكن اعتباطا، بل له مبرراته وغاياته التي دفعت إلى ذلك،

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 173.

² المصدر نفسه، مج 1، ص 218.

³ الاتقان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي. دار الحديث، القاهرة، 1427هـ - 2006م، دط، ج 3، ص 190

⁴ أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 2، ص 156.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

فللاعتراض أغراض بلاغية متنوعة يكشفها السياق ذكر منها ابن هشام " المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا"¹ فيأتي المتكلم بالاعتراض لإفادة أو التأكيد أو التحسين والتجميل، أو التخصيص.

ومن نماذج هذه الجمل الاعتراضية قوله:

● ونحن - معشر المسلمين- قد كان منا للقرآن الكريم هجر كثير في الزمان الطويل. وإن كنا به مؤمنين"² والغرض منه التخصيص وهو من الأساليب العربية البليغة التي يوظفها العربي لتخصيص المذكور وبيان المقصود من الضمير المخاطب أو المتكلم.

● وفي جامع الزيتونة -عمره الله تعالى- إذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويح في درس التفسير، فإنه -ويا للمصيبة- يقع في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه في القواعد.....³ والغرض منه الدعاء وتبيان قيمة المذكور ومكانته في نفس المتكلم.

● وقال الذين كفروا - وهم قريش أو اليهود أو الجميع، وهو الظاهر، لأن قريشا واليهود كان يتصل بينهم الكلام في شأن النبي ﷺ وشأن القرآن- قالوا معترضين ومقترحين: لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة وغيرها، ونزل عليه متفرقا؟⁴ والغرض منه التوضيح والتفسير حتى يتضح المقصود بالحكم.

● ومما يثبت قلوبهم أيضا رجاؤهم -إذا أخلصوا النية وأحسنوا الاقتداء- فيما يكون لهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل في جهادهم على قلتهم، وفيما يكون لهم من الثواب كذلك فيمن اهتدى بهم.⁵ والغرض منه تقييد مطلق الحكم بالشرط.

¹ مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري. تحقيق وشرح: عبد اللطيف محمد الخطيب. الكويت، 2000، ط1، ج5، ص56.

² مجالس التذكير، مج2، 43.

³ المصدر نفسه، مج2، ص45.

⁴ المصدر نفسه، مج2، ص53.

⁵ المصدر نفسه، مج2، ص70.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

● وهذا الأدب الاسلامي - وهو التروي عند القول، واجتناب السيء، واختيار الأحسن- ضروري لسعادة العباد وهنائهم.¹ والغرض منه التوضيح والتعليم، فالغاية التعليمية حاضرة بقوة في مجالس التذكير لأن ابن باديس قبل أن يكون مفسراً أو صحفياً فهو معلم.

● ومن عبادتك - بل هو مخ عبادتك- دعاؤك وسؤالك واستغاثتك، فإياك إياك أن تتوجه بشيء منه لغيره. فكن دائماً عبداً لله، وكن دائماً عبداً له، فذلك حقه عليك، وذلك السبب الوحيد الذي ينجيك ويعليك.² والغرض منه التأكيد.

● ولن يزال العبد -غير المعصومين عليهم الصلاة والسلام- تغشاه ظلمات الشبهات والشهوات، فيحتاج إلى دلالة الله وتوفيقه، ليخرج منها إلى نور الإيمان والاستقامة.³ إسناد الحكم إلى أهله وإخراج من هم غير معنيين به، ودفع التوهم.

2-تنوع الأساليب البلاغية وأبعادها الحجاجية:

يسعى القرآن الكريم إلى الغوص في أعماق النفس البشرية والتأثير فيها وتوجيهها نحو الطريق المستقيم الذي يحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة، وقد تنوعت لذلك أشكال التعبير القرآني، فالبشر مختلفون في طبائعهم واستعداداتهم فمنهم من تقنعه البراهين والحجج العقلية ومنهم من يتأثر بالترغيب والترهيب ومنهم من يتأثر بالقصة وما فيها من تأثير وجداني، إن هذا التأثير لمستته العرب منذ اتصالهم الأول بالوحي، فلم يقدرُوا على تصنيف هذا الخطاب أو وصفه، وقد اجتهد العلماء المسلمون محاولين البحث عن مواطن البيان والجمال في القرآن الكريم حتى اشترك غالبيتهم في فكرة بلاغة نظمه، ومن شرفه أخذ هذا العلم شرفه، وأصبح غاية تربي وتشدُّ لها الرحال، مع أنه في بداياته كان يقوم على التحكيم الدوقي إلا أنه مع الأزمنة كتبت فيه المجلدات وصنف فيه المؤلفات وأسس له علم يقوم على

¹ مجالس التذكير، مج1، ص279.

² المصدر نفسه، مج1، ص186-187.

³ المصدر نفسه، مج1، ص117.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذير

المصطلحات والتعريفات.

ومع عصر النهضة وبروز الفكر الإصلاحى، وتبنى المصلحين فكرة الرجوع إلى القرآن لأن فيها حلا للأزمات التي يعاني الفرد المسلم والأمة الإسلامية على الصعيد الاقتصادي والسياسي والحضاري... فالرجوع لا يتجزأ فكما هو رجوع للأفكار هو رجوع أيضا للألفاظ والتراكيب والعبارات، لذلك نجد لغة الإصلاحيين لا تخلو من ألفاظ القرآن الكريم، وأساليبهم من ظلال كلام الله عزّ وجل، يقتفون أثر القرآن الكريم لأنه الكمال والجمال، لذلك برزت في كتاباتهم وفي كتابات ابن باديس بالتحديد أساليب بلاغية يلجأ إليها قصدا لتحقيق الغاية الجمالية بغية التأثير والإقناع.

الإقناع هو العملية الكلامية التي تستهدف التأثير العقلي والعاطفي في المتلقي والجمهور قصد تفاعله إيجابيا مع الفكرة أو السلعة المعروضة عليه لاعتماد الحجج والبراهين الإثباتية عبر وسائط طبيعية أو صناعية.¹ وهو غاية كل رسالة يرسلها المرسل إلى المتلقي، لذلك يستثمر آليات الحجج المختلفة والمتنوعة ليحقق هذه الغاية. " فيصبح الحجج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها فينتج عن ذلك أنه حينما وجد خطاب اللغة فإن ثمة إستراتيجية معينة نعد إليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا وهذه الاستراتيجية في الحجج نفسه وهي تستمد خصائصها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية² وتتفاوت درجة توظيف آليات الحجج من نص إلى آخر حسب نوع النص والفكرة التي يحملها وحسب المرسل والمتلقين لهذه الرسالة. ولذلك نجد بارزا في النصوص العلمية والاشهارية أكثر منه في نصوص الوصف والقص³.

¹ رتيبة محمدا بولوداني: مقال آليات الحجج والتواصل في ضوء النظرية التداولية. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد16، ص100.

² الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي: عمارة حاكم. دار العصماء، سورية، ط1، 2015م، ص141.

³ ينظر: الحجج بين النظرية والأسلوب - عن كتاب نحو المعنى والمبنى: باتريك شارودو. تر: أحمد الوديني. دار

الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، ص19.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولالاتها في مجالس التنوير

أما المدونة التي ننقب فيها عن آليات الحجاج فهي مدونة تفسيرية تستمد مادتها من القرآن الكريم، المرسل فيها هو عبد الحميد بن باديس والمتلقي هو الشعب الجزائري بتنوع طبقاته وأفكاره وآرائه وتوجهاته ومستوياته العلمية ومدركاته المعرفية، وتأثره بسياسة المستعمر الإدماجية من جهة وسيطرة الطرقية من جهة أخرى.

ينطلق ابن باديس في فكره الإصلاحية من فكرة مفادها أن القرآن هو الحل وعمل جاهدا على نشر هذه الفكرة وكسب طبقة جماهيرية واسعة تحت لواء هذا الفكر الإصلاحية المستمد منهجه من رؤية القرآن الكريم للعالم.

إنّ علوم اللّغة العربية بكلّ اتجاهاتها وتخصصاتها مدينة للقرآن الكريم في ظهورها وتطورها فورع الواعين والمدرّكين لقيمتها جعلهم يدركون الحاجة الماسّة إلى ما يحفظها بعد أن ضاعت الملكة الفطرية في حضمّ الاختلاط وكثرة الامتزاج مع الوفود غير العربية حديثة الإسلام.

فعلوم اللّغة العربية كلّ متكامل أصلها واحد، وكلّها تصبّ في معين واحد، وتعمل جاهدة لتحقيق غرض سام وهو حفظ القرآن الكريم من اللّحن، وفهم معانيه وإدراك مواطن الإعجاز فيه. وإنّ الفصل بين هذه العلوم والتعامل معها على أنّها تخصصات منفصلة عن بعضها البعض، لم يظهر إلّا في مرحلة متأخرة من التآليف اللغوية فالأصل "أن ننظر إلى اللّغة نظرة متكاملة لا يستقل فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال ومقاصد المتكلمين"¹، وكتاب سيبويه نموذج واضح لذلك إذ نجد بين طياته: "الوقوف على نظم الكلام وتأليفه، وبسبب هذا الفهم كانت عنايته في الكتاب بدراسة أساليب العرب، والتعرف على الخصائص الأسلوبية له مثل التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والمعاني المختلفة للأدوات والحروف، وأثر ذلك كله في صحة النظم أو فساده."² كما يظهر هذا الجمع في ذروته عند صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني (473هـ) إذ يؤكّد

¹- في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: خليفة بوجادي. بيت الحكمة، الجزائر، 2012م، ط2، ص128.

²- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس إسماعيل الأوسي، بين الحكمة، بغداد، دت، ص30.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

من خلالها العلاقة الوثيقة بين علمي النحو والبلاغة " فليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها.¹

فالزينة في جمال البيان وبلاغته تعود إلى توشي معاني النحو، ويعدّ علم المعاني أحد الفروع الثلاثة لعلم البلاغة أكثر العلوم اتصالا وارتباطا بعلم النحو. والأساليب كانت وما تزال عنصرا مشتركا بين مصنفات النحويين والبلاغيين كلا منهما يدرسه على منهجه الخاص به.

2-1- مجالس التذكير بين الخبر والإنشاء:

• الأساليب الخبرية والإنشائية: ينوع المتكلم في كلامه بين الخبر والإنشاء متحريرا في ذلك ما يناسب المقام والسياق، ومجالس التذكير بعده نصا يندرج ضمن فن المقال - وقد تم إثبات ذلك في الفصل الأول - فالأسلوب الملائم له هو الأسلوب الخبري، لأن التواصل كتابي ليس شفويا، مما يجعل ظهور الأسلوب الإنشائي ضئيلا.

ومع ذلك فقد لجأ ابن باديس إلى الأسلوب الإنشائي، سعيا إلى تحقيق غايات من ذلك.

• الأسلوب الخبري وأضربه: غلب على مقالات مجالس التذكير الأسلوب الخبري، وهو الملائم لهذا المقام، وغلب على الأساليب الخبرية الضرب الابتدائي، فتمر المقالة كاملة وهي تخلو من أدوات التوكيد.

إن سعي المتكلم نحو التأكيد هو تلبية لمطالب المتلقي، فكلما رأى فيه التردد في قبول الفكرة، أو انكارها لجأ إلى ما يعينه على إقناعه منتقيا ما يدفع به شكوك المتلقي.

ولعل انطلاق مقالات مجالس التذكير من الآية القرآنية، وجعلها متصدرة المقال، وبناء المقال فكرة وتحليلا عليها، يسد مداخل الظنون والشكوك على المتلقين، فينطلقون جميعا -

¹ - دلائل الإعجاز، ص 81.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

المتكلم والمتلقي - من مصدر متفق عليه بينهما أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. إذن - إذا اعتبرنا الآية القرآنية استشهاداً فالضرب لم يعد ابتدائياً، لأن طلب التأكيد أو الإنكار موجودان أصلاً قبل كتابة النص والاستجابة لهما كانت بتصدير المقال بالآية القرآنية. التي نعدّها في هذا المقام أداة توكيد تنسحب على النص كله، تحمل معها الأدلة والحجج والبراهين لإقناع المتلقي بما ذهب إليه المتكلم، لأن مصدره الأول هو الآية القرآنية. إن غلبة الأسلوب الخبري الابتدائي هي غاية شكلية تقف عند حدود الجملة، ولا تتجاوزها إلى النص كله، ولكن بعد التحليل فأسلوب الكاتب الغالب هو الأسلوب الخبري الطلبي ويتجاوزّه إلى الإنكاري في بعض الموضوعات، خاصة تلك التي تتعلق بالعقيدة ومحاولة الكاتب تصحيح الأفكار الشركية التي يصطبغ بها كلامهم وأفعالهم.

● فهذه نصيحة إذا عملوا بها خففت من الشر والبؤس عن الزائرين ومن الإثم واللوم عن المزورين.¹

● "إذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه.

● وإذا عرضت شبهة أو ورد اعتراض طلبنا فيه الرد والإبطال.

● وإذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها."²

-أسلوب القصر: هو التأكيد بنفي الغير وإثبات الحكم للموضوع ويكون ذلك صراحة بحرف النفي وإلا وضمناً بإنما وقد جاء التأكيد بإنما من جهتين أولهما أن "إن" في أصلها للتأكيد وأن زيادة المبنى (بواسطة ما) تدل على زيادة المعنى والثانية أن "إن" بدون "ما" كما في قولنا: إن زيدا قائم تؤكد إسناد خبرها إلى اسمها دون إشارة إلى تفرد الاسم بالاتصاف بالخبر أما "إنما" ففيها هذه الإشارة التي نسميها القصر والمقصود بها ما وليها مباشرة من اسم أو خبر. نقول: إنما زيد قائم فنقصر زيدا على القيام ونقول: إنما قائم زيد

¹ مجالس التذكير، مج2، ص130.

² المصدر نفسه، مج2، ص58.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

فقصّر القيام على زيد. ومعنى القصر في الحالتين اختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر.¹

"اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء لخبر لا يجمله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما يتزل هذه المترلة تفسير ذلك أن تقول للرجل: "إنما هو أخوك" و"إنما هو صاحبك القديم": لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن ننبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب... ومثاله من التزليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام36]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس11]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات45]، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم. وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى إليه، وأن من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب.²

"وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و"إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره للمخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو "ما هو إلا مخطئ"، قلته لمن يدفع ان يكون الأمر على ما قلت...³

ويعدّ أسلوب القصر سمة بارزة في مجالس التذكير، مشكلا ظاهرة لغوية يرومها ابن باديس في مواضع كثيرة، يلجأ إليها، لتأكيد أفكاره وإقناع المتلقين.

هذه الظاهرة اللغوية تنبئ عن مراعاة ابن باديس للمتلقى، وإدراكه لحالة الضياع التي يعانيتها المجتمع بين التبعية للطرقين والتبعية للأروبيين، وحرصه على توجيه أفكارهم نحو تعاليم الإسلام المستقاة من كلام الله وسنة نبيه.

وهذه نماذج منتقاة من مجالس التذكير تظهر توظيف ابن باديس لأسلوب القصر:

¹ البيان في روائع القرآن، ج2، ص136.

² دلائل الإعجاز، ص330.

³ المصدر نفسه، ص332.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

- إنما يتحدد إنذارك وينتفع به & لذين آمنوا....لصدق إيمانهم، خاشين نعمته، راجين رحمته.¹
- طريق السلوك الشرعي إنما هي اتباع القرآن.²
- وأما الإعراض فلا يكون إلا عن المأيوس منه من الكافرين.³
- مامات النبي حتى عم الإسلام جزيرة العرب.⁴
- فما ترك شيئاً من سبيل ربه إلا دعا إليه.⁵
- وكما أن النور الكوني يظهر الموجودات الكونية فلا يحرم منها إلا معدوم البصر، فكذلك كان محمد ﷺ ذلك النور الرباني مجلياً للحقائق للبشرية كلها ولا يحرم من إدراكها إلا مطموسو البصائر الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم⁶
- وأكمل أحوال العبد أن يخشى الله ويرجو رحمته.⁷
- والله نسأل لنا ولكم الإقبال على الله بتلاوة وتدبر كتابه.⁸
- فما من حكم من أحكامه الشرعية إلا وله حكمته، ومامن حكم من أحكامه القدرية إلا وله سببه وعلته.⁹
- خلق الله محمداً ﷺ أكمل الناس وجعله قدوتهم، وفرض عليهم اتباعه والاتساء به،

¹ مجالس التذكير، مج2، ص296.

² المصدر نفسه، مج2، ص298.

³ المصدر نفسه، مج2، ص298.

⁴ المصدر نفسه، مج2، ص286.

⁵ المصدر نفسه، مج1، ص136.

⁶ المصدر نفسه، مج1، ص109.

⁷ المصدر نفسه، مج2، ص298.

⁸ المصدر نفسه، مج2، ص165.

⁹ المصدر نفسه، مج1، ص308.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

فلا نجاه لهم من المهالك والمعاطب، ولا وصول إلى السعادة في دنياهم وأخراهم، ومغفرة خالقهم ورضوانه، إلا باقتفاء آثاره والسير في سبيله.¹

■ فهذا يعلمنا -يقصد فعل النملة في حماية أهلها من جنود سليمان- أن لا حياة للشخص إلا بحياة قومه، ولا نجاه له إلا بنجاحهم، وأن لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم، ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه، وأن لا يكون اهتمامه بهم دون اهتمامه بها.²

■ وما دخل الرياء في عبادة إلا أحبطها، ولو كان قليلا.³

بالنظر في هذه النماذج نجد جميعا قواعد إيمانية إجتماعية ثابتة، تحمل خلاصة ما وصل إليه ابن باديس من تفسيره كتاب الله عز وجل.

وأما وضعها في هذا قالب التركيبي بالتحديد - القصر - فتبريره أمران:

أولهما الإيجاز، فلأسلوب القصر القدرة على اختزال المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، وهو من الآليات البلاغية التي تميز أسلوب الكتابة عند ابن باديس.

ثانيهما التأكيد، لأن قصر الأمر على آخر فيه دلالة ضمنية تمرر مع الخطاب وهي أن المتكلم واع لما يقوله ولملم بالموضوع الذي يتكلم فيه، ومنظم لمعلوماته وأفكاره، فأنتج فائدة يقدمها للمتلقين في أوجز عبارة، ومشحونة بالدلالات الصحيحة.

فقوله -على سبيل المثال- "وما دخل الرياء في عبادة إلا أحبطها" أبلغ قولاً من "الرياء يبط العبادة" وأوقع في النفس وأكثر تأثيراً.

إذن أسلوب القصر أداة حجاجية لغوية وظفها ابن باديس لاقتناع المتلقين بما جاء به من أفكار تعد في زمنه دخيلة على المجتمع.

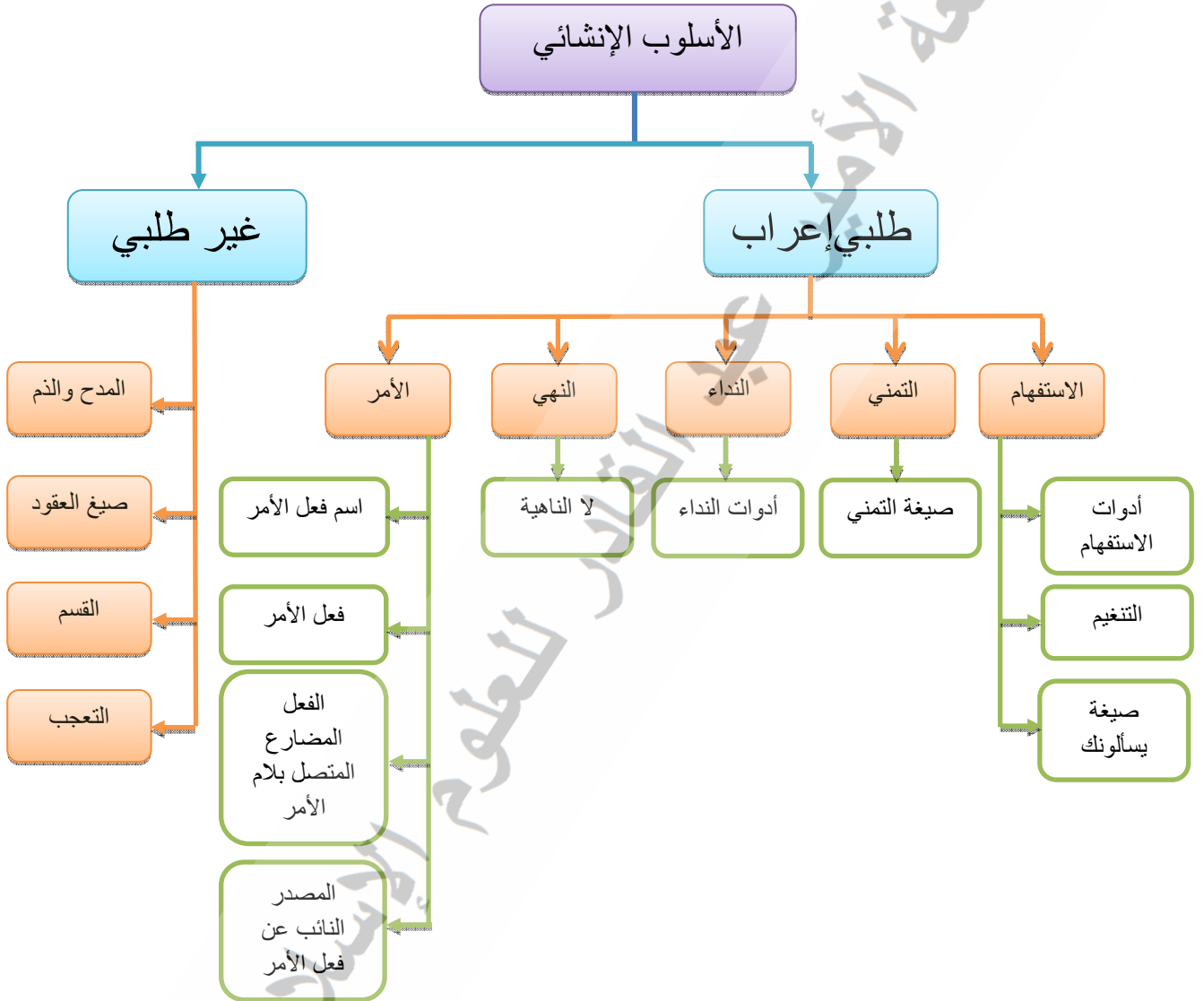
¹ مجالس التذكير ، مج1، ص121.

² المصدر نفسه، مج2، ص217.

³ المصدر نفسه ، مج1، ص167.

2-2- الألوب الإنشائي:

وهذا مخطط يجمع أنواعه وصيغه



• الأساليب الإنشائية الطلية: إن الحركية التي يضيفها الحوار للنص تجعل توظيف

الأساليب الإنشائية في طليعة الأساليب التي يلجأ إليها المتكلم لما يمتلكه من قدرة على مناقشة القضايا وتحليلها وكذا القدرة على التأثير في المتلقي وتوجيه فكره ومعتقده، وغالبا ما يعتمد الحوار على ثنائية (سؤال، جواب) إذ يعد الاستفهام من أكثر البنى الخطائية دورانا في سياق الحوار القصصي سواء أكان هذا الحوار ذاتيا أم خارجيا وسواء أكان بين أطراف متحابة أم

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التنزيير

متنافرة، لما يحمله من دور فاعل في الكشف عما في ذهن المتلقي والقدرة على توجيه الحوار نحو ما يريده المتكلم.

–الاستفهام:

1- الدلالة اللغوية للاستفهام:

الاستفهام: مصدر استفهم وهو طلب الفهم وجاء في معجم العين فهمت الشيء فهما وفهّما عرفته وعقلته، فهمت فلانا وأفهمته: عرفته...¹

وذكر ابن فارس: " أن الفاء والهاء والميم علم الشيء"²

وقال في ذلك الجوهري: فهمت الشيء فهما وفهامية، وفلان فهم وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهّما.³

وقد جمع كل ما سبق ذكره في لسان العرب: " فالفهم معرفتك الشيء بالقلب، فهمة فهما وفهّما وفهامة علمه، والأخيرة عن سيبويه، فهمت الشيء عقلته وعرفته وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء، واستفهمه سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهّمته تفهّما"⁴

2- الدلالة الاصطلاحية للاستفهام: عرفه صاحب التعريفات الشريف الجرجاني (816هـ): " بأنه استعلام ما في ضمير المخاطب وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور."⁵

¹ – كتاب العين: أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي. ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة: (ف ه م) .

² – معجم مقاييس اللغة: ابن فارس. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1402هـ-1981م، ط، ج4 مادة (ف ه م) .

³ – تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري. ت: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم، للملايين، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م، ط3، مادة (ف ه م) .

⁴ – لسان العرب: ابن منظور. دار المعرفة، القاهرة، ت: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط1، مادة (ف ه م) .

⁵ – التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني. مكتبة لبنان، بيروت، 1985، دط، ص17-18.

3- طرائق الاستفهام: يتحوّل التركيب اللغوي الإخباري إلى تركيب استفهامي عن طريق كينيات متعددة لغوية كانت أم غير لغوية وأشهرها وأبرزها:

الأداة: فهي عنصر محول للجملة من الخبر إلى الإنشاء¹، وتوظيفه لا يكون اعتباطيا فلكل أداة وظيفة دلالية خاصة إضافة إلى وظيفتها المشتركة المتمثلة في التحويل من الإخبار إلى الاستخبار² واختيار الأداة إنّما يكون مبنيا على الركائز الدلالية التي يقتضيها المستفهم عنه في السياق اللغوي.³

هذا التحويل كما يتحقق بالأدوات يتحقق بطرق أخرى وهي:

التنغيم: هو تنوع في درجة الصوت يرتبط ارتباطا مباشرا بالتأثيرات الانفعالية من فرح أو حزن، أو غضب وتهكم أو استهزاء أو استغراب أو تعجب أو استفهام وغيرها من المشاعر التي تنعكس على شكل تغيرات تتاب صوت المتكلم أثناء التعبير عنها⁴

فالتنغيم عنصر تحويلي، يحول الجملة من الإخبار إلى الاستخبار ويرتبط بالتنغيم بأمر اللبس فالتنغيم ظاهرة صوتية يصدرها المرسل ويفهمها المرسل إليه أثناء التواصل المباشر، أما في اللغة المكتوبة فيشترط وجود قرائن تحدد نوع التركيب اللغوي إن كان تعجبا أو نفيا أو إخبارا أو استخبارا⁵

وقد فسرت تراكيب عديدة على أنّها استفهام على الرغم من غياب الأداة فيها، ورد النحاة والمفسرون ذلك إلى حذف الأداة وتبقى النعمة الصوتية قرينة ظاهرة تدل على المعنى

¹ - البني والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية: عماد عبد يحيى، دار دجلة، عمان، الأردن، ط2، 2009 ص 179.

² - ينظر: القواعد التحويلية في الجملة العربية: عبد الحليم بن عيسى. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011، ط1 ص 26.

³ - المرجع نفسه، ص 36.

⁴ - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان. دار الثقافة، القاهرة، 1979 م، دط، ص 228.

⁵ - ينظر: أمن اللبس في النحو العربي - دراسة في القرائن-: بكر عبد الله خورشيد: 1427-2006، ص89-90.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

فكل محذوف لا بد له من قرينة دالة عليه وغياب الأداة يعوضه التنغيم الذي يفرق بين الإخبار والاستخبار في التركيب.¹

كما يتحقق الاستفهام عن طريق الأداة والتنغيم فإنه يتحقق كذلك بألفاظ فعلية أو اسمية.

وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع عديدة وارتبطت في الغالب بتساؤلات طرحت على الرسول ﷺ بلفظ "يسألونك"، وغاية هذه التساؤلات تعليمية إذ استقيت منها المعرفة ولا زال الإنسان يتعلم منها إلى أن يرث الله الأرض وما عليها². مثل قوله تعالى { ويسألونك عن الأهلة } ويسألونك عن الساعة فتؤل الجملة الخبرية إلى استفهامية وقرينة التحويل هي لفظ يسألونك.

من أكثر الأساليب الانشائية دوراناً في مجالس التذكير أسلوب الاستفهام، هذا الأسلوب الذي غالباً ما يكون خبرياً مكسواً بجملة الإنشاء، عارفاً ويدعي الجهل ويطلب الفهم والمعرفة.

إن في أسلوب الاستفهام القدرة على اختزال دلالات كثيرة في العبارة الموجزة، بل وحتى في الحرف.

هنا يطرح السؤال نفسه لم يستدعى الاستفهام بالتحديد في هذه السياقات دون غيره؟
فغالباً ما يجيد ابن باديس عن استعمال الجملة الخبرية والعدول عنها إلى الجملة الإنشائية، لأن في العدول السمة التي تميز النص وتميز أسلوب صاحبه وتظهر تفردده كيف لا والأسلوب هو الرجل نفسه.

¹ ينظر: الجملة العربية والمعنى: فاضل صالح السامرائي. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422، 2000، ط1، ص66.

² مقال: دلالات لفظ يسألونك في القرآن الكريم: عبد الغني بن شعبان. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2012، ع13.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

ومن نماذج توظيفه الاستفهام قوله:

■ وإذا كانت الدنيا كلها شيئاً زهيدا بقلتها وفنائها ونغصها بالنسبة لأقل شيء من نعيم الآخرة، فما بالك بما هو بعض منها؟

■ والمقصود أن رجاء الثواب، وخوف العقاب روحهما الإخلاص، فكيف ينافيانه؟¹

■ أرأيت كيف أن الله تعالى لم يجاز الخلق على مقتضى علمه فيهم، وهو العلم الذي لا يتخلف..²

■ ولا يقولنّ قائل: إذا كانت المصانع ما فهمتم، فلماذا يقبحها لهم وينكرها عليهم؟³

■ أرأيت أصل العلم ومن معلّمه ومتعلّمه؟ ثم أرأيت شرف رتبة التعلّم والتعليم؟⁴

-الأغراض البلاغية لتوظيف الاستفهام: إن المقام هنا ليس مقام استفهام، فالنص عبارة عن مقالات يتزلّ فيها الكاتب الآيات على الواقع محاولاً معالجة الوضع وتقديم الحلول، مما يشير إلى أن الاستفهام موظف لتحقيق غايات أخرى خارجة عن التصور والتصديق، يحددها السياق.

والغاية الأولى من وراء توظيف الاستفهام هي الغاية التعليمية، فالسؤال وسيلة تعليمية يوظفها المعلم لتنشيط التفكير، وإعمال العقل، ولفت الانتباه ليصل المتعلم إلى الإجابة بنفسه، فيكون لها وقع أكبر في نفسه واستعداد أكثر لتطبيقها، خير من وصولها إليه جاهزة في قالب تقريرى. ومثال ذلك عرضه لمسائل مستفاداً من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء 79] فعرض أربع مسائل جعل عناوينها استفهامية وهي على الترتيب:

¹ مجالس التذكير، مج1، ص165

² المصدر نفسه، مج2، ص289.

³ المصدر نفسه، مج2، ص407.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص373

الفصل الرابع.....الحقول النحرية وولاتها في مجالس التذكير

1. المسألة الأولى: كيف يكون التهجد؟

2. المسألة الثانية: هل كان قيام الليل فرضاً عليه ﷺ دون أمته؟

3. المسألة الثالثة: ماهو المقام المحمود؟

4. المسألة الرابعة: هل المقام المحمود خاص به؟

وتظهر الوظيفة التعليمية في ادعاء الجهل وتقمص دور السائل وطالب المعرفة، فيستفهم مثيراً غريزة البحث في المتلقي، ليحمله معه مستعداً لطلب الفهم وإزالة الغموض ومن ذلك سؤاله عن ولاية المرأة وحكمه الشرعي فقال: " في تواريخ الأمم نساء تولين الملك ومن المشهورات في الأمم الإسلامية شجرة الدر في العصر الأيوبي، ومن هن من قضت آخر حياتها في الملك وازدهر ملك فومها في عهداها، فما معنى نفي الفلاح عمن ولوا أمرهم امرأة؟¹ ثم يجيب في الفقرة الموالية بعد أن هياً ذهن المتلقي للاستعداد للمعرفة، فأجاب عن سؤاله: " هذا اعتراض بأمر واقع ولكنه لا يرد علينا، لأن الفلاح المنفي هو الفلاح في لسان الشرع، وهو تحصيل خير الدنيا والآخرة، ولا يلزم من ازدهار الملك أن يكون القوم في مرضاة الله، ومن لم يكن في طاعة الله فليس من المفلحين، ولو كان في أحسن حال فيما يبدو من أمر دنياه، على أن أكثر من ولوا أمرهم امرأة من الأمم إذا قابلهم مثلهم كانت عاقبتهم أن يغلبوا.²

ويظهر الغرض نفسه -التعليمي- في عنوان المقال " أيهما أكمل: العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة دونهما؟ حيث عدل عن الجملة الخبرية إلى الجملة الإنشائية في صيغة الاستفهام، وهو عدول يستدعي الوقوف عنده، فما الغرض من ورائه؟

نص هذا المقال ردّ على مقالة نشرها الشيخ المولود الحافظي ملخصها أن العبادة دون رجاء ثواب ولا خوف عقاب هي أكمل العبادات.

¹ مجالس التذكير، مج2، ص240.

² المصدر نفسه، مج2، ص240.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التنزيير

إذن فالمقال يحمل رأيين يدافع ابن باديس عن أحدهما ويدحض الآخر بالحج والبراهين، ولذا جعل العنوان في شكل استفهام تصوري بأداة الاستفهام الهمزة يعرض فيه الرأيين: العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أكمل والمعادل له العبادة دونهما أكمل.

ونص المقال فيه حشد من البراهين والأدلة النقلية والعقلية، وكان الاستفهام واحدا منها. فيستفهم قائلًا:

■ " وما عسى أن يقال فيمن لم تكفه الآيات والأحاديث كلها على صراحتها واتفاقها إلا أنه لم يتفقه فيها؟

■ وكيف يكون الثواب هو المعبود، والعقاب هو المعبود، والله هو الذي شرعهما؟ فهل يشرع عبادة غيره؟

■ وهل هذا إلا من عدم التفقه في قوله تعالى - في أم القرآن وسبع المثاني التي يناجي بها المصلي ربه؟

■ وإن كان مراده دون شعور بالعبادة فهذا -أيضا- باطل، لأن العابد ينوي العبادة يقصد بها القربة ويتوجه بها مخلصا فيقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة 5). فكيف يكون لاشعور له بها؟

■ ثم مالك - يا أخي - ولابن العربي؟

■ وآتى لنا ذلك في العبادة المجردة عن الرجاء والخوف؟

يغلب على المقال طابع المناظرة، والمناظرة تستدعي مواجهة الخصم، ومقابلته بالحجة، وتبكيته بإظهار عيوب طرحه، وهذا ما يظهر في تلك الاستفهامات التي وجهها ابن باديس لمناظره والتي تحمل طابع الاستغراب مما يذهب إليه مناظره، والاستهزاء من حججه الواهية.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

-الأمر: وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة 110) وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (المزمل 20).

أي من الأعلى لمن هو أدنى منه. فإن كان من الأدنى إلى الأعلى فهو الدعاء مثل: اللهم اغفر لنا وارحمنا، إن كان إلى من يساويك، فهو التماس كقولك لصاحبك: أعطني الكتاب. وله صيغ أربع:

■ فعل الأمر: مثل

■ فأقبل يا أخي على القرآن: على استماعه وعلى تفهمه، والزم ذلك حتى يصير عادة لك ومملكة فيك تر من فضل الله وإقباله عليك ما يدنيك -إن شاء الله- ويعليك ويعود بالخير الجزيل عليك.¹

■ فبادروا إلى توحيد الله بالدعاء الذي هو مخ العبادة، واقتصروا في جانب الصالحين على محبتهم، والترضية عليهم، وسؤال الرحمة لهم، والافتداء بهم فيما كان منهم من طاعة وخير، ولا تعظموهم بما لا يكون إلا لله رب العالمين.²

وجاء الأمر الصريح المباشر بفعل الأمر في مواضع قليلة جدا، ونجد ابن باديس يراعي نفسية المتلقي بتجنبه الأوامر والنواهي الصريحة والتنوع في الأساليب فغاياته تحقيق الهدف وبلوغ القلوب والتأثير فيها.

أما هذه الأوامر المتتالية التي جاءت في خاتمة مقال "نجاة المعبودين بهداهم، وهلاك العابدين بضلالهم" الذي فسر فيه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

¹ مجالس التذكير، مج2، ص165.

² المصدر نفسه، مج1، ص303.

الفصل الرابع.....الحقول النحرية وولاتها في مجالس التذكير

الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء 57] فهي متعلقة بأساس الدين كله وهو العقيدة السليمة التي أصابها الداء في المجتمع الجزائري وأصبحت تعاني من الخرافات والخزعبلات فعظمة القضية وأهميته تستدعي إستشارة المتلقي وزعزعته ليدرك أن أهمية الأمر وقيمته ويقف أمامه بالتفكر ويتحرك لتطبيق ما جاء فيه من أوامر ونواهي.

كما أن صيغة الأمر وردت في صيغة جماعة المخاطبين لا المخاطب المفرد، وفي هذا دعوة استنفار للعودة الجماعية إلى طريق الحق والابتعاد عن الضلال الذي سيطر على عقول الناس لسنوات وكان السبب الأول في خسارة الدين والدنيا.

وظف ابن باديس هذه الصيغة في المقام نفسه وهو ينهى المتلقي عن الشرك بأنواعه الظاهرة والخفية قائلا: "كن عبدا له في اختيارك واضطرارك، وفي جميع أحوالك.

واحذر أن تعتمد على شيء غير عبادته.

واحذر أن تتوجه بشيء من عبادتك لغيره.

ومن عبادتك -بل هو مخ عبادتك- دعاؤك وسؤالك واستغاثتك، إياك إياك ان تتوجه بشيء منه لغيره.

فكن دائما عبدا لله، وكن دائما عبدا له، فذلك حقه عليك، وذلك السبب الوحيد الذي ينجيك ويعليك.¹

وجاء في موضع آخر وبالمضمون ذاته والأسلوب نفسه " من دعا غير الله فقد عبده، ومن دعا مخلوقا مع الخالق فقد أشرك. فإذا دعوت، فادع ربك ولا تدع معه أحدا، وكيف تدعو من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا؟ وإذا توسلت، فتوسل بأعمالك، بإيمانك وتوحيدك، واتباعك لمحمد ﷺ، ومحبتك فيه، واعتقادك ماله عند الله من عظيم المتزلة وسمو المقام عليه

¹ مجالس التذكير، مج 1، 186-187.

وعلى آله الصلاة والسلام.¹

واستعمل الأمر بفعل الأمر مع ضمير المخاطب المفرد في حديثه عن المبتدعين الذين يؤلفون كلاما من عندهم ويريدون من الناس التعبد به مكان القرآن الكريم، فأراد التبصير بهذه الحالة وضلال فاعلها ومتبعيه، والتنبيه إلى وجودها في المجتمع قائلا: " فانظر في قطرنا وغير قطرنا، كم تجد ممن بنى موضعا للصلاة، ووضع كتباً من عنده، أو مما وضع أسلافه من قبله، وروّجها بين أتباعه، فأقبلوا عليها وهجروا القرآن، وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فأخطأ وجهه، إذ لا نفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله.²

وجاءت الأوامر بصيغة المخاطب المفرد وهي طريقة من طرائق الإقناع، لما فيها من جذب للمتلقي ولفت لانتباهه، إذ يحس أنه هو المعني المقصود بالأمر، فتكون عنايته به أفضل وحرصه على تطبيقه أكبر.

ويظهر أن هناك اطراد في توظيف فعل الأمر مع توجيه الخطاب إلى المفرد، كلما تطرق لقضية العقيدة وما شابهها من انحراف في المجتمع الجزائري، كقوله: "ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس: " يارب والشيخ"، "يا رب وناس ربي"، " يارب والناس الملاح". وهذا من دعاء غير الله مع الله، فإياك أيها المسلم وإياه، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وحده، وأنف الشرك راغم.³

فالأسلوب يظهر غضب ابن باديس وثورته ضد الجهل والشرك وتفشييه في المجتمع وتسمك الناس به، خاصة وأن هذا النص مقتطف من مقال نشره في أواخر سنة 1932 أي بعد سنوات من الحراك الإصلاحية والعمل النهضوي التجديدي، ولذا تلحظ نبرة الغضب والتعجب بل والاستغراب من كثرة من كلامهم يحمل عبارات الشرك دون أن يدري، ولا يزال يمجّد الشيخ ويدعوه مع الله.

¹ مجالس التذكير ، مج2، ص325.

² المصدر نفسه ، مج2، ص47.

³ المصدر نفسه، مج2، ص137.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

وقال ابن باديس أمرا في موضع آخر:

"فأقبل -يا أخي- على القرآن، على استماعه وعلى تفهمه، والزم ذلك حتى يصير عادة لك ومملكة فيك-تر من فضل الله وإقباله عليك ما يدنيك -إن شاء الله- ويعليك، ويعود بالخير الجزيل عليك."¹ واقتران الأمر بـ "أخي" دليل ود وحب، فيميل الغرض إلى النصح والإرشاد والتنبيه إلى منابع الخير. وهذه هي الحالة الوحيدة التي وظف فيها ابن باديس الأمر بصيغة فعل الأمر ولا تبدو في خطابه نبرة الغضب، ومع ذلك فالموضوع مرتبط بتصحيح العقيدة واللجوء للقرآن وإحياء الدين على وجه الصحيح لا كما طمسه الجهال الذين تستعملهم فرنسا أداة للتراجع إلى الخلف.

وجاء في خاتمة تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان62] أوامر متتالية خلافا لما اعتاده المتلقي من ابن باديس قائلا: "حافظ على العبادات في أوقاتها، واقض ما فاتك، واربط أعمالك بأوقاتها، وتدارك ما فاتك، ووجه قصدك إلى ما ترى من آيات الله متفكرا، ووجه قصدك في جميع أعمالك لله سامعا مطيعا، تكن عبدا ذاكرا شاكرا سعيدا -إن شاء الله- في الدارين."² والغرض منها هو التوجيه إلى العبادة الصحيحة شكلا ومضمونا- على وقتها وقصدك الله في كل أعمالك- والحض على التمسك بالعبادات.

■ المصدر النائب عن الفعل: مثل وبالوالدين إحسانا

المضارع المقترن بلام الأمر:

■ مثل لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن.³

■ ومثل قوله: فعلى المسلم أن يعلم هذا من نفسه، ويعمل عليه وليضرع إلى الله دائما

¹ مجالس التذكير، مج2، ص165

² المصدر نفسه، مج2، ص70.

³ المصدر نفسه، مج1، ص156.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

في دعواته أن يمدّه بنوره، وليدع بدعاء النبي الذي كان يدعو به في ذلك.¹

■ إنّ المسلمين كلهم -والحمد لله- أهل إيمان، فليستشعروه عند جميع الأعمال، ولا يخلون من عمل لمعاشهم أو لمعادهم، فليقصّدوا بذلك كله وجه الله وامتنال أمره وحسن جزائه، وليقتصروا في عبادتهم على ما ثبت عن رسول الله ﷺ ليكونوا على يقين من موافقة رضى الله وسلوك طريق الجنة.²

غالبًا ما يستعمل ابن باديس هذه الصيغة لتحقيق الأمر، ويتفادى صيغة الأمر المباشرة بتوظيف فعل الأمر المباشر، فالسياقات التي يورد فيها ابن باديس التوجيهات والارشادات هي سياقات غير مباشرة، يوظف فيها إما الضمير الغائب أو ضمير جماعة المتكلمين كما توضح النماذج السابقة، ويتجنب استعمال الضمير المخاطب، وفي هذا دليل على مراعاته نفسية المتلقين وحرصه على توصيل مقاصده دون أن يصل معها إليهم الشعور بالتدني أمامه. فتكون توجيهاته والأفكار التي يريد نقلها إليهم وتجسيدها في أعمالهم وأخلاقهم، بمثابة نماذج تنقل لهم صورها فيتبين لهم الأفضل والأمثل من خلالها، واختيار أن يحذو حذو هذه النماذج الإيجابية. وإن النفس البشرية لتأبى الأوامر والنواهي فلا بد للموجه أن يتخير أساليب أخرى لتحقيق غايته، وهذا ما يظهر في مجالس التذكير.

■ اسم فعل الأمر: مثل قوله: "على العبد أن يقبل ما فيه من كماله وسعادته ومرضاة خالقه مما هداه الله إليه.....وعليه أن يعتقد أنه لا ينال شيئاً من التوفيق وحظاً من النور إلا بإذنه.³

■ فحذار يا إخواننا من هذه العاقبة السيئة، وهذا الموقف المخزي.⁴

¹ مجالس التذكير ، مج1، ص112

² المصدر نفسه، مج1، ص173

³ المصدر نفسه ، مج1، ص116.

⁴ المصدر نفسه، مج1، ص303.

2-3-العدول عن الرتبة المحفوظة:

أو خرق معيارية الترتيب أو التقديم والتأخير جميعها مصطلحات تدل على المعنى ذاته وهو "عدم مراعاة الرتبة بتقديم ما رتبته التأخير أو العكس، وتسمى الرتبة في هذه الحالة رتبة مشوشة".¹ ولا يلجأ المخاطب إلى العدول عن الرتبة المحفوظة إلا لتحقيق غاية تبليغية توصل المعنى إلى قلب السامع محفوظا كما هو في نفس المخاطب، فالألفاظ تقتفي أثر المعاني، لأن المعاني مرتبة في نفس المخاطب والألفاظ تبع لها²، إضافة إلى غاية بلاغية تتحقق عن طريق تخير الأنماط المتفاوتة في الجودة مع اتفائها في الصحة³، وقد وليت هذه الظاهرة الأسلوبية عناية اللغويين في مراحل مبكرة من الدرس اللغوي فقال في ذلك سيبويه: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهملهم ويعنيانهم"⁴، وقد أفرد عبد القاهر الجرجاني لهذه الظاهرة بابا خاصا في كتابه دلائل الإعجاز وأثنى عليها قائلا: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة".⁵ وأنكر على من صغروا من مكانة هذا الباب وحصرها الغاية منه في العناية والاهتمام دون ذكر من أين كانت تلك العناية وبما كان أهم.⁶

فصارت كلمة " العناية " كلمة مطاطية تطبع بها كل التراكيب التي مستها ظاهرة التقديم والتأخير والصحيح غير ذلك إذ لكل تركيب سياقه الكلامي ومقامه الحالي الذي وقع فيه، ولا بد أن تستقى الدلالة بمراعاة هذين الأمرين على أقل تقدير.

¹ مجالس التذكير ، ج2، ص107.

² دلائل الإعجاز، ص55-56.

³ الأسلوب والنحو، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية: محمد عبد جبر، دار الدعوة، 1409هـ، 1988م، ط1، ص15.

⁴ الكتاب: سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه. ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1425هـ-2004م ط4، ج1، ص34.

⁵ دلائل الإعجاز، ص106.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص108.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

■ لله تعالى في سور القرآن، وعالم الأكوان، آيات بينات دالة على وجوده وقدرته وإرادته، وعلمه، ونعم سابغات موجبة لحمده، وشكره وعبادته.¹

■ فكل منفعة تجلبها عبادة أو مضرة تدفعها.²

■ في الزنى إراقة للنطفة وسفح لها في غير محلها.³

2-4-الحذف:

ينوع المخاطب في أساليب حوارهِ ابتغاء إقناع المخاطب بما يملكه من أفكار ومعتقدات، ومن الطرائق التي يلجأ إليها لتحقيق غرضه، طريقة الحذف فالحذف يفصح عن دلالات وغايات لا يفصح عنها الذكر فهو كما قال فيه عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة تكون بيانا إذا لم تبين."⁴

والحذف في القرآن الكريم لعلم المخاطب به كثير جدا، وهو من الأساليب القرآنية البليغة التي لم يجوزها المفسرون إلّا بما يقتضيه السياق لأنّ "الأصل في الكلام الذكر ولا يحذف منه شيء إلّا بدليل سواء كان هذا الدليل معنويا أي يقتضيه المعنى أم صناعيا أي تقتضيه الصناعة النحوية"⁵ "فالعرب تحذف من الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا"⁶.

فقد أكد اللغويون والبلاغيون والمفسرون لكتاب الله العزيز على شروط للحذف

¹ مجالس التذكير، مج1، ص153

² المصدر نفسه، مج1، ص170

³ المصدر نفسه، مج1، ص243.

⁴ - دلائل الإعجاز، ص146.

⁵ - الجملة العربية-تأليفها وأقسامها: فاضل السامرائي. دار الفكر، عمان، الأردن، 1427هـ-2007م، ط2، ص73.

⁶ - تأويل مشكل القرآن، ص262.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

"فيكون بحذف مالا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة بل ولو ظهر المحذوف لترل قدر الكلام من علو بلاغته ولصار إلى شيء مشترك مستدل وكان مبطلا لما يظهر على الكلام الطلاوة والحسن والرقّة، ولا بدّ من الدلالة على المحذوف"¹.

ويعد الحذف من آليات الاقتصاد اللغوي، وهو مطلب مهم من مطالب المتلقي التي يسعى المتكلم إليها المتكلم، ولكننا نلحظ غيابها في مجالس التذكير، ومرد ذلك إلى أن الحذف يقارب الغياب ويشبه الإضمار، والمقام في مجالس التذكير مقام وإفصاح وإظهار.

كما أن الحذف يفتح معه باب التأويل والفترة اجتماعيا وسياسيا لا تسمح بهذا وإنما يسعى إليه ابن باديس هو الاتفاق على كلمة واحدة من أجل التغيير الشامل.

■ وكلها إن سلكت بعلم وحكمة وإحسان وعدل كانت سبل سلامة ونجاة، وإلا كانت سبل هلاك، فيحتاج العبد فيها إلى إرشاد وتوفيق من الله²

بل ويظهر الاطناب والتكرار كثيرا في النص خدمة للغاية التعليمية وخشية وقوع اللبس أو الفهم الخاطيء لذا نجده يقلب الفكرة الواحدة في قوالب عدة حتى يضمن وصول الرسالة.

التكرار:

- "فمن خضع قلبه لمخلوق على أنه يملك ضره أو نفعه فقد عبده.
- ومن شعر بضعفه وافتقاره أمام مخلوق على أنه يملك إعطائه أو منعه فقد عبده.
- ومن ألقى قياده بيد مخلوق يتبعه فيما يأمره وينهاه، غير ملفت إلى أنه من عنده أو من عند الله فقد عبده.

¹ - تأويل مشكل القرآن، ص 72.

² مجالس التذكير، مج 1، ص 114.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

● ومن توجه لمخلوق فدعاه يكشف عنه السوء أو يدفع عنه الضر فقد عبده.¹
تكررت عبارة "فقد عبده" وهي عبارة صادمة، وتكرارها يجعل المتلقي في حالة من الخوف والفرع مما يلقي عليه ولذلك يجب عليه توخي الحذر وتجنب هذه الأفعال وإلا تكون عابدا لغير الله.

ومن ابن باديس يستغل هذه الخصيصة اللغوية -التكرار- للتأثير في النفس البشرية، واستحضار ذهن المتلقي، ومن ذلك أيضا قوله:

● والمسلم المسلم من تحرى مقتضى هذا النهي وهذا التشريع في الترك والابتعاد.²

● انظر إلى هذه الحكمة في هذا الترتيل كيف كان تتريل آياته على حسب الواقع، أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجمع وخطبائها في توحيدهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟ بلى والله بلى والله.³

فيظهر الهدف الإقناعي من وراء استغلال ابن باديس لمهارة توظيف التكرار، فالتكرار في آن واحد من الممكن أن يكون عيبا أو نقصا، وفي المقابل بإمكانه أن يكون أداة لتحميل النص، ووسيلة لتنبية القارئ لأهمية الكلام المكرر.

¹ مجالس التذكير، مج1، ص186.

² المصدر نفسه، مج1، ص244.

³ المصدر نفسه، مج2، ص58-59.

المبحث الثالث: استثمار المحسنات البديعية لتحقيق الأبعاد الفكرية:

تقوم البلاغة العربية على ثلاث ركائز أساسية، ألا وهي البيان والبديع وتلوين الأسلوب بما يوائم المقام. إن عناية رجال الإصلاح بهذه الركائز واضحة في كتاباتهم النثرية والشعرية عن قصد أو عن غير قصد، فتشبع الكتاب الإصلاحيين بالثقافة العربية الأصيلة قراءة وتعلما وحفظا جعل هذه اللغة التراثية البديعة مستدعاة بقوة في كتاباتهم أما القصديّة فتمثل في سعيهم الدائم نحو تكريس مبدأ المحافظة على الدين واللغة والعادات والتقاليد المجتمعية ما لم تتعارض مع تعاليم الدين، وتوظيف اللغة البديعية وسيلة عملية للمحافظة على الشكل التقليدي للغة.

1- البديع

- لغة: جاء في مقاييس اللغة: "الباء والذال والعين اصطلاحان أحدهما ابتداء الشيء ووضع لا عن مثال وهو ما تعلق بالقول والفعل أي ابتدأوه لا عن سابق مثال. أما الأصل الثاني من أبدعت الراحلة إذا كلت وعطبت ومنها جاء قولهم الإبداع والبدعة"¹
- اصطلاحا: عرفه القزويني: "بالعلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام رعاية وتطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"²

ومع هذا التوجه الواضح في كتابات ابن باديس على غرار سائر الإصلاحيين في توظيف أساليب البديع إلا أنه لا يقف عند الوظيفة الجمالية فحسب، بل هي قالب جمالي تصب فيه أفكاره الهادفة البناءة فترمي إلى الإصلاح شكلا ومضمونا، وقد أثنى في هذا الخصوص البشير الإبراهيمي على مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير "فهني زاد للعالم

¹ مقاييس اللغة: ابن فارس. ج1، ص 209-210.

² تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني. تحقيق وتقديم: ياسي الأيوبي. المكتبة العصرية سيّدا، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م ج2، ص477.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

والأديب معا كل منهما ينهل منه حسب حاجته¹ وستعرض لبعض هذه الظواهر الموظفة في عناوين مجالس التذكير.

1-1- ظاهري الجناس والسجع: يوظف ابن باديس البديع بعده أداة حجاجية تحقق الغاية الإقناعية عن طريق التأثير النفسي الذي يثيره الجرس الموسيقي، فيكون أدعى للاستحضار والتذكر، إذ تجتمع فيهما الوظيفة حجاجية إضافة إلى الوظيفة الجمالية والحجاج فيها متعلق بمخاطبة النفس قبل العقل لأن الكلام: "إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه فحفظه، فإذا حفظه كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإن لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به لأجله"² فهذا التناسب الموسيقي يجعل الكلام أعلق بالذهن وأسهل للتذكر والاستحضار وهو مراد الكاتب.

تطبع هاتين الظاهرتين جلّ عناوين مجالس التذكير مثل: القرآن يصف عباد الرحمن، تفاوت الأرزاق من حكمة الخلاق، النظر في تفاضل البشر، صلاح النفوس وإصلاحها، نجاة المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم..... وغيرها كثير مما يؤكد لجوء ابن باديس إلى هذه الظاهرة الصوتية البلاغية في صياغة عناوينه، ويجب الإشارة إلى أن هذه الظاهرة قليلة في نتاجه ولا يلجأ إليها إلا في مقامات معينة ومواقف تقتضي شيئا من الجرس الموسيقي ليوائم بذلك ما بين الصورة اللفظية وبين التجربة، إذن فابن باديس ليس مولعا بتجميل النص ولا متكلفا في صياغة عباراته وجمله خاصة وأن غايته هي التربية والتعليم فتجميل النص أداة في يده لتحقيق غايات كبرى وليس ابتغاء في ذاتها، يوظفها مراعاة لمقتضى الحال، وغالبا ما يلجأ إليها حينما يجد نفسه خطيبا في محفل عام يضم جمعا من العلماء والأدباء، كأن يكون ذلك في إحدى مؤتمرات جمعية العلماء المسلمين، أو في إحدى مجالسه التعليمية التي يفتح بها

¹ مجالس التذكير، بقلم الإمام البشير الإبراهيمي. مج1، ص15

² ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب. ج2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ، 2006م، ص144-145.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

دروس التفسير على رأس كل سنة، فيحس أن المقام يستدعي شيئاً من الجرس الموسيقي ليوائم المقام الاحتفائي¹ وهذا دليل آخر على المقصد الحجاجي من الظاهرتين اللتين تظهران بشكل بارز في العناوين وتكاد تغيبان في النص. ومن نماذج السجع قوله:

■ هؤلاء في النعيم المقيم وأولئك في العذاب الأليم².

■ وما يزال الإنسان يكتشف منها حقائق مضت عليها أزمان وهو يعدها من المحال، ويجتني منها فوائد ما كانت تخطر له في أحقابه الماضية على بال.³

■ كلام الله المعجز محاولاً التأثير في المتلقين وإقناعهم بالتوجه نحو سبيل السعادة والنجاة بطرق وأساليب متنوعة.

1-2- ظاهرة التقابل: وهي ظاهرة تنتزل عند القدماء في دائرة المحسنات المعنوية،

وهي في جوهرها مرتكز بنائي يتكئ عليها النص في علاقاته يساعد في إجلاء المعنى وتوكيده، ويكشف في الوقت ذاته عن كيفية تعامل الأديب مع اللغة وطريقة الكتابة⁴ وتظهر هذه الظاهرة في أغلب نصوص وخطابات ابن باديس بما في ذلك بعض ظلال القرآن الكريم فإن الكاتب ما فتئ ينهل من أساليب الكتاب المعجز توضيحاً لمعانيه وتحميلاً لأسلوبه⁵. فتأثر ابن باديس بأساليب القرآن الكريم واضح في تأكيد معانيه موظفاً أحد أهم هذه الأساليب وهو التقابل.

يحرص ابن باديس على توظيف التقابل لأن فيه استحضر لصورتين متضادتين في ذهن المتلقي لتصبحا شاهدين كالعيان أمامه فيتحقق الفهم ويتعمق المعنى ويزيد رسوخاً في الذهن

¹ ينظر: أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج2، ص179-180

² مجالس التذكير، مج1، ص174.

³ المصدر نفسه، مج2، ص253.

⁴ أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس: ج2، ص152.

⁵ المرجع نفسه، ج2، ص153.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

مما يستدعي التطبيق العملي لمضمونه وهو ما يسعى إليه ابن باديس في مشروعه النهضوي الإصلاحي، فغاياته لا تقف عند نقل المعلومة بل يسعى إلى التمكين للحقائق لا مجرد نقلها.

وللتقابل قيمتان: قيمة فنية تكمن فيما يحدثه التضاد من أثر متميز في الدلالة على صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فتبين ما هو حسي منها ويفصله عن ضده¹، أو القيمة الثانية فتتمثل في ملاءمتها لما يحرص عليه ابن باديس في أعماله من الغاية التبليغية التعليمية.

يحرص ابن باديس على توظيف التقابل لأن فيه استحضار لصورتين متضادتين في ذهن المتلقي لتصبحا شاهدين كالعيان أمامه فيتحقق الفهم ويتعمق المعنى ويزيد رسوخا في الذهن مما يستدعي التطبيق العملي لمضمونه وهو ما يسعى إليه ابن باديس في مشروعه النهضوي الإصلاحي، فغاياته لا تقف عند نقل المعلومة بل يسعى إلى التمكين للحقائق لا مجرد نقلها. فنجد مثلا يقول: "...فلا نجاة لهم من المهالك والمعاطب، ولا وصول لهم إلى السعادة في دنياهم وأخراهم..."²

ويقول في موضع آخر: "كان يدعو الكافرين كما يدعو المؤمنين، يدعو أولئك إلى الدخول في دين الله، ويدعو هؤلاء إلى القيام بدين الله، فلم ينقطع يوما عن الإنذار والتبشير، والوعظ والتذكير."³

فكأنه يقدم صورة حية ماثلة أمام المتلقين عناصرها: المؤمنون والكافرون والداعي، فيمثل فيها عناصر الدعوة وطريقة الدعوة وتنوعها بتنوع المدعويين. هذه الصورة التقابلية كافية لتبيان أهمية الدعوة من جهة وأهمية التنوع في أداء الدعوة وضرورة تعلم الداعي لهذه المهارات التواصلية بحسب تنوع المتلقى.

¹ البلاغة والتطبيق، ص 433.

² مجالس التذكير، مج 1، ص 121.

³ المصدر نفسه، مج 1، ص 123.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

ومن نماذج التقابل أيضا التي تصور مشهدا يقارب المعاينة هي تلك التفرقة التي وضعها بين الداعي الصادق والداعي الكاذب في تفسيره لقوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف 108] ففي التقابل تقريب للمعنى عن طريق استحضاره أمام المتلقي مما يؤكد تحقيق الكفاية لدى المتعلم وتحقيق الاقتناع لدى المتلقي. عن طريق إظهار الصورتين المتضادتين ليتبين للسامع أيهما الأحق بالاتباع، فيعمل عقله ويدرك الأفضل بنفسه دون توجيهه عن طريق الأوامر والنواهي المباشرة وهو ما تنفر منه النفوس وتأباه خاصة وقد تمت الإشارة مسبقا إلى التنوع الذي يطبع المتلقين لخطاب عبد الحميد ابن باديس.

بعد هذا العرض الموجز لنماذج من ظاهرة التقابل أوالتضاد في النص يمكننا أن نخلص إلى أنه أداة هامة في توضيح المعنى وتقريبه، وفي الوقت ذاته هو تجميل للصورة اللفظية وتزيينها، فهو بذلك من أبرز مظاهر أسلوب التوكيد.¹

■ فمن دعا إلى ما دعا إليه النبي ﷺ فهو من دعاة الله، يدعو إلى الحق والهدى.ومن دعا إلى ما لم يدع إليه محمد ﷺ فهو من دعاة الشيطان، يدعو إلى الباطل والضلال.

■ وقد مضى قبل هذه الآية: {كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك محظورا} ذكر مريدي العاجلة الذين لا يعملون إلا لها، وما أعدّ لهم من عذاب النار. وذكر مريدي الآخرة بأعمالهم في الدنيا وما أعدّ لهم من حسن الجزاء، فحالتهم في الآخرة متباينة: هؤلاء في النعيم المقيم وأولئك في العذاب الأليم.²

1-3-حسن التقسيم: أبدع ابن باديس في وضعه لتصنيفات وتقسيمات لأموار

وقضايا متعددة منها أقسام العباد، أصناف الدعاة..

¹ ينظر: أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج2، ص155.

² مجالس التذكير، مج1، ص174.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

أقسام العباد¹: فالعباد -إذا- على أربعة أقسام:

1. مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة.
2. ودهري تارك لها، فهذا شقي فيهما.
3. ومؤمن تارك للأسباب، فهذا شقي فيهما.
4. ومؤمن تارك للأسباب، فهذا شقي في الدنيا وينجو-بعد المؤاخذة على الترك-في الآخرة.

ثم قصر زحرة الصنف الرابع عن النار بثلاثة شروط:

1. الشرط الأول: أن يقصد بعمله ثواب الآخرة قصدا.....
 2. الشرط الثاني: أن يعمل لها المعروف في الشرع اللائق بها.....
 3. الشرط الثالث: أن يكون مؤمنا موقنا بثواب الله تعالى وعظيم جزائه....
- ثم قسّم هذه الشروط إلى أربعة مباحث وقسم المبحث الثاني إلى خمسة أقسام على النحو الآتي:

1. المبحث الأول: أن قصد الثواب والجزاء على العمل لا ينافي الإخلاص فيه لله....
2. المبحث الثاني: أفاد هذا الشرطان من لم يرد الآخرة لم يكن سعيه مشكورا. وفي هذا تفصيل.....

✓ القسم الأول: العامل في أمر تعبدي كالصلاة والصدقة والحج والعلم، فهذا إذا لم يرد الآخرة أصلا فهو موزور غير مشكور.

✓ القسم الثاني: العامل في العبادة الذي يقصد بها الثواب الآخرة وشيئا آخر من أعراض الدنيا.

¹ ينظر: مجالس التذكير، مج1، ص163.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

✓ القسم الثالث: العامل في العبادة الذي يكون قصده إلى ثواب الآخرة، وما عداه من منافع تلك العبادة ملحوظ له على سبيل التبع لها، من حيث إنه مصلحة شرعية معتبرة في التشريع...

✓ القسم الرابع: العامل لعمل عادي دنيوي من أكل وشرب ونوم وجماع ونحوها، فهذا إذا قصد بعملها النفع الدنيوي، ولا قصد له في الثواب، فهو غير مأجور ولا مأزور.

✓ القسم الخامس: عامل الأعمال العادية الذي يتناولها بنية كونها مباحا تناولا شرعا، ويقصد بها التوسل إلى ما يتوقف عليها من أعمال واجبة مندوبة، وإلى الانكفاف بها عن المحرمات والمكروهات ... فهذا مثاب وسعيه مشكور. وله مانوى.

3. المبحث الثالث: من الناس من يخترع أعمالا وأوضاعا من عند نفسه ويتقرب بها إلى الله، مثل ما اخترع المشركون عبادة الأوثان بدعائها، والذبح عليها... فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها، لأنها ليست من سعي الآخرة الذي كان يسعاه محمد ﷺ وأصحابه من بعده، فساعيتها موزور غير مشكور.

4. المبحث الرابع: شكر الرب لعبده هو جزاء شكر عبده له، وإنما يكون العبد شاكرا لربه إذا كان عاملا بطاعته مؤمنا به.

ومن نماذج حسن التقسيم كذلك أقسام الذكر¹: إذ قسّمه إلى ثلاثة أقسام ذكر القلب فكرا واعتقادا واستحضارا، وذكر اللسان قولاً، وذكر الجوارح عملاً.

1. ذكر القلب: وهو على ثلاثة ضروب

1.1 الأول: التفكير في عظمة الله وجلاله، وجبروته وملكوته، وآياته في أرضه وسمواته وجميع مخلوقاته... وهذا الضرب هو أعظم الأذكار وأجلها وأفضلها، وبه يتوصل إليها ويستحق الثواب عليها، إذ هو أساسها الذي تبنى عليه.

¹ ينظر: مجالس التذكير، مج 1، ص 58-63.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التدوير

1.2. الثاني:العقد الجازم بعقائد الإسلام في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر كله...ولذا كان هذا الضرب من ذكر القلب متفرعا عن الضرب الأول ومبنيا عليه.

1.3. الثالث: استحضر عظمة الرب وإنعامه، وما يستحقه من القيام بحقه عند كل فعل وترك... كل فعل وترك...

2. ذكر اللسان: وهو ضربان

2.1. الأول: ذكر الله تعالى بالثناء عليه والاعتراف بنعمه وإظهار الفقر إليه...

2.2. الثاني:ذكره تعالى بدعوة الخلق إليه، وإرشادهم إلى صراطه المستقيم الموصل إليه، بتعليم دينه والتنبيه على آياته وإنعاماته...

3. ذكر الجوارح: وهو ضرب واحد، فذكرها استعمالها في الطاعات، وكل عمل لها لا، أو انكفاف على مقتضى الشرع...

وبهذا يمكن للعبد الموفق أن يكون ذاكرا لربه في يقظته ونومه وصحته ومرضه وعلى جميع أحيانه.

وليس من السهل أن يتأتى لأي أحد القدرة على التصنيف والتقسيم، إذ يحتاج ذلك إلى رؤية جامعة وإحاطة كاملة بكل حيثيات الموضوع حتى يستطيع بناء مخطط جامع ومانع....وكل هذا من الفتوحات الربانية التي من الله بها على عبده.

وإنَّ الغاية الأولى من التقسيم تكمن في الإيجاز والإجمال وتجنبنا للإطالة والاستطراد حتى يقبل عليها المتلقي ويسهل اكتسابها وتناولها وتطبيقها.

وهذه الطريقة من الوسائل التعليمية التي يلجأ إليها المعلم لتنظيم أفكار المتعلمين، وإن هذا التنظيم على مستوى التحقق اللغوي يدل بالضرورة على تنظيم الأفكار في ذهنه، واستقرارها.

1-4-التناص / الاقتباس والتضمين / الاستشهاد:

ظهر التناص للمرة الأولى في النقد الحديث على يد الناقد البلغارية جوليا كريستيفا التي انطلقت من مفهوم الحوارية عند باختين، ويعدّ التناص عند جوليا كريستيفا إحدى سمات النص الأدبي لأنها تحيل دائماً إلى نصوص أخرى سابقة فتقول: " كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى وعليه لا يوجد نص مستقل بنفسه منعزل عن غيره من النصوص....فالنص عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"¹ فهو بناء لنص جديد من نصوص سابقة، لبناته تشكلت من مزيج لنصوص سابقة، يصعب الكشف عنها" يتفاعل بواسطتها النص مع الماضي والحاضر والمستقبل وتفاعله مع القراء والنصوص الأخرى."²

ويؤكد محمد مفتاح ذلك بقوله: "إن التناص شيء لا مفر منه لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه بالعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي."³

و يتجه بعض الدارسين العرب إلى فكرة أن التناص من القضايا النقدية التي أثارها النقاد العرب، ولفتت انتباههم قديماً وحديثاً، وأن مصطلح التناص مصطلح حديث دلّ على ظاهرة أدبية ونقدية برزت في كلام العرب، ولكنها أدرجت تحت مسميات عدة منها الموازنات والسراقات والمعارضات والاقتباس والتضمين وتوارد الخواطر...

إلا أن المنطلقات التي انبثقت منها النقد العربي مؤسسا لفكرة السرقات مختلفة تماماً عن تلك التي انطلق منها التناص، فالتناص وليد الرواية أما النقد العربي القديم كان اهتمامه

¹ التناص في شعر أبي العلاء المعري: إبراهيم مصطفى محمد الدهون. عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011 م، ط 1 ص 19.

² النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب: محمد عزام. منشورات وزارة الثقافة، ط 1، 1996، ص 148.

³ تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص-: محمد مفتاح. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992م، ط 3، ص 123.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التنزيير

الشعر، والتجربة الشعرية في القصيدة العربية كانت مجزأة وليست كلية، أساسها البيت الواحد، وتحتكم إليه.

ومن جهة أخرى ففكرة التناص تؤول إلى البنيوية الصورية التي ألغت صاحب النص، وحكمت على المؤلف بالموت، والمهم هو تعالي النص، الذي يظهر من خلال العلاقة الخفية الجلية التي تربطه بالنصوص الأخرى. وهذا ما ينفي وجود الرابط بينهما، ولكل نظرية نقدية منطلقا فلا يعني هذا الحط من قيمة ما ذهب إليه النقاد العرب القدماء ولا التطابق بين الفكرين يستدعي الاحتفاء والافتخار.

ولذلك - وأنا اشتغل على مدونة تفسيرية انبثقت أفكارها عن النص القرآني - سيكون المصطلح المختار عندي هو الاقتباس والتضمين.

فالاقتباس في التراث النقدي العربي هو " أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث"، أما التضمين فهو " أن يضمن الشعر شيئا من شعر الآخرين.¹

ظاهرة الإقتباس والتضمين: ينطلق المرسل في بناء خطابه من تأثره بخطابات سابقة، فينتج نصا تتشابه فيه مجموعة من النصوص الأخرى التي تركت فيه بصماتها الواحدة تلو الأخرى، ولذلك يظهر التوجه الفكري والثقافي للمرسل انطلاقا من النصوص التي تضمنها النص الجديد، وإن الاتجاه الإصلاحى النهضوي الإصلاحى الذي يستمد منه ابن باديس مبادئه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يفرض عليه أن يمد يده في كل لحظة لينهل منهما ويقتبس من بلاغتهما مثلما أخذ من هديهما.

ويلجأ الكاتب إلى الاقتباس من القرآن والحديث لما له من أثر بالغ في تقوية أفكاره وتدعيم رأيه بالحجة والبينة وإقناع المتلقين بها، وهذه عناوين المقالات التي تظهر فيها هذه الظاهرة: "القرآن شفاء ورحمة"، و"إخوان الشياطين"، "صدق المدخل والمخرج"، "مجيء الحق وزهوق الباطل واستجابة دعاء الصادقين".

¹ تلخيص المفتاح، ص 217.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

هذه العناوين يشع منها نور الآية القرآنية دون تصريح المؤلف بذلك، فالقارئ البسيط قد يخفى عليه الرابط بين النص الحديد والنص الذي أصبح جزءا من تركيبته البشرية، فيظهر في كل لحظة بوعي أو دونه.

وتنوعت نماذج الاستشهاد في النص بين الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما ومن ذلك قوله:

■ فلاخرة ونيل درجاتها فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون¹ كما في قوله تعالى: ﴿حِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين 26].

■ ومن الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بدون استثناء، وإنما يتنوع الواجب بحسب رتبة الاستطاعة فيجب باليد، فإن لم يستطع فباللسان، فإن لم يستطع فبالقلب، وهو أضعف الإيمان، وأقل الأعمال في هذا المقام.²

وهو كلام مقتبس من الحديث النبوي الشريف "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"

■ "العامل في العبادة الذي يقصد بها ثواب الآخرة وشيئا آخر من أعراض الدنيا كالرجل يتبغي الجهاد وهو يريد من عرض الدنيا. وقد سئل النبي ﷺ عن هذا فقال: "لا أجر له"³. فقد دمج كلامه مع كلام الرسول ﷺ دون إشارة منه لذلك تم عضد كلامه بالاستشهاد بحكم النبي ﷺ على هذا الرجل، ونص الحديث هو: "أن رجلا قال: يا رسول الله، الرجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يتبغي عرض الدنيا، فقال النبي ﷺ: "لا أجر له".

■ واستشهد بقوله ﷺ "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 181.

² المصدر نفسه، مج 1، ص 125.

³ المصدر نفسه، مج 1، ص 168.

الفصل الرابع.....الحقول النحرية وولاتها في مجالس التذكير

القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" لتبيان أن أساس شرع الله العدل والإحسان.

■ وهذه السبيل يستطيع العبد الموفق أن تكون حركته وسكناته كلها لله، وفي طاعته. دائم الذكر له كأنه يراه، لأن من كان يعبد كأن يرى مولاه، لا يمكن أن يغفل عنه قلبه ويشغل بسواه، حتى إذا اشتغل بشيء كان بإذنه ورضاه، فلم يخرج في أيّ عن قدس الله.¹ ومضمون كلامه مأخوذ معنى ولفظاً من حديث جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان، وأن تعبد الله كأنك تراه هي مرتبة الإحسان كما بين جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ.

■ وفي مقال عنونه بدعوة أهل الكتاب عرض فيه تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة 15-16] استشهد بنصوص من الكتب السماوية فقال: "جاءت صفات النبي ﷺ التي لا تنطبق على غيره فكتموها، مثل قول عيسى - عليه الصلاة والسلام- في الفقرة الثانية عشر وما بعدها في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذلك يمجدني لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم."²

■ جاء في الفقرة الثانية من الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا قول عيسى - عليه الصلاة والسلام-: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 171.

² المصدر نفسه، مج 1، ص 107-108.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التذكير

المسيح الذي أرسلته.¹

■ وللاستدلال على معنى الأوبة من كلام العرب استشهد بقول عبيد:

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

ليس من الصعب على المتلقين لمقالات مجالس التذكير الكشف عن النص الأصلي، لأنه نص مشترك بين المرسل والمرسل إليه، والمرسل يعي ذلك، ولذلك هذه الاقتباسات تأخذ حكم الاستشهاد لا الاقتباس لأن الغاية منها غاية حجاجية بحتة تهدف إلى الإقناع.

ولذلك مجالس التذكير غني بالاستشهادات الصريحة وغير الصريحة-إن صحت التسمية- والدافع لذلك هو المخاطب الذي يعيش حالة من المد والجزر بين ما تعود عليه من أفكار يرى فيه لعقود أنها الدين الصحيح والسليم وبين النهضة التي جاء يحييها ابن باديس في المجتمع.

إذن فالمخاطب هو الحاضر الدائم في ذهن ابن باديس يحرك النص من بعيد وفق ما يخدمه وهو في حاجة إلى دفعة من الأدوات الحجاجية التي تغلق أمامه الرجوع إلى الخلف، وتدفعه إلى المضي قدما نحو النهضة.

إن الاستشهاد بالقرآن وبكلام الرسول ﷺ يعتبر حجة لا جدال فيها... ويشكل هذا الأسلوب دعامة لكثير من الناس باعتبار أن القرآن هو المرجع ماث الملائين من البشر وكلامه مجاوز لكل منطق بشري فهو صادر عن خالق البشر، وهو الحججة الواصفة التي لا يمكن ردها، والاستشهاد به إذن يضفي على المقال -في رأي البعض- صفة الحقيقة وحسن الاستشهاد.²

كما استشهد ابن باديس إضافة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالوقائع

¹ مجالس التذكير، مج 1، ص 108

² الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 241.

الفصل الرابع.....الحقول النحوية وولاتها في مجالس التنوير

التاريخية وأسقط الماضي على الحاضر وعقد المقارنات محاولاً رفع الهمم واستخلاص العبر، ومن ذلك استشهاده بقصة سيدنا سليمان عليه السلام، وقصص الأمم البائدة من عاد وثمود، وكذا قصص تاريخية واقعية كقوله " في تواريخ الأمم نساء تولين الملك ومن المشهورات في الأمم الإسلامية شجرة الدر في العصر الأيوبي، ومن هن من قضت آخر حياتها في الملك وازدهر ملك قومها في عهدها، فما معنى نفي الفلاح عمن ولوا أمرهم امرأة؟" يريد من ذلك الاستدلال على الحكم الشرعي في عدم جواز ولاية المرأة.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

خلاصة الفصل:

بعد النظر في حقول ابن باديس وأساليبه واختياراته التركيبية، يظهر أن المحرك الأول لهذه الاختيارات هو نظرتة للمتلقى وما يريد المتلقى وما ينفع معه انطلاقا من معرفته بحيثيات نفسيته وتطلعاته وأفكاره، باختصار معرفة ابن باديس لمدخلات الذهن الجمعي الجزائري، وعلى أساسه يبني النص الحامل لأفكاره المغايرة في تفاصيل كثيرة لأفكارهم فيمررها في قوالب تراعي هذا الفارق المعرفي.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

خطبة

جامعة الأمير
عبدالقادر للعلوم الإسلامية

خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

- غاية ابن باديس من مجالس التذكير لم تكن تفسير القرآن تأليفاً وكتابة، بقدر ما كانت غايته الانطلاق من القرآن الكريم ليكون المصدر الرباني للخروج بالجزائريين من حالة البؤس والشقاء التي يعيشونها إلى حياة السعادة والهناء.
- يظهر المعجم الاجتماعي متداخلاً مع المعجم الديني في النص، من خلال النماذج التي هي من صميم المجتمع الجزائري، والتي يُصرّ ابن باديس على إظهارها في كل مرة تعليماً وتفهماً للجزائريين.
- العدو الأول للجزائريين - في الفكر الباديسي - قبل الاستعمار هو الجهل ولا بد من محاربة الجهل قبل محاربة المستعمر. ومن التصرفات التي كانت سائدة في المجتمع والتي تعبر عن حالة الجهل التي سعى ابن باديس ورجال الفكر والإصلاح إلى محاربتها هي جعل الوساطة بين العبد وربّه وإنزال الأضرحة المقام الذي لا تسمو إليه من التعظيم.
- ف رؤية ابن باديس تنطلق من مبدأ عام أو يمكننا أن نسميه منهج حياة وهو "القرآن الكريم هو الحل الأنجح والأمثل في إصلاح العالم"، ولذلك فهو يطل من القرآن الكريم على العالم بعين ثاقبة ومنهج موضوعي وعلمي صارم يعمل من خلاله العقل للوصول إلى الحل.
- حقل العبادات هو أقل الحقول دوارانا في مجالس التذكير، مردّد ذلك إلى أنّ عناية ابن باديس منصبّة على مقاصد العبادات، لا العبادات في حد ذاتها وهو المطلوب فعلاً من المسلم والرسول ﷺ قال "وما بعث إلا لأتمم مكارم الأخلاق".
- يعد معجم الإصلاح هو المعجم المحرك لفكر ابن باديس، وتنبثق عنه بقية المعاجم والحقول، من معجم ديني وعقائدي واجتماعي.

- بالوقوف على البنية التصورية لفكر ابن باديس وانطلاقا من استعارته الكبرى التي يسير في فلکها بقية استعاراته ، هذه الاستعارة هي الحياة رحلة كما عبر عنها لا يكوف وجونسون ولكنها رحلة مزدوجة تنطلق من النقطة "أ" إلى النقطة "ب" في اتجاه أفقي ، ثم يتحول المسار إما إلى الأعلى أو الأسفل متوقفا على نوع المسار الأفقي إن كان مستقيما أو معوجا فيمثل المسار العلوي الجنة والمسار السفلي النار.
- ابن باديس استطاع بذكائه أن يتزل من برج العلماء إلى أرض البسطاء ليحملهم معه إلى درجة من الرقي قد خطط لها مسبقا ، إذن فرساتله مدروسة وليست عشوائية يرميها بدقة
- لتصيب الهدف، إذن فكل كلامه وأسلوبه واختياراته اللفظية والتركيبة وانزياحاته واستعاراته ليست صدفا ولكنها وعي وانتقاء للوصول بالمتلقي إلى ما يطمح إليه ابن باديس من نهضة وتجديد.
- كل اختيارات ابن باديس ، اختيرت عن قصد ، لغاية تعليمية ولتذليل الأفكار وقولبتها في شكل مألوف عند المتلقين ، إذن فالاختيار الاستعاري هنا يعد أداة تعليمية.
- وظف ابن باديس كل الأدوات الحجاجية الممكنة العقلية والنقلية واللغوية ، لإقناع المجتمع الجزائري بالنهضة ، والثورة على الأفكار القديمة.
- لاتزال أعمال ابن باديس في حاجة إلى الدراسة والبحث ، والتنويع في زوايا النظر إليها بتخير المناهج التي تتيح لنا الغوص في إنتاجه الفكري والعملية.

الفهارس

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	رقمها	السورة	الآية
242	5	الفاتحة	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾
81	158	البقرة	﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ...﴾
56	282	البقرة	﴿وَلِيَكْتُبَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾
263	16-15	المائدة	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ..﴾
43	48	المائدة	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾
	38	الأنعام	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾
58	56	الأنعام	﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
43	19	الأنعام	﴿وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾
255،43	2-1	يوسف	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ - إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
195	108	يوسف	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
67	11	الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
177	9	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
226	57	النحل	﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾
43	9	الإسراء	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

17	12	الإسراء	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ... ﴾
222	20	الإسراء	﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ ﴾
216	22	الإسراء	﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾
32	33-31	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ... ﴾
31	37-36	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)... ﴾
244	57	الإسراء	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ... ﴾
240	79	الإسراء	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾
43	109	الكهف	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾
35	96	مريم	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾
216	105	الأنبياء	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
44	33	الفرقان	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾
264	62	الفرقان	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾
177	19	النمل	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾
202	15	النمل	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

200	16	النمل	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾
60	3-1	الرحمن	﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) ﴾
243	20	المزمل	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾
261	26	المطففين	﴿ حَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾
22	19-18	الأعلى	﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19) ﴾
79	22-21	الغاشية	﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾
59	5-1	العلق	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)... ﴾
46	31	عبس	﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾
60	2	العصر	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن نافع

أولاً: الكتب

1. الاتقان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي. دار الحديث، القاهرة، 1427هـ - 2006م، دط.
2. أدبية النص القرآني: بحث في نظرية التفسير: عملر حسن القيام. بقلم طه جابر العلواني في التقديم. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2011.
3. أساس الاقتباس في المنطق: نصير الدين الطوسي. تر: منلا خسرو. المجلس العالمي للثقافة، دط، دت.
4. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس إسماعيل الأوسي، بين الحكمة، بغداد، دت، دط.
5. الاستعارات التي تقتل: جورج لايكوف. تر: عبد المجيد جحفة وعبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
6. الاستعارات التي نحيها، جورج لايكوف ومارك جونسن، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009، ط2.
7. الاستعارة في الخطاب: إلينا سمينو. تر: عماد عبد اللطيف، خالد توفيق. المركز القزمي للترجمة، 2013، ط1.
8. أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس: محمد بن سمينة. دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2014.
9. الأسلوب و النحو، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية: محمد عبد جبر، دار الدعوة، 1409هـ، 1988م، ط1.
10. الأسلوب: أحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966.
11. الإشارات والتبهمات: ابن سينا، تح: سليمان دنيا، شرحه: نصر الدين الطوسي. دار المعارف، دت، ط3.

12. الأصول دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000،
دط.
13. إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات
معرية بإشراف عز الدين مجدوب. الجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، 2012،
دط.
14. الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره: إعداد وتصنيف عمار طالبي. عالم المعرفة، الجزائر،
دار ابن حزم، لبنان، 2014م، ط1.
15. امرئ القيس: ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
1425هـ-2004م، ط5.
16. الإنسان والقرآن وجهها لوجه: حميدة النيفر. دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق،
ط1، 2000.
17. الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون: كيحل مصطفى، منشورات الاختلاف، الجزائر/ دار
الأمان، المغرب، ط1 2011.
18. البحث عن فرديناند دوسوسير: ميشال أرليفية، محمد خير محمود البقاعي، الكتاب الجديد
المتحدة، (بيروت- لبنان) ط1، 2009.
19. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي. عناية:
صدقي محمد جميل. ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2010، دط،
20. بحوث في أصول التفسير ومناهجه: الرومي، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ.
21. بحوث في أصول التفسير ومناهجه: الرومي، مكتبة التوبة، ط4، 1419هـ.
22. البلاغة فنونها وأفانها- علم المعاني- فضل حسن عباس. دار النفائس، الأردن، ط12،
2009.
23. البنى التصويرية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم، راغين بوشعيب. عالم الكتب
الحديث، 2011م، ط1.

24. البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية: عماد عبد يحيى، دار دجلة، عمان، الأردن، ط2، 2009.
25. بنيات المشابهة في اللغة العربية -مقاربة معرفية: عبد الاله سليم. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001،
26. تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري. ت: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم، للملايين، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م، ط3.
27. تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري. ت: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم، للملايين، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م، ط3.
28. تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013: فضيل دليو. دار هومة، الجزائر، ط1، 2014
29. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية: أمبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004.
30. تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص-: محمد مفتاح. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992م.
31. التراكيب الاسنادية: علي أبو المكارم. مؤسسة المختار، القاهرة، ، 2007، ط1.
32. التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، دط، دت.
33. تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس. اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبد الرحمن محمود. دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، 1432هـ-2011م، ط2.
34. التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، ج20، المطبعة البهية، مصر، ط1، 1938.
35. التفكير البلاغي عند العرب: حمادي صمود. منشورات كلية الآداب، منوبة، 1994، ط2.
36. التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث- الأصول و الاتجاهات خالد خليل هويدي، الدار العربية للعلوم ناسترون، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م.

37. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع: الخطيب القزويني. تحقيق وتقديم: ياسي الأيوبي. المكتبة العصرية سيّدا، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.
38. التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكوندوف 1983: منية عبيدي. منشورات علامات، مكناس، المغرب، ط1، 2013.
39. التناص في شعر أبي العلاء المعري: إبراهيم مصطفى محمد الدهون. عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م، ط1.
40. تزييل الآيات على الواقع عند المفسرين -دراسة وتطبيق-: عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر. سلسلة الدراسات القرآنية 4 الصادرة عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1428هـ - 2007م.
41. الثمر الداني من محاضرات الشيخ أحمد حماني 1915-1998: جمعها أبو أسامة عمر خلفه. دار الفجر، 1432هـ - 2011م، ط1.
42. جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني. المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ، 2004م.
43. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج1، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، (د-ط)، 2003.
44. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية: مازن صلاح حامد مطبقاني. عالم الأفكار، الجزائر، دط، 2011.
45. الجملة العربية والمعنى: فاضل صالح السامرائي. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422، 2000، ط1.
46. جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف: عقيلة حسين. دار الوعي، ط1، 2012.
47. حاشية مقدمة التفسير: الحنبلي التّجدي، (د-ن)، (د-ط)، 1312هـ - 1392هـ.
48. الحجاج بين النظرية والأسلوب -عن كتاب نحو المعنى والمبنى: باتريك شارودو. تر: أحمد الوديني. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009.

49. الحجاج في البلاغة المعاصرة-بحث في بلاغة القد المعاصر- محمد سالم الأمين طلبة. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.
50. حدود النحو: الفكهاني. تح: عبد اللطيف محمد العبد. منشورات المكتبة العصرية، لبنان، 1979م، دط.
51. الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي: عمارية حاكم. دار العصماء، سورية، ط1، 2015م.
52. الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب - دراسة تداولية- عمر بلخير. دار الحكمة، الجزائر، 2009، دط.
53. دراسات في علم اللغة الحديث، صادق يوسف الدباس، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2012.
54. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظمة. دار الحديث، القاهرة، دط، دت.
55. دراسة لغوية ومعجمية: حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط2، 1996.
56. دروس في المذاهب النحوية: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1988.
57. الدلالة والمعنى - دراسة تطبيقية - عقيد خالد حمودي العزاوي/ عماد بن خليفة الدايني البعقوبي. دار العصباء، دمشق، سوريا، ط1، 1435 هـ - 2014 م.
58. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. شركة القدس، ط3، 1413 هـ - 1992م.
59. دينامية الخيال - مفاهيم وآليات الاشتغال: عبد الباسط لكراري. منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2004، ط1.
60. دينامية النص (تنظير وإنجاز): محمد مفتاح. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2010.
61. ديوان النابغة الذبياني: تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، دط، دت.
62. ديوان أوس بن حجر: تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ط3، 1423

هـ - 1979.

63. ديوان ذي الرمة: قدم له وشرحه: أحمد حسن سبيح. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م، ط1.
64. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - المنعقد بمركزها العام-نادي الترقى بالجزائر، دار الكتاب الجزائري.
65. السياق والدلالة: مسعود بودوخة، بيت الحكمة، ط1، 2012.
66. الشعر والتلقي - دراسات نقدية- علي جعفر العلاق. دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997.
67. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر: تركي رابح. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط4، 1984.
68. الظاهرة الدلالية عند علماء العربية الدامي حتى نهاية القرن الرابع هجري: صلاح الدين زرال. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان منشورات الاختلاف، الجزائر، 1429هـ-2008م، ط1.
69. عبارة الشعر: ابن طباطبا. تح، زغلول سلام وطه الجاجري. ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1959.
70. عبد الحميد بن باديس - مرحلة التحصيل والتكوين -: عبد العزيز فيلاي. دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت.
71. عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية: أندري ديريليك. تقديم وترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني. عالم الأفكار، الجزائر، 2013.
72. العربية-تأليفها وأقسامها: فاضل السامرائي. دار الفكر، عمان، الأردن، 1427هـ-2007م، ط2.
73. علم الدلالة -أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
74. علم الدلالة عند العرب: فخر الدين الرازي نموذجاً: محي الدين محسب. دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008

- ط1.
75. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، 1998م، ط5.
76. العنوان في النص الابداعي -أهميته وأنواعه-: عبد القادر رحيم. جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008.
77. فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو: الأزهر الزناد. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الاختلاف، الجزائر، 2010، دط.
78. فن الخطابة: أرسطو. تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، 1986، ط2
79. فن الشعر: أرسطو. تر: إبراهيم حمادة. مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت.
80. في اللسانيات التداولية-مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: خليفة بوجادي. بيت الحكمة، الجزائر، 2012م، ط2.
81. في اللسانيات العامة: مصطفى غلفان. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010. ذ
82. في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي. المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1964، ط1.
83. القاموس الخيط: الفيروزآبادي. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2009.
84. قصص الأنبياء: محمد متولي الشعراوي، جمع المادة العلمية، منشأوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، م ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
85. القواعد التحويلية في الجملة العربية: عبد الحليم بن عيسى. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011، ط1.
86. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. دار القلم، دمشق، 1433هـ-2012م، ط5.
87. قواعد الترجيح عند المفسرين -دراسة نظرية تطبيقية-: حسن بن علي الحربي، ج1، دار قاسم، الرياض، ط1، 1996.

88. كتاب البديع: عبد الله بن المعتز. تعليق وتقديم: اغناطيوس كراتشوفسكي. دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982.
89. كتاب البديع: عبد الله بن المعتز. تعليق وتقديم: اغناطيوس كراتشوفسكي. دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982.
90. الكتاب سيبويه: تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط 3، 1988.
91. الكتاب: سيبويه أبوبشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه. ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1425هـ-2004م ط4.
92. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي. مكتبة لبنان، 1996م، ط1.
93. الكشاف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م، ط3.
94. كليات المعرفة اللّغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات: كريم عبيد علوي. دار الأمان، الرباط، 2013، ط1.
95. الكليات: أبو البقاء الكفوي. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ-1998م، دط.
96. اللبس في النحو العربي - دراسة في القرائن -: بكر عبد الله خورشيد: 1427-2006، دط.
97. لسان العرب: ابن منظور. ضبطه وعلّق عليه: خالد رشيد القاضي. دار صبح، بيروت/ دار إديسوفت، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م.
98. اللسانيات التوليدية- من التفسير إلى ما وراء التفسير: نعوم تشومسكي. تر: محمد رحالي. دار الكتاب الجديد، ط1، 2013.
99. اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي- مفاهيم وأمثلة -: مصطفى غلفان: عالم الكتب الحديث، اربد، لبنان، 1431هـ/ 2010م، ط1.
100. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان. دار الثقافة، القاهرة، 1979 م، دط.

101. اللغة والفكر والعالم- دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية التحقق: محي الدين محسب. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997م،
102. اللغة واللغويات: جون لوسنير، محمد العناني، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/ 2009م.
103. اللفظ والمعنى بين الأيديولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم: طارق النعمان. سينا للنشر، القاهرة، ط1.
104. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد بن لطفي الصباغ. المكتب الإسلامي ط3، 1410هـ-1990م، بيروت.
105. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: نور الهدى لوشن. المكتبة الجامعية الأزهرية، الإسكندرية، دط، دت.
106. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1421-2000، ط3.
107. محاضرات في علم الدلالة: خليفة بوجادي، بيت الحكمة، 2012، ط1.
108. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ - 1993م.
109. مدخل إلى القرآن الكريم: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.
110. مدخل إلى النحو العرفاني: عبد الجبار بن غريبة. كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2010، ط1.
111. مستويات الدرس اللغوي في تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام ابن باديس: عبد الحفيظ شريف. منشورات مختبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ط1، 2015،
112. مصطلحات الدلالة العربية- دراسة في ضوء علم اللغة الحديث-: جاسم محمد عبد العبود. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت

113. المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات: ماريا تيريز الجابري. تر: محمد أمطوس، ط1، دت.
114. المعاجم اللغوية المعاصرة - قضاياها النظرية والتطبيقية - : حميد مطيع العواضي. مؤسسة العفيف الثقافية، ط1، 1999م.
115. معجم التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. تح: محمد صدّيق المنشاوي. دار الفضيلة، دط، دت.
116. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب. الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ، 2006م.
117. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب. الجمع العلمي العراقي، 1403هـ-1983م، دط.
118. معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي. مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت.
119. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، ج1، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، لبنان، 1983.
120. معجم تحليل الخطاب. باتريك شاردو- دومينيك منغوتو: تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود. دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.
121. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395 هـ) ت: عبد السلام هارون. إتحاد الكتاب العرب، د. ط. 1432 هـ - 2002 م.
122. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1402هـ-1981م،
123. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري. تحقيق وشرح: عبد اللطيف محمد الخطيب. الكويت، 2000، ط1.
124. مفتاح العلوم: أبو بكر محمد بن علي السكاكي. ضبطه وكتب حوامشه وعلق عليه: نعيم

- زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م، ط2.
125. مفهوم النص -دراسة في علوم القرآن-: ناصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2006.
126. مقاصد الفلاسفة: أبو حامد الغزالي. تح: محمد بيجو. مطبعة الضباع، 1420هـ-2000م، ط1.
127. مقالات في اللغة والأدب: تمام حسان. عالم الكتب، القاهرة، 1427هـ-2006م، ط1.
128. مقدمة في علم الاتصال: نبيل العارف الجردي. دار الخليل للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط3، 1995م.
129. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: محمد محمد يوسف علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، بيروت، لبنان.
130. مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي: بحث في الأسس الدلالية للشيء النحوية: شكري السعدي. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
131. من النص إلى الفعل - أبحاث التأويل-: بول ريكور، تر: محمد برادة، وحسان بورقيّة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001.
132. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2، ح، فواز أحمد ترمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
133. مناهل العرفان: الزرقاني، دار الفكر، القاهرة، دط، دت.
134. المنجد في اللغة والإعلام. دار المشرق، بيروت، ط1، مادة (ص ح ف).
135. منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية: عبد الكريم الفكون. تح: أبي القاسم سعد الله. دار المغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
136. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد بن عبد الرحمان، ج1، (د- د- ن)، ط2، 1983.
137. نظريات لسانية عرفانية: الأزهر الزناد. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الاختلاف،

الجزائر، دط، دت.

138. النظرية التأويلية عند ريكور: حسن بن حسن، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ط1، 1992.

139. النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة- مبادئ وتحليل جديدة-: محمد غاليم. دار توبقال، المغرب، 2007، ط1.

140. نقد الخطاب الديني: نصر حامد أبو زيد، سينا للنشر، مصر، ط2، 1994.

141. النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب: محمد عزام. منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1996.

142. النكت في إعجاز القرآن: الرماني. تح: حمزد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، القاهرة، دط، 1986.

143. نهاية الإيجاد في دراسة الإعجاز: فخر الدين الرازي، تح: إبراهيم السامداني ومحمد بركات، عمان- الأردن، دار الفكر، دط، 1985.

144. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: محمد علي دبوز. المطبعة العربية، الجزائر، طر، 1391هـ-1971م.

145. الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي بين حقائق النصّ ونسيئة المعرفة: معتصم السيّد أحمد، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1 2009.

146. وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية: عبد العزيز فيلاي. دار الهدى، الجزائر، 2012.

147. وقانون التأويل: القاضي محمد بن عبد الله الإشبيلي، تح: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدّة/ مؤسّسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1986.

ثانيا: المجالات

148. البصائر: ابن باديس. 28 شعبان 1355هـ-13 نوفمبر 1936م، ع43.

149. تزييل الآيات على الواقع عند ابن القيم: يحيى بن محمد زمزمي. مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع4.
150. جهود ابن باديس في مواجهة المشكلات العقدية والفكرية: نور الدين سكحال. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. عدد33، سبتمبر 2014.
151. دلالات لفظ يسألونك في القران الكريم: عبد الغني بن شعبان. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2012، ع13.
152. رتيبة محمدا بولوداني: مقال آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد16.
153. فن المقال: جمال الجاسم المحمود. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ع1، 2008.
154. مدخل إلى علم اللسان الحديث: عبد الرحمن الحاج صالح. مجلة اللسانيات، جانفي 1972.
155. مناهج اللسانيات ومذاهبها في الدراسات الحديثة: منذر عياشي، مجلة ثقافات، (د، ع)، 2005.
156. موقف عبد القاهر الجرجاني من الاستعارة: توفيق حمدي. أعمال ندوة - عبد القاهر الجرجاني - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سفاقس.
157. نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم: مختار درقاوي: الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد13، جانفي 2015.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

158. Chaim perelman: la nouvelle rhetorique. presses universitaires de France , paris , 1985 .
159. Chomsky: structurées syntasciques . Trad , de l americain. Paris, 1969.
160. Ibn Badis commentateur du coran : Ali merad .librairie orientaliste PAUL GEUTHNER.1971.

161. Leorando Bloomfield, langage , university of chicago press ,
Amazon france

162. Women , fire ,and dangerousthings.George Lacoff. university of
chicago press ,1987.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

163. بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي: محمد غاليم. مقال منشور على الانترنت :

<http://WWW.aljabriabed.net /n96-05gaem.htm>

عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
المدخل:	
ابن باديس والمجتمع الجزائري حالة اتفاق أم اختلاف؟	
2	أولاً: الحالة الاجتماعية التي أثمر فيها الفكر التجديدي في الجزائر
2	1- البيئة الفكرية في مدينة قسنطينة قبل الاستعمار الفرنسي
4	2- البيئة الفكرية في مدينة قسنطينة قبل المرحلة البادسية
5	3- أثر جغرافية قسنطينة في فكر وجهود عبد الحميد بن باديس
7	ثانياً: ابن باديس والمجتمع الجزائري... اتفاق أم اختلاف؟
7	1- نشأة ابن باديس وتعليمه في قسنطينة
10	2- عبد الحميد بن باديس المعلم
12	3- ابن باديس القائد
18	4- عبد الحميد بن باديس مفسراً
الفصل الأول:	
مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير بين التفسير والصحافة.	
21	تمهيد
22	المبحث الأول: مجالس التذكير ومقالات الصحافة
22	1- الصحافة الجزائرية - علم وعمل
25	2- فن المقال - روح الصحافة
26	3- المقالة الافتتاحية

43	المبحث الثاني: مجالس التذكير كتاب تفسير
43	1- مفهوم التفسير
47	2- التفسير النشأة والتطور
51	3- التفسير - الأهمية والأقسام والأنواع-
54	4- نماذج عن تفسير القدماء
61	5- نماذج من التفسير في عصر النهضة
68	6- التفسير عند الحدائين
78	المبحث الثالث: مجالس التذكير الذكر والواقع
78	1- التذكير
78	1-1- مفهوم التذكير
78	2- مفهوم التذكير عند عبد الحميد بن باديس
80	3- تنزيل الآيات القرآنية على الواقع
80	3-1- مفهوم التنزيل
81	3-2- شروط تنزيل الآية على الواقع
83	3-3- أهمية تنزيل الآيات القرآنية على الواقع وفائدته
86	خلاصة الفصل
<p>الفصل الثاني:</p> <p>البعد المعرفي للدرس الدلالي</p>	
88	تمهيد
88	المبحث الأول: علم الدلالة عند العلماء العرب

88	1- مفهوم الدلالة
89	2- علم الدلالة
92	الأصول التاريخية لعلم الدلالة:
95	3- أنواع الدلالة
95	باعتبار العلاقة بين الدال والمدلول
99	باعتبار العلاقة بين اللفظ والمعنى
102	4- طيف النظرية التصورية في الفكر اللغوي العربي
110	المبحث الثاني: النظريات الدلالية الغربية
110	1- أنواع النظريات الدلالية
110	1-1- النظرية الإشارية
112	1-2- النظرية التصورية
113	1-3- نظرية الحقول الدلالية
114	1-4- الحقول الستجمائية
117	المبحث الثالث: بدايات الاهتمام بالمعنى في التحليل اللساني
117	1- البنية الوصفية
118	1-1- المعنى في المدارس البنوية الأوروبية
123	1-2- المدارس البنوية الأوروبية
125	2- المدرسة الأمريكية (النظرية السلوكية)
128	3- المدرسة الإنجليزية: (النظرية السياقية)

130	4- النظرية التوليدية
133	4-1- محاولات كاتز وفودور
135	4-2- محاولة كاتز وبوسطل
137	4-3- المكون الدلالي من النموذج المعياري إلى البرنامج الأدنوي
139	4-4- اللسانيات العرفية: cognitive linguistics المصطلح والمنهج والإجراءات
145	خلاصة الفصل
الفصل الثالث:	
الحقول الاستعارية وأبعادها الدلالية في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير	
147	المبحث الأول: تطور مفهوم الاستعارة من أرسطو إلى لاكوف
147	1- الاستعارة لغة واصطلاحاً
147	1-1- الدلالة اللغوية:
148	1-2- اصطلاحاً
149	2- الاستعارة في منظور الثقافة اللغوية العربية
149	2-1- تطور مفهوم الاستعارة
156	3- الاستعارة عند أرسطو
157	3-1- بين التشبيه والاستعارة
157	3-2- وظيفة الاستعارة عند أرسطو
158	4- عودة البلاغة إلى مكانتها في العصر الحديث
158	4-1- الاستعارة آلية لتحقيق البعد الحجاجي

160	4-2- الاستعارة عند لايكوف (من منظور البنية التصويرية)
164	المبحث الثاني: الاستعارة الكبرى الحياة رحلة في مجالس التذكير
164	السعي نحو التغيير
166	1- محاولة الكشف عن النظرة الاستعارية الشاملة التي تمثل بنية فكر ابن باديس للواقع
166	1-1- الاستعارة البنوية
172	1-2- الاستعارة الاتجاهية ودلالاتها
178	1-3- الاستعارات الأنطولوجية (التشخيص)
181	المبحث الثالث: الحقول الدلالية في مجالس التذكير وعلاقتها بالمجال الهدف والمجال المصدر
181	1- مجالات الهدف ومجالات المصدر في مجالس التذكير
192	2- الصور الاستعارية للعناصر المشاركة في الفعل الإصلاحي
192	2-1- صورة الإنسان من خلال استعارات ابن باديس
193	2-2- صورة الأمم من خلال استعارات ابن باديس
194	2-3- صورة الدعوة في استعارات ابن باديس
196	2-4- صورة المستعمر في استعارات ابن باديس
196	2-5- صورة القرآن في استعارات مجالس التذكير
199	3- حضور القصة القرآنية لإعادة تشكيل الذهن الجزائري
203	خلاصة الفصل

الفصل الرابع:	
الحقول النحوية ودلالاتها في مجالس التذكير	
205	المبحث الأول: الحقول الصرفية والمسورات النحوية
205	1- النحو والدلالة
208	2- الحقول الصرفية ودلالاتها
208	2-1- صيغة التفضيل
211	2-2- صيغ المبالغة
212	3- المسورات النحوية في مجالس التذكير وأبعادها الدلالية
212	3-1- الضمائر
215	3-2- أسماء الإشارة
218	3-3- استعمالات "لو" ودلالاتها
219	المبحث الثاني: البعد الحجاجي في مجالس التذكير
219	1- الجملة
221	1-1- الجمل الفعلية والاسمية في مجالس التذكير ودلالاتها
225	1-2- الجملة الشرطية
227	1-3- الجمل الاعتراضية
229	2- تنوع الأساليب البلاغية وأبعادها الحجاجية
232	2-1- مجالس التذكير بين الخبر والإنشاء
237	2-2- الأسلوب الإنشائي
249	2-3- العدول عن الرتبة المحفوظة
250	2-4- الحذف

253	المبحث الثالث: استثمار المحسنات البديعية لتحقيق الأبعاد الفكرية
253	1- البديع
254	1-1- ظاهري الجنس والسجع
255	1-2- ظاهرة التقابل
257	1-3- حسن التقسيم
261	1-4- التناص / الاقتباس والتضمين / الاستشهاد
267	خلاصة الفصل
269	خاتمة
الفهارس	
272	فهرس الآيات القرآنية
275	قائمة المصادر والمراجع
289	فهرس الموضوعات
	الملخصات

الملخصات

جامعة الأمير
عبد العزيز
للعلوم الإسلامية

ملخص البحث:

يسعى هذا العمل إلى البحث في البنية التصورية لابن باديس استنادا إلى كتابه مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، منطلقا من فكرة أنه استطاع التأثير في المجتمع الجزائري إيجابا.

انطلقت من فكرتين أولهما، نتيجة واقعية ملموسة تمثلت في التواصل الجيد بين ابن باديس وأفراد المجتمع الجزائري، وتحقق التفاعل المثمر بين أفكاره واستجاباتهم لها، أما الثانية فقد بثتها الفكرة الأولى، فتحقق التواصل الجيد يوجب أن النسق التصوري المتحكم في إنتاج اللغة (التحقق اللغوي) والدلالة عند ابن باديس ومجتمعه واحد، فما هي الخصوصية والآليات التي فعلها لتحقيق هذا النجاح؟

لأجل الوصول إلى إجابة عن التساؤلات المطروحة، اعتمد البحث على إجراء الحقول الدلالية والبحث عن البعد الاستعاري في نصوصه للكشف عن بنيته التصورية وفق نتائج اللسانيات العرفانية، ومدى تأثير هذه البنى الاستعارية في تشكل العالم من حوله. ومن ثمة في تغيير البنى التصورية المسيطرة على ذهن المجتمع الجزائري.

خلص البحث إلى نتائج أهمها أن ذهن ابن باديس يسيطر عليه الفكر الإصلاحى المنبثق من فكرة " القرآن هو الحل " وقد فعل كل الأدوات العقلية والنقلية واللغوية لتحقيق ذلك. فيظهر المعجم الاجتماعي متداخلا مع المعجم الديني في النص، من خلال النماذج التي هي من صميم المجتمع الجزائري والتي يُصرّ ابن باديس على إظهارها في كل مرة تعليما وتفهيما للجزائريين، مع عناية أكبر لتصحيح العقيدة التي هي أساس قوتهم، والتي يروجونها ليتحرروا من قيود المستعمر.

Résumé :

Cet œuvre vise à chercher dans la structure conceptuelle d'Ibn Badis basée sur son ouvrage intitulé « مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير », à partir de l'idée qu'il était capable d'influencer positivement la société algérienne.

Ceci est basé sur deux idées principales; la première idée est le résultat concret et réel représenté par la bonne communication entre Ibn Badis et le peuple algérien, et l'interaction prolifique entre ses pensées et leurs réponses. Tout cela nous amène directement à la deuxième idée car l'établissement d'une bonne communication implique qu'Ibn Badis et sa société aient le même motif conceptuel qui contrôle la production de la langue et de la signification. Alors, quelles sont les spécificités et les mécanismes qu'il avait utilisé pour réaliser ce succès?

Afin de répondre aux questions posées, cette recherche était basée sur la création de champs lexicaux et sur la recherche de la dimension métaphorique dans ses textes pour en révéler la structure conceptuelle basée sur les résultats de la linguistique cognitive, et l'effet de ces structures métaphoriques dans la formation du monde qui l'entoure ; également dans l'évolution des structures conceptuelles qui dominent l'esprit de la société algérienne.

Cette recherche a conclu trop de résultats; le plus important que l'esprit d'Ibn Badis était dominée par la pensée réformatrice dérivée de l'idée qui dit: « le Coran est la solution » et il a utilisé tous les outils mentaux et linguistiques ainsi que ceux dérivés du saint Coran et de la Sunna afin d'y parvenir. Par conséquent, les dictionnaires sociaux et religieux semblent être emmêlés dans son livre, et cela se voit à travers des exemples tirés du cœur de la société algérienne qu'Ibn Badis tient à montrer chaque fois et continue d'enseigner et de clarifier aux Algériens, Avec une plus grande attention à la correction de leur croyance qui est la base de leur force, cette dernière est recherché afin de se libérer des chaînes de colonisation.

Summary:

This work aim to take a look at Ibn Badis' conceptual structure based on his book titled (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) starting from the idea that he was able to influence the Algerian society positively.

This is based on two main ideas; the first one is a real and concrete consequence represented by the good communication between Ibn Badis and the Algerian individuals, and the prolific interaction between his thoughts and their response. All this leads us directly to the second idea; because the establishment of a good communication implies that both Ibn Badis and his society have the same conceptual motif that controls the production of language and significance. So, what are the specifics and the mechanisms that he used to achieve this success?

In order to answer the asked questions, this research was based on making lexical fields and seeking the metaphoric dimension in his texts to reveal its conceptual structure based on the cognitive linguistics results, and the effect of these metaphoric structures in shaping the world around him; also in changing conceptual structures that dominate Algerian society's mind.

This research concluded too many results; most importantly that Ibn Badis' mind was dominated by the reformist thought derived from the idea that says: "the Quran is the solution" and he used all the mental and linguistic tools and also the ones derived from the holy Quran and Sunnah in order to achieve that. By consequence, both social and religious dictionaries seems to be tangled in his book, and it's shown through examples from the heart of the Algerian society which Ibn Badis insist on showing every time and keeps teaching and clarifying to Algerians, with a greater care to correcting their creed which is the base of their strength, this latter is being looked for to be free from colonization chains.